مآذن مدينة صنعاء

حتى نهاية

القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي

دراسة أثرية معمارية

تأليف الدكتور

علي سعيد سيف

أستاذ الآثار الإسلامية المساعد

قسم الآثار جامعة صنعاء



إصدارات وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء

مآذن مدينة صنعاء

حتى نهاية

القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي

دراسة أثرية معمارية

تأليف الدكتور

علي سعيد سيف

أستاذ الآثار الإسلامية المساعد

قسم الآثار جامعة صنعاء



إصدارات وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء

١٤٢٥هـ - 2004 م

رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء

(٢٠٠٤/٣٧)

الناشر

الجمهورية اليمنية

وزارة الثقافة والسياحة

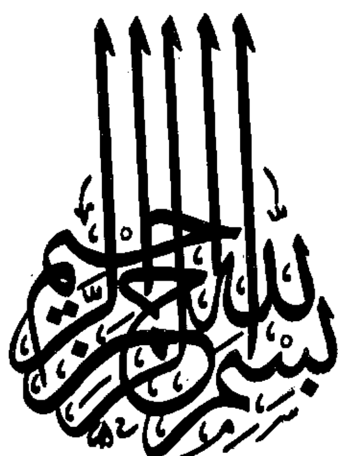
صنعاء الحصبة - ص.ب. (36)-(237)

هاتف: 235114 - فاكس: 235113

بريد الكتروني: moc@y.net.ye

من بهاء صنعاءً... وتجليات عبقها.. في عام تتويجها عاصمةً للثقافة العربية.. يأتي هذا الاحتفاءُ بمجد الكلمة.. وجلال أنوارها.
في بدء الوعي الإنساني كانت الكلمة..
وعلى رأس فعاليات هذا العام الاستثنائي تأتي هذه الإصدارات.. حدثاً يتوج صنعاء فضاءً شاسعاً للثقافة والتاريخ والجمال والخصوصية.

خالد عبد الله الرويشان
وزير الثقافة والسياحة


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

شهدت اليمن حضارة إنسانية بقيت متألّقة عبر العصور المختلفة، تشهد بما خلّفه الإنسان من آثار ماديّة تجلّت فيها العمارة والفنون المختلفة في أزهى صورها.

وتمثل المآذن ـ جزءاً بارزاً من مخلّفات ذاك الإنسان ـ والبحث في العناصر العمارية للمسجد لا يقلّ أهمية عن عمارة المسجد، لما تتميّز به من خصائص عمارية عربية وإسلامية تشدّ بجمالها ورونقها الناظر إليها.

وقبل الدخول في بسط البحث وموضوعاته نشير إلى العقبات التي واجهت الباحث وهي بالدرجة الرئيسية ندرة المصادر. وقلّما نجد مصدراً أثرياً يتحدث في الموضوع، واتّجهنا نحو المراجع التاريخية والتي سكتت أيضاً عن تقديم وصف كاملٍ للمئذنة اللّهمّ إلّا ما جاء في كتاب الاختصاص ذيل تاريخ مدينة صنعاء (للعرشاني) يصف فيه مئذنتي الجامع الكبير فكان اعتمادنا عليه لتلك المئذنتين إلى جانب ما قدّمه الكاتب الأجنبي (سرجنت) الذي قضى في صنعاء مدة طويلة خرج منها بكتاب أسماه (صنعاء المدينة العربية الإسلامية) (Sanaa An Arabian Islamic city) وإن لم يتحدث عن المآذن ولكنه أشار إليها. وأما كتب التأريخ اليمني فلم نجد منها ما يتحدث عن وصف المآذن وإنما أشارت إلى بعض من بنى المآذن.

ونطمح إلى أن نتعرّف على التخطيط العماري للمئذنة في صنعاء ووضع الأسس والقواعد لأصولها العمارية في هذه المدينة التي ما زالت تلبس حلّة الماضي الممتدّة جذورها في عمق التاريخ والذي حدا بمنظمة اليونسكو أن تدعو إلى المحافظة عليها.

وهذه المدينة ما زالت تنتظر الباحثين ليَقِفُوا على مبانيها من منازل ومساجد ومرافق خدماتية، ولذا كان اختيارنا لعنصر معماري من عناصر المسجد ألا وهو المئذنة.

وتتمثّل أهمية دراسة تلك المآذن السامقة في السماء في الآتي:

١ ـ إن المآذن لم تلق من المهتمّين عرب أو أجانب أية محاولة للدراسة مع أن هذه المآذن أول ما تقع عليه عين الناظر قبل وصوله إلى صنعاء وكأنها تناديه.

٢ ـ تتميّز مآذن صنعاء عن غيرها من المآذن بما تحمله من عناصر زخرفية جميلة.

٣ ـ وحتى تواكب صنعاء بغداد مدينة السلام والقاهرة اللّتين جرت دراسة حول مآذنهما.

٤ ـ أن كل ما كتب عن المساجد لا يتعرّض للمآذن لا من الناحية الأثرية ولا التاريخية.

ونظراً لطبيعة البحث والمنهج الذي اخترته فقد جمعت كل ما وقع بين يدي من مصادر عربية لمؤرّخين أو رحّالة أو مصادر أجنبية متخصّصة.

على أن قسماً منها لا يمتّ بصلة إلى المآذن فكان لزاماً عليّ الصعود لكل مئذنة لغرض دراسة تخطيطها العماري وتصويرها ووصفها وأخذ قياسات لكل مشتملاتها وبذلت في ذلك جهوداً مضنية لم يبذلها باحث من قبل.

ولقد اقتضت طبيعة الدراسة أن توزّع على خمسة فصول مسبوقة بتمهيد ومنتهية بخاتمة، ففي التمهيد تحدّثت عن الجغرافية التاريخية لمدينة صنعاء، مبيّناً فيها الموقع الجغرافي لصنعاء وأحوالها المناخية وفتراتها التاريخية منذ بداية ذكرها في النقوش اليمنية وتسمياتها، وفي الفصل الأول تناولت بشكل موجز التعريف بالمئذنة ومفرداتها، ثم تاريخ بناء المآذن ونشأة المئذنة وتطوّر عماراتها، والفصل الثاني خصّص لتقديم فكرة شاملة عن نشوء المئذنة اليمنية مع ضرب الأمثلة لمختلف العصور في المناطق اليمنية وتخطيط عمارة المئذنة اليمنية، أما الفصل الثالث فكان من نصيب صنعاء وفيه دراسة شاملة تفصيلية لمآذن صنعاء مشتملة على وصفها وتاريخها وتخطيطها مزوّدة بالصور والأشكال العمارية، ثم الفصل الرابع وفيه تحدّثت عن العناصر العمارية للمئذنة مع تأصيلها عمارياً، وكذلك العناصر الزخرفية متضمّناً أشكالًا مرسومة، ثم الفصل الأخير خصص لدراسة مواد البناء المستخدمة في تشييد المآذن، وختمت الدراسة بخاتمة ضمّنتها نتائج البحث. فللّه الحمد والشكر وإن الكمال له وحده سبحانه تفرّد به عن خلقه.

تمهيد
الجغرافية التاريخية لمدينة صنعاء

التسمية:

قبل الولوج في جغرافية المدينة، لا بدّ أن نتعرّف على هذه المدينة التي كانت وما زالت محطّ أنظار الرحّالة من العرب والمستشرقين الذين أفاضوا في وصفها، فكان منهم المنصف المتحرّي الدّقة، ومنهم من يؤخذ ببهرجة ورونق هذه المدينة العربية الإسلامية فيطلق لخياله العنان في الوصف، ونقتطف بعضاً من أقوال أحدهم حيث يقول: «أي صنعاء مثّلك لنا التاريخ فكنت مليكة الزمان، ومثّلك لنا العلم فكنتِ يوماً ربّة العرفان، ومثّلتك لنا الأساطير فكنت سيّدة الجنّ والجان... وهذا جمالك الطبيعي وبهاؤك العربي فما كذب الشعر... إن صنعاء في محاسنها لا تخيب للزائر أملاً وكلّما دنوتَ منها، وهو عكس الحقيقة في أكثر المدن، ازداد رونقها وازداد إعجابك بها، فهي في مقامها الطبيعي فريدة عجيبة... فبناؤها أجمل هندسة وأكثر إتقاناً لأن الأسلوب العربي فيها لا يشوبه شيء أجنبي»[(١)]. وصنعاء بفتح الصّاد المهملة وسكون النون وعين مهملة وألِف ممدودة[(٢)] وهي من الفعل صنع وصنع الشيء وتجمع مصانع وهي مباني من القصور والحصون وهي نسبة إلى جودة الصنعة في ذاتها[(٣)]، وهي مشتقّة من الجذر القديم صنع بمعنى حصّن ومنع وتعني أزال وفي لغة النقوش اليمنية يقال تصنّع بمعنى تحصّن، وفي تسميات الأمكنة اليمنية القديمة تسمّى مصنعة والجمع مصانع وتعني القرى المحصّنة[(٤)].

(١) الريحاني، (أمين) ـ ملوك العرب ط ٥ دار الريحاني سنة ١٩٦٧ ص١٢ ـ ٢٤.

(٢) مصطفى، إبراهيم ـ المعجم الوسيط ج١ ص٥٢٨ وكذا البستاني بطرس قطر المحيط ١٨٦٩ ص٥٢٨ وأبي الفداء إسماعيل تقويم البلدان ط/باريس ١٨٤٠ ص٩٥ والقلقشندي صبح الأعشى ص٣٧ ومصطفى إبراهيم نفسه.

(٣) عبد الله، يوسف محمد ـ المدينة العربية الإسلامية نبذة عن تاريخها ودعوة إلى صيانتها مجلة الإكليل ع٢ و٣ ص٢٨٣.

(٤) العمري، حسين وعبد الله، يوسف ـ صنعاء الموسوعة اليمنية ١٩٩٢ ص٥٨٤.

والنسبة إلى صنعاء صنعاني على غير قياس[١]، والنون بدل الهمزة في صنعاء[٢]، وسمّيت بصنعاء بن أزال بن عامر، وقيل كانت صنعاء امرأة ملكة سمّيت صنعاء[٣]، وكان اسمها القديم أزال فلما وافتها الحبشة نظروا إليها ورأوها مبنية بالحجارة فقالوا هذه صنعة وتفسيرها بلسانهم حصينة فسمّيت صنعاء[٤]، وتسمّى صنعاء في النقوش اليمنية هجرن/ صنعوا/ وهجرن بلغة اليمن القديمة مدينة وصنعوا مثل قرنوا بالواو بدلًا من الألف والهمزة كما تدل النسبة حيث يقال صنعاوي مثل صحراء صحراوي، ولكن المصطلح الشائع أن يقال صنعاني[٥]. إلى جانب تسمية صنعاء تسمّى أيضاً أزال وتعني القوة والمنعة وهو اسم ورد في التوراة وهو أحد أبناء يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام[٦]، ويبدو أن الرواة قد قلبوا صيغة الخبر ففي الحبشة أزال بمعنى صنع وهو في الحالين يدل على القوة والمنعة والتحصين والجذر اشتقاقه معروف في اللغة اليمنية فيقال، وتصنعوا/ بوصت/ هجرن/ ذمر/ أي وتحصنوا داخل مدينة ذمار[٧]، ومن أزال تأزل أي تمنع وتأزل فعل مضارع من أزل بمعنى حصن وقوي وصنع[٨]، وقيل كان ليقطن بن عابر بن سام أبناء سمّيت القرى بأسمائهم ومنها أزال ـ وهي صنعاء، قال وهب بن منبه: صنعاء أجدها في الكتب أزال وقال أزال كل عليك وأنا أتحنّن عليك أزال ويحك من وطئ النعال[٩].

ونجد أن القلقشندي يقول: إن اسمها أول بضم الهمزة وفتح الواو

---

(١) القلقشندي، أحمد بن علي ت ٨٢١هـ صبح الأعشى، ج٥ راجعه وعلق عليه نبيل خالد الخطيب ١٤٠٧هـ ص٣٧.
(٢) ابن منظور، لسان العرب ـ دار صادر بيروت ط١٩٧٦ ج٨ ص٢١١.
(٣) الرازي، أحمد بن عبد الله ـ تاريخ مدينة صنعاء ط١ تحقيق حسين العمري وعبد الجبار زكار س١٩٧٤ ص١٠ ـ ٢٨.
(٤) الحميري، محمد بن عبد المنعم ـ الروض المعطار في خبر الأقطار ط٢ س١٩٨٤ ص٣٥٩.
(٥) عبد الله، يوسف محمد ـ المصدر السابق ع٢ و٣ ص٢٨٣ وصنعاء ماضيها وحاضرها، أوراق في تاريخ اليمن س١٩٨٥ ص١١٤.
(٦) الهمداني، أبي محمد الحسن ـ الإكليل ج٨ ص٥٣ والرازي المصدر السابق ص١٤.
(٧) عبد الله، يوسف ـ نفسه ص١١٢.
(٨) عبد الله، يوسف ـ المصدر السابق ع ٢ و٣ ص٢٨٣ والعمري ويوسف، صنعاء المصدر السابق ١٩٩٢ ص٥٨٤.
(٩) الرازي، المصدر السابق ص١٥.

من الأولية، والأصحّ بالزاي حيث أن اسمها أزال، فلما وافتها الحبشة نظروا إلى بنائها وقالوا هذه صنعة ومعناها حصينة فسمّيت صنعاء من يومئذ[1]، وسوف نعرف فيما بعد أن اسم صنعاء ذكر قبل دخول الأحباش إلى صنعاء بحوالي خمسة قرون ـ وهي مدينة أزلية يقال إنها أول مدينة عمّرت بعد الطوفان وسمّيت باسم بانيها سام بن نوح عليه السلام[2]، وتسمّى مدينة سام نسبة إلى سام حيث يذكر أن سام بن نوح اجتوى (وكره) السكنى في أرض الشمال وأقبل طالعاً يرتاد أطيب البلاد حتى صار إلى الإقليم الأول فوجد اليمن أطيب مسكناً وارتاد اليمن فوجد صنعاء أطيبها[3].

هذا ويعود أقدم ذكر لمدينة صنعاء من خلال النقوش اليمنية القديمة إلى نقش من عهد «هلك أمر بن كرب أيل وتريهنعم» ملك سبأ وذي ريدان في حوالي سنة ٧٠ ميلادية وذكر معها مدينة شعوب التي هي الآن قسم من صنعاء في الجهة الشمالية منها وبها سمّي باب صنعاء القديم الشمالي باب شعوب[4]، ثم توالى ذكر مدينة صنعاء حيث ذكرت في عهد حكم الملكين إلي شرح يحضب، يأزل بين وذلك في منتصف ق٣ م وكذلك في نهاية القرن ٣م في عهدي يأسر يهنعم، شمريهرعش حيث وجد نقش يتحدث عن أن هؤلاء قاموا بعمل بعض الواجبات في كل من مدينتي مأرب وصنعاء[5]، ثم نجد بعد ذلك كسرة حجرية اكتشفت حديثاً تذكر الحبشة وصنعاء مما يوحي بأن النقش دوّن عام (٥٣٥) للميلاد بعد الغزو[6] الحبشي، وبذلك ينحصر ذكر صنعاء في اليمن القديم من خلال الشواهد النقشية بين ق١م، ق٦ م، ولذا من الممكن القول إن مدينة صنعاء قد عرفت باسمها في حوالي فترة ميلاد المسيح عليه السلام[7]. هذا وقد كانت صنعاء تأتي بالمرتبة الثانية

---

(١) القلقشندي، المصدر السابق ص٣٧ والحميري المصدر السابق ص٣٥٩.

(٢) الأكوع، محمد ـ اليمن الخضراء، ط١٩٧١ ص٧٧ والعمري ويوسف صنعاء المصدر السابق ص٥٨٤ ويوسف المصدر السابق ص١١١.

(٣) الهمداني، المصدر السابق ص٣٥.

(٤) عن العمري ويوسف ـ المصدر السابق ص٥٨٤ (Glaser Sammlung, V11 A 452).

(٥) عبد الله، يوسف المصدر السابق، أوراق ص١١٤ والمدينة العربية، ع٢ و٣ الإكليل ص٢٨٥.

(٦) عبد الله، يوسف ـ أوراق ص١١٥ والمدينة العربية ع٢ و٣ الإكليل ص٢٨٥.

(٧) عبد الله، أوراق ص١١٥ ونفسه ص٢٨٥.

بعد مأرب عاصمة سبأ حيث كان الملوك يقيمون حيناً في مأرب وحيناً في صنعاء، وعندما حلّت مدينة ظفار عاصمة لسبأ وحمير كانت أيضاً في المرتبة الثانية، إلا أنها اكتسبت أهمية خاصة قبل الغزو الحبشي لفترة قصيرة وحلّت محل ظفار وأصبحت العاصمة الأولى لليمن وسكن سيف بن ذي يزن قصر غُمدان، كما اشتهرت صنعاء في عهد أبرهة الحبشي بالمعلم العماري (القليس) وهي الكنيسة التي بناها لكي يحجّ إليها العرب، كما كانت صنعاء من أشهر أسواق العرب(١)، وشاع القول: لا بدّ من صنعا وإن طال السفر وإن تحنّى كل عود وانعقر، وفي هذا يقول صاحب لسان العرب فإنما قصر للضرورة(٢).

وصنعاء قصبة نجد اليمن وهي مدينة عظيمة باليمن(٣) ويصفها الكثير ممن زارها فيقول ابن حوقل: «هي بلد في خط الاستواء وهي من اعتدال الهواء بحيث لا يتحوّل الإنسان عن مكان واحد شتاء ولا صيفاً وتتفاوت فيه ساعات الليل والنهار لأن محور الشمس عليها معتدل(٤)، وليس بجميع اليمن مدينة أكبر ولا أكثر أهلًا ومرافق من صنعاء(٥)، وهي مدينة جبلية برية معتدلة الهواء يعدل طيب هوائها في جميع السنة(٦)، وهي حسنة العمارة بناؤها بالآجر والجص(٧). متّصلة العمارات ليس في بلاد اليمن أقدم منها عهداً ولا أكبر قطراً ولا أكثر ناساً وهي في صدر الإقليم الأول معتدلة الهواء طيّبة الثرى والزمان بها أبداً معتدل الحرّ والبرد(٨)، ويصفها أحد الرحّالة المتأخرين من على جبل عصر بقوله: ورأيت صنعاء تحتنا تمتدّ في سهل واسع تحيط بها الجبال من كل حدب وصوب وكان الوقت قبل الظهر وقد

(١) العمري، حسين ويوسف صنعاء المصدر السابق ص٥٨٥.
(٢) ابن منظور، المصدر السابق ج٨ ص٢١٢.
(٣) المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ط٢ س١٩٠٤ ص٨٦.
(٤) ابن حوقل، أبي القاسم ـ صورة الأرض ط٢ ١٩٤٨ ق١ ص٤٧ وأبي الفداء، المصدر السابق ص٩٥.
(٥) الإصطخري، أبي إسحاق إبراهيم ـ المسالك والممالك س١٩٦١ ص٢٦ وابن رستة أبي علي أحمد بن عمر الأعلاق النفيسة م٧ ص١٠٩.
(٦) ابن رستة، المصدر السابق ص١٠٩.
(٧) ابن رستة، نفسه ص١٠٩ وابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأنصار س١٩٢٨ ص١٥٨.
(٨) الحميري، المصدر السابق ص٣٥٩.

أرسلت الشمس أشعّتها الذهبية على منازل المدينة القديمة وجوامعها ومآذنها فبدت آية من آيات الجمال وانعكست تلك الأنوار على جدرانها البيضاء وزجاج نوافذها الملوّن فزادتها جمالاً على جمال[١].

الموقع الجغرافي:

قبل الحديث عن موقع صنعاء نجنح نحو موقع اليمن التي تعتبر صنعاء عاصمتها، واليمن تقع في جنوب غرب شبه جزيرة العرب على مدخل البحر الأحمر من الغرب وعلى مدخل المحيط الهندي (خليج عدن) من الشمال، وتقع بين خطّي عرض ٤٠ َ ١٢°، ٣٠ َ ١٧° شمالاً ولهذا تحتلّ موقعاً جغرافياً ممتازاً على طريق الملاحة العالمية منذ أقدم العصور التاريخية بين المحيط الهندي والبحر المتوسط، وقربها من القارة الأفريقية جعلها همزة وصل بين آسيا وأفريقيا[٢]، ولليمن تضاريس جبلية وعرة تكوّن ٨٠٪ من مساحتها، وتنال نصيباً وافراً من الأمطار مما ساعد على حياة مستقرّة ونشاط زراعي.

أما بالنسبة لموقع صنعاء فهي تقع ضمن الهضبة الشرقية حيث تقع في الأحواض المنخفضة لهذه الهضبة التي يصل ارتفاعها إلى ٧٠٠٠ قدم[٣]، أو ما بين (٢٣٥٠ ـ ٢٢٠٠م) فوق سطح البحر، ويحيط بها من جهة الشمال تلال منخفضة تتكوّن من الحجر الجيري ذي اللون الرصاصي، وعلى الجانب الشرقي شمال منطقة الروضة فإن حافة الحوض محزوزة بصورة عميقة يظهر على السطح أحجاراً رملية حمراء وهي التي تكوّن السهل بأكمله[٤] حيث تظهر على السطح كمنحدرات سميكة، وأن الجبال التي تشكّل الجوانب الشرقية والغربية لسهل صنعاء هي صخور بركانية ضخمة جداً وهي تشمل الحمم البركانية البازلتية التي تتناوب مع الصخور البركانية المقذوفة ومتضمّنة جبلي نقم وعيبان الذي يبلغ ارتفاعه (٣١٩٤م) وهو أعلى جبل يطلّ على صنعاء، وكان النشاط البركاني قد استمرّ بصورة متفرّقة حتى الأزمان الأخيرة ويظهر ذلك في منطقة شمال مطار صنعاء، كما نشاهد الحمم البركانية جنوب

(١) العظم، نزيه مؤيد ـ رحلة في بلاد العربية السعيدة ج١ ص٨٦

(٢) أبو العلاء، محمود طه ـ جغرافية شبه جزيرة العرب، جغرافية اليمن الشمال والجنوب س١٩٧٢ ج٣ و٤ ص١٧.

(٣) أبو العلاء، نفسه ـ ص٢٩.

(٤) Scirgent and Lewcock, Sana'a Arabian Islamic City Y 1983 p 13 .

صنعاء على الطريق المؤدية إلى تعز وهي تدفّقات بركانية متأخّرة غطّت السطح الحالي ولها حالياً غطاء ترابي[١].

وتقع صنعاء عند سفح جبل نقم الذي يبلغ ارتفاعه (٢٨٩٢م) والذي من المحتمل أنه كان له تأثير أساسي على الاختيار الأصلي لمنطقة الاستيطان، لأنه الجبل الحوي للمدينة الذي تتجمّع من حوله الغيوم الممطرة في الصيف وتتساقط أمطارها بغزارة على المدينة. وإلى جانب ذلك فإن صنعاء تقع على سهل منبسط وخصب، وتوجد المياه الجوفية والتربة التي تتشكّل من خلال تلك الصخور المليئة بالمعادن والتي تساعد على جودة الإنتاج، لكل تلك الأسباب كان اختيار المدينة وإقامة حياة مستقرّة فيها على مرّ تاريخها وهي تقع داخل المدارات الشمسية الطويلة عند خط عرض ٢٢َ ١٥° نحو الشمال، ١١َ ٤٤° نحو الشرق[٢]، وهي بذلك تبعد عن خط الاستواء بحوالي ٢٤َ ١٤° إلى الشمال، ومن مدار السرطان بنحو ٢٥َ ٦٠° إلى الجنوب، وهذا هو الموقع الجغرافي الفلكي لليمن، وصنعاء في مكان القلب منه[٣]، وطول صنعاء ٣٠َ ٦٣° وعرضها ٣٠َ ١٤° وهي في الأقليم الأول[٤].

المناخ:

على الرغم من أن اليمن تقع في شبه جزيرة العرب إلاّ أنها لا تشترك معها في المناخ الصحراوي وذلك بسبب تأثير العمود الفقري الجبلي العالي لها والذي يصل إلى أوجّه في جبل النبي شعيب الذي يبلغ ارتفاعه (٣٧٦٠م)، وصنعاء في مركز اليمن لها مناخ معتدل مع جو جاف ومعتدل، ولكن الفرق بين درجة الحرارة في الليل والنهار من الممكن أن يصل في بعض الأحيان إلى ٣٠م.

وصنعاء تقع في مفترق الطرق المناخية والتي تؤثر فيها الكتل والتيارات الهوائية الجنوبية والغربية التي تجلب رطوبة عالية واحتمال تكاثف الغيوم وتساقط أمطار واسعة النطاق وذلك ما يقلّل من درجات الحرارة القصوى وبصورة مناقضة للهواء القاري الجاف داخل شبه جزيرة العرب[٥].

---

(١) Scirgent, opcit, p 13 .

(٢) Scirgent, opcit, p 14 .

(٣) تمام، مصطفى متولي ـ جغرافية صنعاء رسالة ماجستير غير منشورة جامعة صنعاء ١٩٨٥ ص١٦.

(٤) الحموي، ياقوت ـ معجم البلدان المجلد الثالث سنة ١٩٥٧ ص٤٢٦.

(٥) Scirgent, opcit, p 14 .

وتقع صنعاء ضمن إطار المناخ المداري حيث يؤدّي الارتفاع إلى تعديلات واضحة في خصائص هذا المناخ، كما يؤثّر هذا الموقع في مواعيد تساقط الأمطار، وهناك من يرى أن مناخ صنعاء يتأثّر بحركات جوية بعيدة جداً مثل مركز الضغط السيبيري الشتوي، وهو إقليم مصدّر للكتل الهوائية الباردة في قلب الشتاء[١]، ويمكن وصف مناخ صنعاء بأنه حار ومعتدل أكثر مما هو مداري بسبب آثار الارتفاع العالي، حيث نجد أنه عند باب اليمن يرتفع (٢٢٥٥م) عن سطح البحر ودرجة الحرارة والضغط البارومتري منخفضان والفقدان الليلي للحرارة عن طريق الإشعاع الخارجي منخفض أيضاً لهذا السبب[٢].

الرطوبة: جو صنعاء جافّ نسبياً وأكثر ثباتاً خلال أشهر الشتاء

الضغط والرياح: إن الرياح المحلية تعرض إيقاعاً يومياً ويميل إلى التغلّب على التغييرات الفصلية الإقليمية، وهناك حركة هواء ضعيفة في الصباح والمساء ورياح أقوى في منتصف النهار وهي تعزى إلى التيارات الهوائية المنقولة بالحمل الحراري عبر الأرض الحارة، والزوابع الرملية تتطوّر مع الرياح الصخرية والتي شوهدت عند ارتفاع (٦٠٠م) وهي تتحرك بصورة بطيئة وخطيرة عبر السهل، وعند الليل فإن النسيم يهبّ أسفل السهل ويسبّب شكل الأرض تناقصاً مهماً في الصيف بين الرياح الجنوبية التي تهب صباحاً ومساءً والرياح الشمالية القوية التي تهبّ مساءً[٣].

بعد هذا العرض السريع للتعريف بتسمية المدينة والعرض الجغرافي البسيط يشير الباحث إلى الدافع إلى هذا العرض على تسمية المدينة وموقعها الجغرافي الذي أحاطت به الجبال التي سبق شرحها ودعت بالسكان في المدينة إلى أن يستخدموا الأحجار البركانية البازلتية في إقامة مبانيهم ومنها المآذن التي سوف نتعرّف عليها في الفصل الخاص بمواد البناء والمناخ الذي كان له الأثر المباشر في استمرارية الحياة في هذه المدينة إلى جانب تأثير الفرق بين درجات الحرارة ليلًا ونهاراً على المباني مما حدا بالقائمين على هذه المباني إلى الصيانة شبه الدائمة حتى تظلّ هذه المباني تؤدّي الغرض الذي بنيت من أجله.

---

(١) تمام، المصدر السابق ص٦١.

(٢) Scirgent, opcit, p 14.

(٣) Scirgent, opcit, p 16.

إن صنعاء تلك المدينة العتيقة التي ربما كانت قد بدأت بشكل قرية صغيرة في سفح جبل نقم ثم مدينة تاريخية حصينة، قد تطوّرت خطتها قبل الإسلام وبعده لتصبح مدينة عامرة يحيطها سور من الطين بأربعة أبواب رئيسية: هي باب اليمن، وباب شعوب، وباب السبحة، وباب ستران، أما بقية الأبواب فمحدثة وهي: باب خزيمة وباب الشقاديف وذلك حينما أحدث حي بئر العزب[١]، ويذكر أن صنعاء استكملت عمارتها في الإسلام وكثر ريفها والخير فيها والإتيان من جميع النواحي كما كثرت دُوْرَها ومساجدها[٢]، ومن الفترات التي توسّعت فيها صنعاء عهود كل من:

الدولة الهمدانية في القرن الحادي عشر الميلادي السادس الهجري.

والدولة الأيوبية في القرن (١٢م) حيث أسّس حيّ النهرين إلى غرب المدينة وأقيم على طرفه الجنوبي قصر للحاكم عرف وما زال يعرف ببستان السلطان[٣] نسبة إلى سيف الإسلام طغتكين بن أيوب. أما بالنسبة للسور فإن أول من أدار عليها سوراً هو الملك شعرم أوتر. وجعل لها تسعة أبواب ـ لم يصل إلينا من هذه الرواية اسم لباب واحد[٤]، وكانت صنعاء قبل الإسلام حاضرة ومحطة على طريق التجارة عبر الهضبة اليمنية وهو ما عرف بدرب أسعد الكامل أو درب أصحاب الفيل الممتدّ من ظفار حضرموت فعدن إلى صنعاء ثم صعدة فالطائف فمكة، وتوفّر لصنعاء في العصر الإسلامي الشروط الأساسية لإقامة مجتمع حضري بكل أدواته من جامع ومدرسة...

ويروي لنا التاريخ أن سورها تعرّض مراراً للخراب فكان ممن أصلحه وأداره بالحجر والجصّ وركّب عليه سبعة أبواب الملك علي بن محمد الصليحي في القرن الخامس الهجري[٥]، وخرّبه السلطان علي بن حاتم الهمداني سنة (٥٧٠هـ) ثم أعاده سيف الإسلام طغتكين في القرن السادس[٦]، وفي حوالي (١٠٣٦هـ) أصلحه الوالي محمد باشا[٧].

---

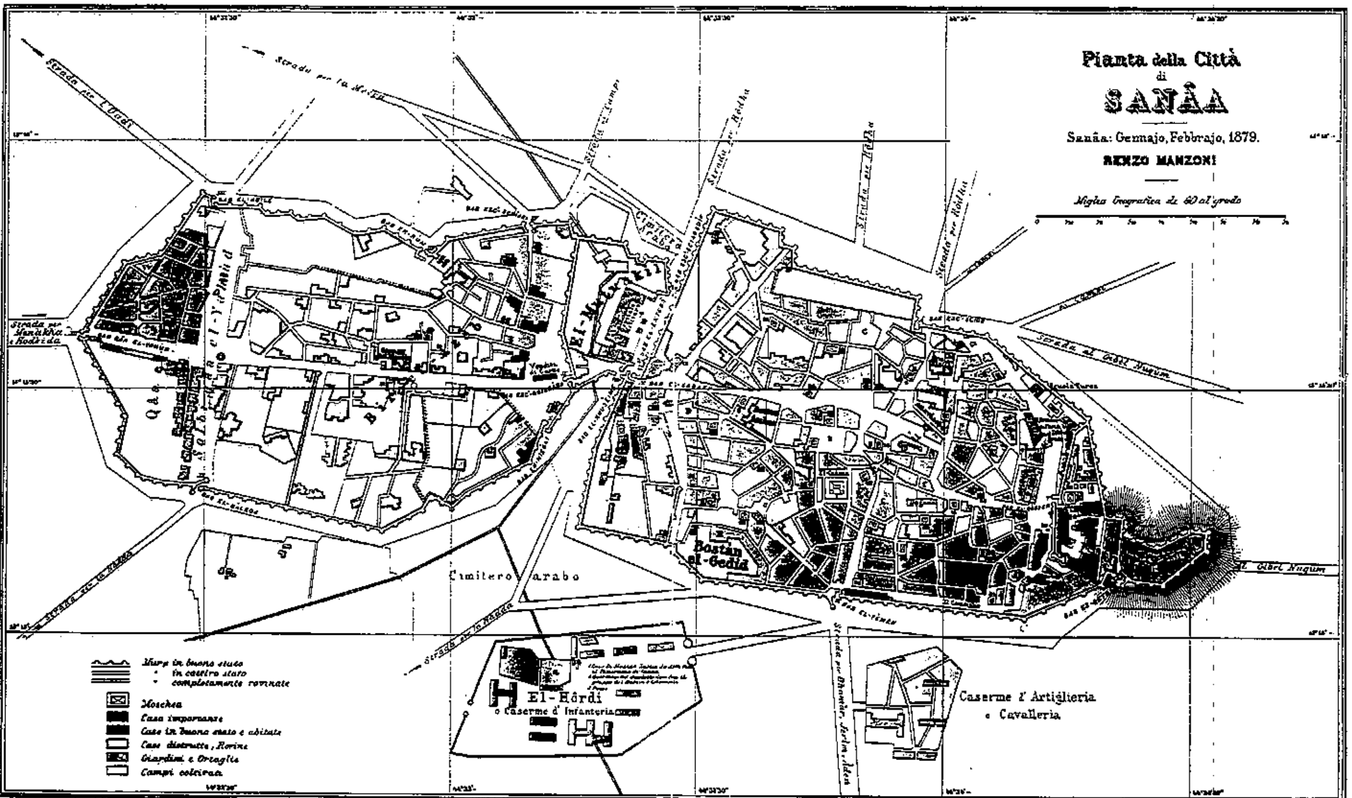
(١) العمري ويوسف، المصدر السابق س١٩٩٢ ص٤٨٥.
(٢) الرازي، المصدر السابق ص١٠٦.
(٣) العمري ويوسف، المصدر السابق ص٥٨٦.
(٤) الأكوع محمد بن علي، وصف صنعاء القديمة الإكليل ع ٢ و٣ ص٢٤.
(٥) عبد الله، صنعاء المدينة العربية، الإكليل ع ٢ و٣ ص ٢٨٧ ـ ٢٩٢.
(٦) الجرافي، عبد الله عبد الكريم ـ المقتطف س١٩٨٤ ص٨٤ وعبد الله نفسه ص٢٨٨.
(٧) عبد الله، نفسه ص٢٨٧ ـ ٢٩٢.

أما عن الخرائط التي تحدّد معالم المدينة فلم نجد إلّا بعض الخرائط منذ (ق ١٨م) مثل خريطة نيبور (١٧٦٣م) وخريطة «مانزوني» (١٨٧٩م) وخريطة راثينيزوفون فيسمن (١٩٢٩) شكل (١)، وأخيراً خرائط تخطيط المدينة الحديثة، وهذه الخرائط تشير إلى أن المدينة قد مرّت بأطوار تغيير وتجديد خاصة وأن العمارة اليمنية تمتاز بالتأثّر والتجديد معاً حيث إن المدينة ما زالت تحمل سمات الماضي بأزقّتها وأسواقها وجوامعها ودورها، بل إن بعض معالمها المعمارية ما زالت قائمة لم تفسدها التيارات المعمارية الحديثة[(١)].

ولهذا نراها اليوم نموذجاً معمارياً فريداً قلّ أن تجد له مثيلًا على مثل ذلك الكمال المعماري فهي نسيج متجانس في حالته البكر غنيّ بالآثار الإسلامية كالجوامع والسوق والدور[(٢)].

ونختتم حديثنا عن وصف صنعاء بنقل مقتطفات من أقوال أحد المهتمّين الألمان بمدينة صنعاء نشرها في إحدى المجلات بقوله: «صنعاء المدينة الفاضلة هي حاضرة اليمن وأعرق مدينة، وليس بين مدن الشرق ما يضاهيها جمالًا وسحراً: مساجدها البديعة تسامق منائرها أجواء الفضاء أسوارها المنيعة التي تحصّنها الأبراج وتحميها الأبواب[(٣)].

(١) عبد الله، صنعاء ماضيها وحاضرها، أوراق ص١٢٥.
(٢) عبد الله، صنعاء المدينة العربية، الإكليل ع٢ و٣ ص٢٩١.
(٣) عبد الله، نفسه أوراق ص١٢٥.



شكل [١]: يوضح خريطة مدينة صنعاء

نشأة المئذنة وتطوّرها

المبحث الأول

التعريف الاصطلاحي للمئذنة ومترادفاتها

لقد تعرّض الكثير من علماء النحو واللغة العربية وتبعهم علماء الآثار من عرب ومستشرقين للتعريف بالمعنى اللغوي لكلمة «مئذنة ومترادفاتها» «منارة صومعة»، ولذا سوف نتحدث عن تعريف المئذنة ومترادفاتها باختصار.

المئذنة:

البحث عن المعنى الإعلامي لمفردة الأذان واشتقاق كلمة مئذنة منها بحيث إن الأذان يعني الإعلام والنداء للصلاة، ولقد اشتقّت المئذنة من الفعل أذن(١) وأذن بالشيء علم به وأذاناً وإذاناً بالكسر ويحرك(٢) وإذاناً والآذان الإعلام(٣) وإذاناً وإذانه علم به(٤) «والأذان اسم يقوم مقام الإيذان وهو المصدر الحقيقي»(٥)، والأذن والأذُنُ يخفّف ويثقّل من الحواس وأذنت وأذَنَت أعلمت وأذَّنت النداء والتصويت بإعلان، وبعض العرب يجري أذنت وأذَنَت مجرى سمّيتُ وأسمَيتُ(٦) ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧٩] أي كونوا على علم به، وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٠٩] أي بعلم اللّه وأذنه بالأمر أي أعلمه وأذن تأذيناً أكثر الإعلام وأذنت أعلمت(٧) وقوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾ [الحج: ٢٢].

---

(١) بلبع، محمد توفيق ـ المئذنة نشأتها وتطور عمارتها مجلة المتحف العربي س٢ ع٣ ١٩٧٨ ص٤٤.
(٢) الفيروزآبادي، مجددي ـ القاموس المحيط ١٩٧٨ ج٤ ص١٩٥.
(٣) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح ط١٩٣٧ ص١٢.
(٤) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس ط١٨٨٨ ج٩ ص١١٩.
(٥) ابن منظور، المصدر السابق ج١٣ ص١٢.
(٦) سيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان ـ كتاب سيبويه ط١٩٦٦ ج٤ ص٦٢.
(٧) ابن منظور، المصدر السابق ص١٢.

وروي أن إبراهيم عليه السلام وقف في المقام فنادى: أيها الناس أجيبوا اللّه يا عباد اللّه اتّقوا اللّه[1]، وفي المصباح الآذان لغة الإطلاق في الفعل ويكون الأمر إذاناً وكذلك الآذان[2]، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٦٩] أي مستمع له.

والآذان الاسم من التأذين[3]، والأذان الإعلام، وأذان الصلاة معروف[4] ولذلك يقول اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٣]، وقال جرير يهجو الأخطل:

هل تشهدون من المشاعر مشعراً أو تسمعون بين الأذان أذينا[5]

والأذين هنا بمعنى الأذان وقيل الأذان هنا المؤذن، وقد ورد في الحديث ذكر الأذان هو الإعلام بالشيء يقال: أذن يؤذن تأذيناً ويقال أذنت فلاناً تأذيناً[6]، والتأذين مخصوص في النداء للصلاة والإعلام بوقتها، وقال ابن سيدة: أذين هنا بمعنى مؤذن كالآذان والأذين المكان الذي يأنبه الأذان من كل ناحية[7]، وتأذن أقسم وأعلم وأذن جواب[8] وقال الفرزدق:

«وحتى على سور كل مدينة منادٍ ينادي فوقها بأذان»[9]

وقال شاعر آخر:

فلم نشعر بضوء الصبح حتى سمعنا في مساجدنا الآذانا[10]

«والمئذنة على وزن مفعلة بكسر الميم»[11] «وهي موضع الآذان»[12]

---

(١) ابن منظور، المصدر السابق ص١٢. (٢) الزبيدي، المصدر السابق ص١١٩.
(٣) الحميري، نشوان بن سعيد ت ٥٧٣هـ ـ شمس العلوم ج١ ص١١١.
(٤) الجوهري، إسماعيل بن حماد ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ج٥ ط١٩٥٦ ص٢٠٦٨.
(٥) ابن منظور، المصدر السابق ج٣ ص١٢.
(٦) الزبيدي، المصدر السابق ج٥ ص١٢١.
(٧) الزاوي، الطاهر أحمد ـ ترتيب القاموس المحيط ط١٩٧٩ م ص١٢٠٨.
(٨) ابن منظور، المصدر السابق ج٣ ص٧١٢.
(٩) الحميري، نفس المصدر ج١ ص١١٠.
(١٠) الحميري، نفس المصدر ج١ ص١١٠.
(١١) الزاوي، نفسه ص١٢٠٨.
(١٢) البستاني، بطرس ـ محيط المحيط نقلًا عن طبعة ١٨٧٠ ص١٥.

وتجمع مآذن أو مواذن[١]، واشتقّت المئذنة اسمها من الفعل أذن ومنه جاء الأذان وهي تعني النداء للصلاة ولهذا ارتبطت المئذنة بالآذان منذ نشأتها الأولى حيث يذكر ابن سعد في طبقاته: أخبرنا محمد بن عمر حدّثني معاذ بن محمد قال أخبرني من سمع النوار أم زيد بن ثابت تقول: كان بين أطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذّن فوقه من أول ما أذن إلى أن بنى رسول اللّه مسجداً فكانوا يؤذّنون بعدُ على ظهر المسجد وقد رفع له شيء فوق ظهره[٢].

وذكر أن الرسول ﷺ همَّ أن يبعث رجالًا فيقومون على آطام المدينة فيؤذنون الناس بالصلاة حتى همّوا أن ينقسموا[٣]، ولهذا ارتبطت المئذنة بالمسجد ارتباطاً وثيقاً وأصبح الآذان من الشعائر المحببة للمسلمين فبواسطته يعرف الناس أوقات الصلاة، وبذلك ارتبطت الأوقات بالصلوات الخمس على مدى الأربع والعشرين الساعة، ونجد في ذلك قول اللّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، ثم نجد كذلك أن المئذنة ارتبطت بالآذان في أوقات الصلاة[٤] ولها يقول «أرنولد كريستي»: أما الغرض من المئذنة فغير غامض إذ أنها بنيت لكي تكون مقابلًا للعادة المسيحية بدقّ الجرس وللعادة اليهودية بنفخ البوق[٥].

المـنـارة:

اشتقت من الفعل نور وهو الضياء والجمع أنوار[٦]، والمنارة في الأصل منورة وهي موضع النور كالمنار والمسرجة والجمع مناور ومنائر[٧]، والمنارة أيضاً ما يوضع فوقها السراج والأصل منورة[٨] لأنها من الفعل نور، حيث إن النون والواو والراء أصل صحيح يدل على أضاءة[٩] وهي مفعلة من

---

(١) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري ـ الطبقات الكبرى ط١٩٦٠ م ج٤ ص٢٤٧.
(٢) ابن سعد، المصدز السابق ج٤ ص٢٤٧.
(٣) ابن سعد، المصدر السابق ج٤ ص٢٤٧.
(٤) بلبع، المصدر السابق ص٤٤.
(٥) كريستي، أرنولد ـ تراث الإسلام، ترجمة زكي محمد حسن ١٩٨٤ ص١٢٨.
(٦) الرازي، مختار الصحاح ص٦٨٩.
(٧) الفيروزآبادي، المصدر السابق ج٢ ص١٤٩.
(٨) الجوهري، المصدر السابق ج٢ ص٨٣٩.
(٩) ابن فارس، أبي الحسن أحمد ـ معجم مقاييس اللغة ج٥ ص٣٦٨ مادة نور.

الاستنارة بفتح الميم والجمع المناور بالواو ومن قال منائر وهمز. فقد شبّه الأصل بالزائد[١]، وهي الاشتعال حتى تضيء ومنه منارة السراج وتجمع مناور، لأن العرب تشبّه الحرف بالحرف فشبّهوا منارة وهي مفعلة من النور بالفتح والجمع مناور من النوار[٢]، والمنارة موضع النور وهي شمعة ذات السراج، قال ابن سيدة: والمنارة التي يوضع عليها السراج[٣].

ويذكر المستشرقون ومنهم «ليكوك» تسمية المئذنة بالمنارة[٤]، والمنار علم الطريق[٥] وما يوضع بين الشيئين من الحدود ومحجة الطريق[٦]، والمنار جمع منارة وهي علامة تجعل بين الحدّين ومنار الحرم وإعلامه التي ضربها إبراهيم عليه السلام[٧] وذو المنار ملك من ملوك اليمن واسمه أبرهة بن الحارث الرائش وسمّي ذو المنار لأنه أول من ضرب المنار على طريقه في مغازيه يهتدي بها إذا رجع[٨]، وقال الشاعر:

يجعل من مناسمها مناراً إلى عدنان واضحة السبيل

والمنار محجة الطريق[٩] وفي ذلك يقول اللّه تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، وقال أيضاً: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقوله تعالى: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥].

أما كلمة منارة فكانت تطلق في البداية على المكان الذي نشعل فيه النار أو ينبعث منه النور ثم أطلقت على المنارات[١٠]، والمنار بناءٌ يشيّد لإرشاد السفن، ولقد عرفت المنارات في مصر ومنها منار الإسكندرية حيث ظلّت منارة الإسكندرية ترشد السفن إلى البحر الأبيض المتوسط وكان يحرق

(١) الجوهري، المصدر السابق ص٨٣٩.
(٢) الحجري، محمد بن أحمد ـ مساجد صنعاء ١٨٣٦ ص٣٥.
(٣) ابن سيدة، المخصص ج٥ ص١٤٠.
(٤) Lewocock, R, The, Medieval Architectur of Yemen p 220.
(٥) الجوهري، المصدر السابق ص٢٠٦٨ والرازي، مختار الصحاح ص٦٨٩.
(٦) الفيروزآبادي، المصدر السابق ج٢ ص١٤٩.
(٧) ابن منظور، المصدر السابق ج٥ ص٢٤٠.
(٨) الجوهري، المصدر السابق ج٥ ص٢٠٦٨ والزبيدي، المصدر السابق ج٣ ص٥٨٩.
(٩) ابن منظور، المصدر السابق ج٥ ص٢٤٠.
(١٠) حسن، زكي محمد ـ فنون الإسلام س١٩٤٨ ص١٤٤.

في قمّتها الخشب فيرشد الدخان السفن نهاراً والوهج ليلًا[١]، ثم انتقلت لفظة منارة إلى المآذن لمشابهتها بالأبراج الخاصة بالمآذن وإن استخدام المنارات أقدم من استخدام لفظة المآذن والصوامع[٢]، وقال اللحياني: المئذنة هي المنارة وتعني أيضاً الصومعة على التشبيه[٣]، ويذكر المستشرق «أرنولد كريستي» إن أول استعمال لكلمة منارة كان في سوريا[٤] ولكننا نجد أن هناك استعمالًا لها سبق سوريا وذلك في مصر حيث أطلق على منارة الإسكندرية.

الصـومعـة:

اشتقّت من كلمة صمع، فالصاد والميم والعين أصل واحد[٥]، والصومعة من البناء سمّيت صومعة لتلطيف أعلاها، والصومعة منار الراهب قال سيبويه، من الأصمع يعني المحدد والطرف المنظم وصومع بناءه علاه، مشتق من ذلك وفسره السيرامي وصومعة التريد جثته وذروته وقد جمعه أتانا بتريده ومصمعه إذا دققت وحدد رأسها ورفعت كذلك، وصومعة النصارى على وزن فوعلة من هذا لأنها دقيقة الرأس، ويقال للعقاب صومعة لأنها أبداً مرتفعة على أشرف مكان، والصوامع البرانس[٦]، وأنشد الشاعر فيقول:

تمشي بها الثيران تردي كأنها   دهامين أنباط عليها الصوامع[٧]

وصومع الشيء جمعه والصومعة بيت لعبادة النصارى سمّي به لدقّة رأسه ثم عمّم لكل بيت لهم سواء كان دقيق الرأس أم لا، والمشهور أن صومعة الراهب هي الجبل التي نحتت له عليه كوخاً قصد انفراده عن الناس وأعلى كل جبل شامخ إذا كان مستدقّ الرأس وصومعة جمعها صوامع[٨] ويقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ

(١) غربال، محمود شفيق وآخرون الموسوعة العربية الميسرة ط١٩٥٩ ص١٧٤٧.
(٢) حسن، المصدر السابق ص١٤٤.
(٣) الزبيدي، المصدر السابق ج٣ ص١٢٠.
(٤) كريستي، المصدر السابق ص١٢٨.
(٥) ابن فارس المصدر السابق ج٣ ص٣١٠.
(٦) ابن منظور، المصدر السابق ج١٠ ص٨٦.
(٧) ابن منظور، المصدر السابق ج١٠ ص٧٦.
(٨) البستاني، المصدر السابق ص١٢٢٤.

﴿وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٤٠]، ويقول القرطبي في تفسير الآية الكريمة: صوامع جمع صومعة وصومعها وزنها فوعلها وهي بناء مرتفع حديد الأعلى(١). ويقول ابن كثير في تفسير الآية السابقة: الصوامع هي المعابد الصغار والبيوت التي على الطرق(٢).

وفي الحديث عن ابن عباس رضي اللّه عنه أنه كان لا يرى بأساً بأن يضحي بالصمعاء وثريدة مصمعة إذا دقّقت وحدّد رأسها، وصومعة النصارى أي فوعلة من هذا لأنها دقيقة الرأس(٣)، هذا ونجد اللفظة في الحديث عند نفاذ جيش أسامة حيث وصّاه أبو بكر رضي اللّه عنه ومن ضمن وصيّته لهم قال: وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له(٤)، كما استخدمت كلمة صومعة للدلالة كذلك على صوامع الغلال وهي لا بد أن تكون ذات رأس مخروطية الشكل كما وضعت دقيقة، وعرّف المسلمون المكان الذي يلقى منه الأذان باسم مئذنة ومنارة وصومعة، وكان العرب يطلقون الكلمة على أبراج الزهاد، ولعلّ استخدام هذه الكلمة للدلالة على المآذن كان للمرة الأولى في الشام وغيرها وكانت مربّعة وقد ظلّت المئذنة تسمّى صومعة في بلاد المغرب حتى الآن(٥)، وعند قيام الباحث ببحثه الميداني في صنعاء وجد أن أغلب الناس يطلقون على المآذن اسم (صوامع) كما يطلقون على قيّم المسجد اسم سنيدار، هذا ونجد أن الدكتور زكي محمد حسن قد انفرد بتسمية أخرى لها وهي كلمة عساس حيث يذكر أن هذه الكلمة تطلق في بلاد المغرب على المنارات وهي تعني المراقبة أو الملاحظة مما يشهد بأن المآذن لم تكن تستخدم فقط للأذان بل كانت تستعمل للمراقبة(٦) حيث إن استعمالها في بلاد المغرب باسم عساس راجع إلى أن المنطقة واقعة على الثغور، أعني على خط المواجهة مع أعداء الأمّة العربية الإسلامية، لذا كانت تستعمل لهذا الغرض كما نلاحظ ذلك مع مآذن الأربطة وكذلك وجد برج على مقربة من قرية الفاو بوادي الدواسر

(١) القرطبي، أبي عبد اللّه محمد بن أحمد ـ الجامع لأحكام القرآن م٦ ط ٦٥ و١٩٦٦ ص٧١.
(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر ـ تفسير القرآن العظيم، ج٣ س١٩٨٥ ص٢٢٦.
(٣) الرازي، مختار الصحاح ص٣٦٩.
(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ط١٣٥٣هـ ج٦ ص١٩٧.
(٥) حسن، زكي ـ المصدر السابق ص١٤٤.
(٦) حسن، المصدر السابق ص١٤٥.

بنجران وهو برج أسطواني أعدّ للحراسة، وهذه الأبراج تنتشر في أغلب المناطق اليمنية وهي أبراج أسطوانية الشكل مستديرة دقيقة الرأس، هذا وربما استخدمت كلمة المئذنة في المدن الآمنة وذلك لغرض الآذان فقط، وفي المدن التي على السواحل البحرية فأطلق عليها فيها منارة حيث تؤدّي غرضين هما: غرض إهداء السفن والشارات وغرض الأذان. وأما كلمة صومعة فهي للمعنى الحرفي للكلمة التي تعني الارتفاع كما أنها مكان عبادة الرهبان واستخدمت للأذان لأن الأذان أقدس نداء يناجي به المؤذّن من عليها ربّه ويدلّ على عظمة اللّٰه سبحانه وكبريائه يجمع المسلمين للصلاة في وقتها.

المبحث الثاني

نشأة المئذنة

عندما يتعرّض أي باحث إلى نشأة المئذنة لا بد أن يرجع إلى أحاديث المصطفى ﷺ وكيف كانت الحالة عليه في زمنه ﷺ، وقد وصلت إلينا أخبار تشير إلى أنه لم يكن في زمن المصطفى ﷺ مئذنة بما تعنيه الكلمة ولكن يشتف من خلال ما سيقدمه الباحث، أن الرسول ﷺ قد كان همّ أن يبعث رجالًا فيقومون على آطام المدينة فيؤذنون الناس بالصلاة[(١)]، وقد كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحيّنون الصلاة ليس ينادي لها[(٢)] حتى همّ الرسول ﷺ أن يجعل بوقاً كبوق اليهود ثم كرهه ثم أمر بالناقوس فكرهه حتى رأى عبد اللّٰه بن زيد الأذان فأخبر به رسول اللّٰه ﷺ وقال: إنها رؤيا حق إن شاء اللّٰه، فسمع عمر بن الخطاب الأذان فخرج إلى رسول اللّٰه ﷺ وهو يقول: يا نبي اللّٰه، والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل ما رأى، فقال له رسول اللّٰه: فللّٰه الحمد[(٣)]، وقال الرسول ﷺ لعبد اللّٰه بن زيد: قم مع بلال فالقها عليه فإنه أندى صوتاً منك[(٤)].

---

(١) ابن سعد، المصدر السابق ج١ ص٢٤٧.

(٢) البخاري، أبي عبد اللّٰه محمد بن إسماعيل ـ صحيح البخاري بيروت ط١٩٨٧ ج١ ص٣٠٦.

(٣) ابن هشام، عبد الملك ـ السيرة النبوية ط مصر ١٩٥٥ ج٢ ص٥٠٤ وابن كثير، البداية والنهاية بيروت ١٩٧٨ ج٣ ص٢٣٣ وابن كثير السيرة النبوية ص٣٣٤ وابن سعد المصدر السابق ص٢٤٧.

(٤) ابن هشام، نفسه ص٥٠٩ وابن سعد، نفسه ج١ ص٢٤٧.

ولهذا نجد أنه مع نشأة الآذان كان لا بد وأن يكون هناك مكان عال من أجل أن يرفع من عليه الآذان فقد روي عن الواقدي: «أن بلالًا كان إذا أذّن للصلاة وقف على باب رسول اللّه ﷺ فقال الصلاة يا رسول اللّه حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح[١]، ثم نجد بعد ذلك أن الروايات تتوالى على أنه كان هناك ما يشبه المئذنة وليس بمئذنة، فقد روى ابن إسحاق وأبو داود والبيهقي ومحمد بن جعفر بن الزبير، قال أخبرني من سمع النوار أم زيد بن ثابت قالت: «كان بيتي أطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذّن للفجر كل غداة فيأتي السحر فيجلس على البيت ينتظر الفجر فإذا رآه تمطّى ثم قال: اللّهمّ أحمدك وأستعينك على قريش يقيموا دينك ثم يؤذّن[٢]، فكان بلال يؤذّن من فوقه من أول ما أذّن إلى أن بنى رسول اللّه مسجده فكانوا يؤذّنون بعد من على ظهر المسجد[٣]. وروي أيضاً أن الأذان في زمنه ﷺ كان من على أسطوانة في دار عبد اللّه بن عمر التي في قبلة المسجد فكان يرقى إليها بأقتاب، والإسطوانة مربّعة قائمة إلى اليوم ويقال لها: «المطمار» وكانت قائمة في زمن عبد العزيز بن عمران[٤]، وأسند مجي عن طريق عبد العزيز بن عمران عن نافع بن عمر قال: «كان بلال يؤذّن على منارة في دار حفصة بنت عمر التي تلي المسجد وكان يرقى على أقتاب فيها، والإسطوانة في البيت ويجوز تسمية الإسطوانة منارة[٥]، ولقد قال سوفاجيه: إن فكرة المئذنة ببساطتها سواء الإسطوان الذي كان يرقى عليه بلال بأقتاب في قبلة المسجد والمسمّى المطمار أم هذه المئذنة التي هي المئذنة الأولى في أول مسجد والتي اتّخذت أنموذجاً في جميع المساجد بعد ذلك[٦].

ويذكر أن الخليفة أبا بكر الصديق رضي اللّه عنه (١١ ـ ١٣) أمر ببناء

(١) اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر ـ تاريخ اليعقوبي بيروت ١٩٦٠م مجلد٢ ص٤٢.
(٢) ابن هشام، نفسه ص٥٠٩ وابن كثير نفسه ص٢٣٣ والسمهودي، نور الدين علي بن أحمد ـ وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ط مصر ١٩٥٤ ج١ ص٥٢٧ وابن سعد المصدر السابق ج٨ ص٤١٤.
(٣) ابن سعد، المصدر السابق ج٨ ص٤٢٠.
(٤) السمهودي، المصدر السابق ج٢ ص٥٢٨ ـ ٥٣٠.
(٥) السمهودي، المصدر السابق ص٥٣٠ وفكري، أحمد ـ المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها مصر ١٩٦١ ص٢٧٦.
(٦) Saveget, opcit, p 157.

منار للأذان في جبل أجيار وهو الجبل العالي الأخضر الذي يقع بالقرب من المسجد الحرام بمكة، شيّد عليه أبو بكر الصديق منارة ينادي عليها المؤذّن في رمضان(١).

إلى جانب ذلك فقد وصل إلينا من نصوص المؤرّخين أن الأذان كان يرفع أحياناً في المراحل المبكّرة للإسلام من على أسوار المدن وخاصة دمشق حيث يفهم من شعر الفرزدق حينما قال:

وحتى دعا في سور كل مدينة مـنـادٍ يـنـادي فـوقـهـا بـأذان(٢)

وربما رفع الآذان من بعض البُرج، ولا شكّ أن ذلك الارتفاع أوحى للمسلمين بإقامة بناء عالٍ متّصل بالمسجد أو بالقرب منه، وعندما اتّسعت رقعة الدولة العربية الإسلامية وأنشأ المسلمون مدناً وأقاموا مساجد اقتضى الأمر أن يقام أو يخصّص لكل مدينة جامع ومئذنة أو مآذن تبرز بعض الشيء عن بناء المسجد حتى يمكن سماع المؤذّن عند الأذان ثم اقتضى الأمر بعد ذلك أن تضاف ضلة أحياناً(٣).

المبحث الثالث

تاريخ عمارة المئذنة

إن دراسة العناصر المعمارية الإسلامية ومنها المئذنة لا يمكن أن يعطيها حقّها إلا العلماء العرب المسلمون الذين عرفوا ماهيّة هذا العنصر المعماري، إلى جانب ذلك لا ننكر فضل العلماء المستشرقين الذين فتحوا لنا سبيل البحث العلمي المنظّم، فالمئذنة هي ذلك العنصر المغماري المتسامي في السماء بعلوّه وارتفاعه وجماله المعماري والتشكيلي.

لقد كان من الضروري عندما فتحت الأقطار ومصّرت الأمصار العربية إنشاء المساجد الجامعة سواء في الأقطار التي فتحت أم التي مصّرت بحيث

(١) مجهول، الاستبصار ـ تحقيق سعد زغلول، بغداد ١٩٨٦م ص ٨ والحميري المصدر السابق ص١٤.
(٢) الطبري، الأمم والملوك م٢ حوادث س٩٦ هجرية ص١٣٠٢.
(٣) الجنابي، كاظم ـ المئذنة نشأتها وتطورها، مستل من مجلة كلية الشريعة العدد ١ سنة ١٩٦٥ ص١٢.

تتناسب مع الدين الجديد الذي أتى به المؤسسون حيث فتحوا المدن التي كانت تتمتّع بمبانٍ عالية مما دعا المسلمين إلى بناء مآذن عالية حتى يصل صوت المؤذّن إلى أكبر مساحة ممكنة، وبالرغم من أننا نجد أن بناء المأذن قد تأخّر بعض الشيء، إلا أن السبب في ذلك يعود إلى المسلمين الفاتحين الذين كانوا في حالة حرب وكانوا دائماً مجتمعين فكان يكتفى بالنداء بينهم فقط، ولكن عندما استقرّ المسلمون وأسّسوا الأمصار، ومنها: مدينة البصرة سنة (١٤هـ)[١] بقيت المدينة بدون مئذنة إلى أن أتى زياد ابن أبيه والي معاوية بن أبي سفيان على البصرة فبنى أول مئذنة في العالم الإسلامي[٢]. وسوف نتطرّق إلى بناء المآذن بالترتيب حسب تواريخها وخاصة في القرن الأول والثاني فقط. لأن المآذن انتشرت بشكل كبير في معظم الأقطار العربية والإسلامية بعد هذين القرنين.

١ ـ المئذنة الأولى:

تعتبر مئذنة جامع البصرة أول مئذنة بنيت في العصر الإسلامي لكي يرفع من عليها النداء للآذان، إلّا أن الرواية التي أتت بخبر هذه المئذنة أحيطت بهالة من الغموض وكان البلاذري أقدم مؤرّخ ذكر هذه الرواية، على أن العلماء يذكرون أن مآذن جامع عمر أول هذه المآذن مع أن الذين رووا ذلك أتوا بعد البلاذري بفترة ليست بالقليلة.

ويعتبر جامع البصرة أول جامع أنشئ خارج الجزيرة العربية، وتعتبر رواية البلاذري حول بناء مئذنة جامع البصرة هي الرواية الوحيدة التي لم تنل رضا علماء الآثار المستشرقين، إلّا أننا نجد أن بعض علماء الآثار أخذ بهذه الرواية وهو الدكتور فريد شافعي[٣]، وكان تاريخ بناء هذه المئذنة هو سنة (٤٥هـ) وقد بنيت من الحجر[٤]، هذا وقد أجرت دائرة الآثار والتراث برئاسة الدكتور عبد العزيز حميد حفريّة سنة (١٩٦٠) في جامع البصرة كشفت النقاب عن قواعد حجرية لمئذنتين من الحجر ترجعان إلى عهد

(١) العلي، صالح ـ خطط البصرة، المجمع العلمي العراقي ١٩٨٦ ص٦٧ والعميد، طاهر مظفر تخطيط المدن العربية الإسلامية ١٩٨٦ ص٢٠٢.
(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى ـ فتوح البلدان، تحقيق صلاح المنجد مصر ١٩٥٦ ص٣٤٣.
(٣) شافعي، فريد ـ العمارة العربية الإسلامية في مصر عصر الولاية س١٩٧٠ ص٦٣٧.
(٤) البلاذري، المصدر السابق ق٢ ص٣٤٣.

زياد بن أبيه في سنة (٤٥هـ)[١] مما يؤكّد صحة رواية البلاذري التي رفضها المستشرقون، ويؤكد أن مئذنة جامع البصرة تعتبر أول منارة ورد ذكرها في المراجع العربية القديمة[٢].

٢ ـ المئذنة الثانية:

ولقد أقيمت مئذنة في سنة (٥٠هـ) حينما اختطّ عقبة بن نافع مدينة القيروان وبنى مسجداً هناك أقام فيه مئذنة سنة (٥٠هـ)[٣] وهي تعتبر ثاني مئذنة بنيت في الإسلام، إلّا أن علماء الآثار العرب والمستشرقين لم يتطرّقوا إليها ببنت شفة، واعتبروا مآذن جامع عمر هي الثانية.

٣ ـ ثالث مئذنة:

أما عن ثالث مئذنة بنيت في الإسلام فلا خلاف حول ما ورد بشأنها من روايات وهي مآذن جامع عمرو بالفسطاط بمصر فقد ذكر ذلك التبريزي بقوله: «وأول من زاد في جامع عمرو مسلمة بن مخلد الأنصاري سنة (٥٣هـ)»[٤]، وقال الكندي في كتاب أخبار أهل الراية: «لما ضاق المسجد بأهله شكوا إلى مسلمة فزاد فيه وأمر ببناء منار المسجد فقال عابد بن هشام الأزدي ثم السلاماني لمسلمة بن مخلد: «وكم من مناقب صالحات، وأجدل بالصوامع للآذان[٥]، وقيل إن معاوية أمر ببناء الصوامع للأذان فقال وجعل للمسجد صوامع في أركان المسجد الأربعة وهو أول من جعلها فيه[٦] ونقش اسمه عليها ثم أمر باتّخاذ المنار في المساجد، خلا مسجد

(١) سلمان، عيسى وآخرون ـ العمارات العربية الإسلامية في العراق بغداد ١٩٨٢ ص٥٠.
(٢) محمد، غازي رجب ـ العمارة العربية الإسلامية في العراق، التعليم العالي العراقي ـ بغداد ١٩٨٩ ص٥٥.
(٣) العاني، علاء مآذن مدينة السلام، رسالة دكتوراه غير منشورة بغداد ١٩٩٣ ص٢٢.
(٤) المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد ـ كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ط بولاق ١٩٧٠ ص٢٤٨.
(٥) المقريزي، المصدر السابق ج٢ ص٢٤٨.
(٦) المقريزي، المصدر السابق ص٢٤٨ وحسن، زكي ـ تطور المآذن مجلة الكتاب ج١١ س٦ ص٤٦ ص٧١٨ وفنون الإسلام ص١٤٥ وسالم، سيد عبد العزيز ـ المآذن المصرية ص١٠ وشافعي المصدر السابق ص٦٣٨ وبلبع المصدر السابق ص٤٧ ولمعي، صالح التراث المعماري الإسلامي في مصر ١٩٨٤ ص٣٠ ومؤنس، المساجد ص١٣٠.

تجيب، حيث أمر أن يؤذّنوا للفجر إذا أمضى الليل[١]، وكان السلم الذي يصعد منه إلى المئذنة كان في الطريق ثم حوّله خالد بن سعيد إلى داخل المسجد[٢] وقد اعتبروها أولى المآذن.

٤ ـ رابع مئذنة:

أما عن رابع مئذنة بنيت بعد ذلك فهي مآذن الجامع الأموي بدمشق والتي أنشأها عبد الملك سنة (٨٦هـ ـ ٧٠٥م) حيث ذكر ابن الفقيه أن المآذن الواقعة في ركن المعبد ـ المسجد بعد ذلك هي مما بني قبل الإسلام فهي أصلية من أيام الإغريق بينما حوّل الوليد مساحة الجامع وترك ذلك على ما هو عليه، وقال المسعودي: كان المعبد قبل الإسلام ثم أصبح مسجداً، فبنى الوليد الصوامع على نحو سليم بالإجماع في أركان الجامع وكان ذلك بدون تغيير وحسب ما يوافق المصلّين[٣]، كما يذكر أن أول ما ظهرت المآذن كانت في سوريا في جامع دمشق حيث أُذِن للصلاة من أبراج المعبد الذي قام على أنقاضه المسجد الأموي وكانت هذه الأبراج هي الأصل الذي بنيت على منوالها المآذن في العمارة الإسلامية في مصر والشام وبلاد المغرب[٤]، هذا ولا نعرف إن كان قد أضاف الوليد فوق الصوامع الأربع مآذن أم اكتفى بها كما كانت ثم شيّدت فوقها من بعده مآذن عالية أخرى[٥]، ونجد أن البعض يؤكّد أنه بعد أن حُوِّل المعبد إلى مسجد رفعوا فوق الأبراج التي كانت قائمة في أركان المعبد ظلّات خشبية يستظلّ بها المؤذّنون إلّا أنها لم تطوّر حيث تهدّمت هذه المآذن وأعيد بناؤها[٦]. وللجامع ثلاث صوامع: واحدة من الجانب الغربي[٧] وهي كالبرج تحتوي على مساكن وغرف وممن سكنها أبو حامد الغزالي، وثانيهما شمالية وهي من بناء المسلمين وبابها داخل المسجد[٨]. والثالثة على الباب المعروف بباب

---

(١) عبد الوهاب، حسن ـ تاريخ المساجد في مصر ص٢٤.

(٢) المقريزي، المصدر السابق ص٨٧. (٣) Creswell, Early Muslem Erchitecture p 85 .

(٤) عبد الجواد، توفيق ـ تاريخ العمارة ١٩٦٩ ج٢ ص٢٥١ وحسن، نفسه ص٧١٦.

(٥) شافعي، فريد ـ العمارية العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها الرياض ١٩٨٢ ص١٥٥.

(٦) مونس، المصدر السابق ص١٣١.

(٧) ابن جبير، أبي الحسن محمد ـ رحلة ابن جبير س١٩٨١ ص٢١٥ وابن بطوطة رحلة ابن بطوطة ص٦٣.

(٨) ابن بطوطة، نفسه ص٦٤ والمنجد، صلاح مسجد دمشق س١٩٤٨ ص٦.

الناطقين[١] وتعرف بالعروس[٢] وهي مكعبّة الشكل ومن فوقها تركيبة أصغر منها على غرارها وتمّ إدماجها في الجانب الخارجي من الصحن[٣]، ويذكر ابن الفقيه أن المنارات التي في جامع دمشق أصلية من أيام الرومان[٤].

٥ ـ خامس مئذنة:

تعتبر مآذن المسجد النبوي بالمدينة خامس المآذن وقد روى ابن زبالة ويحيى وابن طريقة عن محمد بن عمارة عن جدّه قال: جعل عمر بن عبد العزيز بمسجد الرسول ﷺ حين بناه أربع منارات في كل زاوية منه منارة، وكانت المنارة الرابعة مطلّة على دار مروان، فلما حجّ سليمان بن عبد الملك أذّن المؤذّن فأطلّ عليه فأمر سليمان بتلك المنارة فهدمت فكان للمسجد ثلاث منارات[٥]، وقال ابن زبالة في موضع آخر: «ولمسجد النبي ﷺ ثلاث منارات طول كل منارة ٦٠ ذراعاً»، وقال في موضع آخر: «وطول كل من المنارة الشرقية اليمانية» ٥٥ ذراعاً والشرقية ٥٥ ذراعاً والغربية ٥٣ ذراعاً وعرض المنارات ٨ أذرع[٦]. وإن أول من جعل المنارات في المسجد كان في زيادة الوليد فقد روى ابن إسحاق وأبو داود والبيهقي أنه كان المسجد النبوي قد زوّد بأربع مآذن مربّعة الشكل على نسق مآذن الجامع الأموي بدمشق[٧]، وروي أيضاً أن الخليفة الوليد بن عبد الملك حينما وسّع مسجد المدينة جعل مآذن في كل ركن ومن ذلك ما رواه مجير الدين من وجود أربع مآذن في عهد الخليفة عبد الملك، وينفي «كريسون» ذلك حيث يقول: إن ذلك بعيد الاحتمال[٨].

---

(١) ابن جبير، نفسه ص٢١٥.

(٢) المنجد، نفسه ص٦.

(٣) كونيل، آرنست ـ الفن الإسلامي ط١٩٦٦ ترجمة أحمد موسى ص١٨.

(٤) Creswell, E, M, A, p 58.

(٥) السمهودي، المصدر السابق ج١ و٢ ص٥٢٦.

(٦) السمهودي، المصدر السابق ص٥٢٧.

(٧) عاشور، سعيد عبد الفتاح وآخرون ـ دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ط٢ كويت ١٩٨٦ ص٤٧٩.

(٨) كريسول، تاريخ المآذن ومئذنة القيروان ـ ترجمة محمد رجب، مجلة المقتطف م٨٦ ج٤ س١٩٣٥ ص٤٣٩.

٦ ـ سادس مئذنة :

تعتبر مئذنة جامع الرملة بفلسطين «جامع القصبة» سادس مئذنة حيث نجد أن الخليفة سليمان بن عبد الملك أنشأ مدينة الرملة بفلسطين وأقام فيها مسجداً أطلق عليه المسجد الأبيض سنة (٩٦هـ ٧١٧ ـ ٧٢٠م) وما زالت مئذنته قائمة حتى الآن حيث أعادها المماليك[١]، ويقول المقدسي: إن جامع القصبة أبهى وأرشق من جامع دمشق وله منارة بهيّة بناها هشام بن عبد الملك[٢]، ونجد اختلافاً بين الروايتين إلا أننا نجد أن هشام بن عبد الملك بنى المنارة فقط، وهذه المنارة عبارة عن بناء مربّع مقسّم إلى أربعة طوابق تزيّن أضلاعه فتحات في الوسط يحيط بالفتحة من كل جانب حنيّة، ويشير «كريسول» إلى أنه كان يوجد برج مربّع، ومن الطبيعي أن تكون كذلك لأن أبراج الكنائس قبل الإسلام كانت من هذا الطراز ويمكن ملاحظة ذلك في أبراج الكنائس في كنيسة قصر البنات وأم السرب[٣] وغيرها وهذه المنارة القديمة كانت قد تهدّمت وأعاد بناءها الظاهر بيبرس وهي باقية حتى الآن[٤].

٧ ـ سابع مئذنة :

مئذنة بصرى سابع مئذنة بنيت في الإسلام، وبصرى اسم مدينة قديمة قبل الإسلام، حيث دخلت تحت الحكم العربي الإسلامي وتأسّس فيها منذ ذلك العهد مساجد مهمة من أهمها جامع عمر وبقيت حتى استولى عليها الصليبيون سنة (٥٤١هـ)[٥]، وبقي من هذه المئذنة بدن مربّع نحيف يرجع تاريخه إلى (١٠٢هـ) وهي تعدّ من أقدم الأمثلة الباقية غير أن قمّتها سقطت ولم تجدّد، ومن الملاحظ أن ذلك البدن يبدأ من الأرض[٦] وهي أول مئذنة في سوريا[٧].

---

(١) بهنسي، عفيف ـ الشام لمحات آثارية وفنية ص١٣٤.
(٢) مخلص، عبد الله ـ مئذنة الجامع الأبيض في الرملة ص٢٦ والعابدي، الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن ص١٦٩.
(٣) كريسول، نفسه ص٤٤١.
(٤) العابدي، نفس ص١٧٠ ومخلص، نفسه ص٢٦ ـ ٢٩.
(٥) العش، أبو الفرج ـ آثارنا في الإقليم السوري دمشق س١٩٦٠ ص٦٢ و٦٣.
(٦) شافعي، فريد المصدر السابق ١٩٨٢ ص١٥٦.
(٧) بهنسي، عفيف ـ تاريخ الفن والعمارة دمشق س١٩٧٦ ص٣١٨.

٨ ـ ثامن مئذنة:

هذا ونجد أنه في سنة (١٠٢ ـ ١٠٤هـ) وفي أثناء توسعة الجامع الأموي بالموصل في عهد مروان بن محمد بنيت منارة للجامع ولكن موقعها غير معروف بالضبط، ومما يؤيّد وجود مئذنة ما ذكره ابن الأثير على حادثة قتل أهل الموصل سنة (١٣٣) فأمر يحيى بن محمد منادياً فصعد منارة المسجد كما ذكر ذلك الأزدي في حوادث سنة (١٤٦هـ)[١]، ويمكن اعتبارها ثامن مئذنة.

٩ ـ أما التاسعة فهي مئذنة القيروان:

وتعتبر هذه المئذنة عند المشتغلين بالآثار من أهم المآذن في العالم الإسلامي وذلك لأنها الوحيدة الباقية منذ زمن بنائها ـ بعد مئذنة بصري ـ بدون تأثيرات معمارية اللّهمّ إلا في قمّتها التي سقطت وأعيد بناؤها في العصر الحفصي في عام (٦٩٣هـ)[٢]، وتعتبر مئذنة القيروان حلقة الوصل العماري بين مآذن الشرق والغرب كما تعتبر المثال الذي احتذي بعد ذلك على منواله وهي ترجع في تاريخها إلى زمن الخليفة هشام بن عبد الملك الذي أمر حاكمه بشر بن صفوان والي المغرب ببناء منارة سنة (١٠٥هـ)[٣]، وقد بنيت هذه المنارة فوق البئر التي كانت بالحديقة التي اشتراها بشر بن صفوان ولقد وضع أساس المنارة في الماء ووجد أن المنارة تقع في منتصف الجدار الشمالي بالضبط[٤] وهي تتكوّن من ثلاثة طوابق تعلوها قبة والطابق السفلي مربّع مبنيّ بالحجارة المتساوية القطع رصّ بعضها فوق بعضه وتنحدر جدرانها إلى الداخل انحداراً خفيفاً فيقلّ عرضها كلما ارتفعت مما يكسب المئذنة قوة وارتكازاً وثباتاً، ويعلو هذا الطابق طابق آخر مربّع ولكنه أصغر منه كثيراً يزيّن كل ضلع نافذة يكتنفها طاقتان مسدودتان ويعلو الجدار من أعلى كل طابق شرفات على هيئة عقود مفصلة ومفرغة في وسطها[٥] وهي

---

(١) الديوه جي، سعيد ـ جوامع الموصل في مختلف العصور بغداد ١٩٦٣ ص٦ ـ ١٥.

(٢) شافعي، فريد ـ المصدر السابق ١٩٨٢ ص١٥٩.

(٣) سالم، السيد ـ المصدر السابق ص٩ وفريد، العمارة العربية في مصر الإسلامية ج١ ص٦٤٠ والعمارة ماضيها وحاضرها ص١٥٦ و Creswell, opcit, p 110.

(٤) كريسول، المصدر السابق ص٤٣٨ ـ ٤٤٠.

(٥) العميد، طاهر ـ آثار المغرب والأندلس الموصل ١٩٨٩ ص٧٤ والألفي، أبو صالح ـ الفن =

بذلك تكون برجاً ضخماً[١]، وللمئذنة سلّم ضيّق له سقف مبنيّ من الحجارة يضاءُ هذا السلّم بواسطة ثلاث نوافذ في واجهة المئذنة المطلّة على الصحن وخمس فتحات أخرى: ثلاث تطلق على الواجهة الشمالية واثنتان على الواجهة الغربية وهي على هيئة مستطيلات رفيعة ضيقة الفتحات[٢]، وتتميّز مئذنة القيروان بخصائص عربية إسلامية ناضجة من حيث تكوينها المعماري وأسلوب البناء[٣]، وبذلك يعتبر المؤرّخون وعلماء الآثار أن مئذنة القيروان نقطة البداية لتأريخ المآذن وتطوّرها[٤]، وقد يتطرّق إلى الذهن أن بناء هذه المئذنة كان موطنه بلاد الشام وأن الخليفة هشام بن عبد الملك نقله إلى القيروان فهو الذي أمر ببناء هذه المنارة فهي تنبئ عن أن بناءها أتى من بلاد الشام[٥].

١٠ ـ مئذنة قصر الحير الشرقي:

عاشر مئذنة بنيت في العمارة الإسلامية، وهي تقع في الفِنَاء الواقع بين القصرين وتتكوّن من برج مربّع بسيط يبلغ متوسط ضلعه (٢,٩٤)[٦] ويرتفع حوالي (١٠م) ولكن قسمه العلوي مفقود ومتّصلة إلى الدرج الحلزوني من الجهة الجنوبية، والقمة الحالية بمستوى ما كان متراساً للفناء الصغير ويمكن أن تكون أعلى مما هي عليه الآن بمقدار ٢ ـ ٣ أمتار وبالتالي أشرفت على كل الفناء، وأعتقد أنها مئذنة[٧]، ولقد اعتبرها فريد شافعي ثاني مثل باقٍ من المآذن إذ سبقتها مئذنة القيروان على أساس الأدلّة التاريخية لمئذنة القيروان[٨] واعتبرها الباحث ثالث مثل باق بعد مئذنة القيروان وبصرى، ويرى شافعي أن الهدف الأساسي لهذه المئذنة هي المراقبة أكثر منه الأذان إذ أنها تتوسّط الفناء بين المنطقتين الصغرى والكبرى

= الإسلامي، دار المعارف مصر ١٩٨٤ ص١٢٧ وكريستي، المصدر السابق ص١٢٩ وسامح، العمارة العربية في صدر الإسلام ص١٧٤ س١٩٨٢.

(١) حسن، زكي ـ تطور المآذن ص١٧.

(٢) العميد، المصدر السابق ص٧٤.

(٣) شافعي، المصدر السابق ج١ ص٦٤٠.

(٤) مؤنس، المصدر السابق ص١٣١.

(٥) فكري، أحمد ـ المسجد الجامع بالقيروان، مصر ١٩٣٦م ص١١.

(٦) Creswell, opcit, p 118.

(٧) كريسول، الآثار الإسلامية الأولى، دمشق ١٩٨٤ ص٤٨.

(٨) شافعي، فريد المصدر السابق ج١ ص٦٤٠.

للقصر وترجع هذه المئذنة إلى سنة (١١٠هـ)[١] وهو محقّ في رأيه.

١١ ـ منارة موجدة:

تعتبر المئذنة الحادية عشرة، وقد شيّدت في حوالي (١٦١هـ ٧٨٧م) وتقوم في الصحراء على بعد نحو ٢٥ كم إلى الشرق من قصر الأخيضر وعلى الطريق الموصل إليه من الكوفة، وتقوم المنارة في منتصف المسافة بين الخان «خان عطشان» والقصر[٢]، وهي تتكوّن من قاعدة مربّعة يتخلّلها مدخل يؤدي إلى سلّمها الداخلي[٣] ويرتكز فوق القاعدة بدن أسطواني شيّد مع القاعدة من الآجرّ وقد سقط جزؤه العلوي وأن تشييدها في وسط الصحراء لتكون علامة يهتدي بها من يقصد القصر إلى جانب أنها كانت تؤدّي وظيفة أخرى هي المراقبة والإنذار بأي خطر يتهدّد صاحب القصر[٤] وليس للآذان[٥].

١٢ ـ مئذنة جامع قرطبة:

تعتبر الثانية عشرة من بين المآذن التي بنيت في العمارة الإسلامية وقد بناها هشام بن عبد الرحمن بجامع قرطبة سنة (١٧٠هـ ٧٩٦م)[٦] وكانت مربّعة ويصل ارتفاعها إلى ٤٠ ذراعاً إلى موضع الآذان[٧] وقد هدمت هذه المنارة وأعيد بناؤها سنة (٣٤٠هـ) حيث أمر بذلك عبد الرحمن الناصر وذلك حتى تتّفق وجلال الخلافة وتمّ بناؤها ونصب في أعلاها سفوداً[٨].

ولم تتوقّف المآذن على ذلك التطوّر السابق الذكر بل نجدها تخطو خطوات سريعة في تطوّرها وتميّزها من عصر إلى عصر.

---

(١) شافعي، المصدر السابق ج١ ص١٤٦ ومؤنس، المصدر السابق ص١٣٢.
(٢) شافعي، المصدر السابق ١٩٨٢ ص١٦٦.
(٣) ابن الجوزي، المنتظم، الهند ج٩ ص١٥ وابن كثير، المصدر السابق ج١٢ ص٣٦.
(٤) شافعي، المصدر السابق ج١ ص٦٤٧ ومؤنس المصدر السابق ص١٣٢.
(٥) شافعي، المصدر السابق ١٩٨٢ ص١٦٦.
(٦) سالم، محمود عبد العزيز ـ المساجد والقصور في الأندلس مصر ١٩٥٨ ص٢٢.
(٧) ابن عذارى، المراكشي ـ البيان المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب بيروت ١٩٥٠م ج٢ ص٣٤٢.
(٨) سالم، نفسه ص٢٨ والحميري، المصدر السابق ص٥٦ وجوميت الفن الإسلامي في أسبانيا، مترجم ص٩٠ والتلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب بيروت ١٩٦٨ م١ ص٥٦٣ ومؤنس، المصدر السابق ص٣٠.

حيث إنه بعد الملويات التي ترجع إلى عصر بني العباس نجد هناك نماذج أخرى ترجع إلى هذا العصر وهذه النماذج هي مآذن الصعيد حيث توجد خمس مآذن: وهي مئذنة جامع ابن الحجاج، ومئذنة جامع سنا[١]، ومئذنة الطابية بأسوان، ومئذنة المشهد البحري، ومئذنة المشهد القبلي وكلها تنسب إلى العصر العباسي[٢]، بينما نجد البعض من علماء الآثار يرجعها إلى العصر الفاطمي، وهذه المآذن تتكوّن من قاعدة مربّعة يعلوها بدن أسطواني[٣]. ونحن نؤيّد الدكتور فريد شافعي على نسبته لمآذن الصعيد إلى العصر العباسي وذلك لأن مآذن الصعيد تتميّز بظواهر أقرب صلة إلى مآذن العراق وفارس منها إلى مآذن مصر حيث إن مآذن الصعيد تتكوّن من قواعد قصيرة مربّعة المسقط باستثناء جامع أبي الحجاج وأسنا غير أنها تشترك كلها في استدارة البدن الذي يعلو كل مآذن الصعيد[٤].

ثم يأتي بعد ذلك العصر الفاطمي والذي لم يخلص إلينا من مآذنه إلا مئذنتا الحاكم ومئذنة الحبوشي، ومئذنتا الحاكم ترجعان إلى (٣٩٣هـ) عندما شرع الخليفة العزيز باللّه ثاني الخلفاء الفاطميين في مصر ببناء هذا الجامع سنة (٣٨٠هـ) وأكلمه ابنه الحاكم[٥] ولقد أصيبتا هاتان المئذنتان بزلزال شديد سنة (١٣٠٣م) فأصاب الجزء العلوي فيهما وبقي السفلي حيث يتألف الجزء الأصلي من المئذنة الشمالية من قاعدة مربّعة وبدن أسطواني، أما الجنوبية فمن قاعدة مربّعة تنتهي بمثمّن، أما باقي أجزاء المئذنة فمضاف في عهد السلطان الناصر محمد على يدي بيبرس الجاشنكير[٦] وقد قيل إنها ـ أي بيبرس ـ أعاد بناء الطوابق العليا المثمّنة في صورتها الحالية[٧]، وهاتان المئذنتان كالمعطفين بنيتا من الحجارة المصقولة والمصفوفة صفّاً متقناً بينما

(١) شافعي، المصدر السابق ١٩٨٢ ص١٦٤ وسالم، المآذن، ص٢١ وسامح المصدر السابق ص١٨٧.
(٢) شافعي، المصدر السابق ١٩٨٢ ص١٦٤.
(٣) سالم، المآذن ص٢١ وسامح العمارة الإسلامية في مصر ص١٨٧.
(٤) شافعي، المصدر السابق ١٩٨٢ ص١٦٤.
(٥) سالم، المآذن ص١٧.
(٦) Behnens, Abouseif, Islamic Architecture In Cairo p 64 سالم، المآذن ص١٨ وزكي، المصدر السابق ص١٤٦، زكي، تطور المآذن ص٧٢١، كونيل، المصدر السابق ص٤٨.
(٧) سالم، نفسه ص١٨.

بني الجزء العلوي الذي أعاده بيبرس من الآجر[١]، وقد تأثّرت مئذنتا الحاكم بمئذنة صفاقس شمال أفريقية حيث بدأ الفاطميون حكمهم هناك[٢].

وتمتاز مئذنة صفاقس بأنها تشبه منارة جامع القيروان في أسلوب طوابقها وزخارفها[٣] إلا أننا نجد اختلافاً بين المآذن الفاطمية ومئذنة القيروان، بينما نجد الظاهرة الرئيسية التي تتميز بها مئذنتا الحاكم تكمن في الطوابق العليا[٤]، وهذه الطوابق التي جدّدت بينما كانت الطوابق السفلى شبيهة بمئذنة القيروان، ويقوى الشبه إذا قورن معطفا مئذنتي الحاكم بالطابق الأدنى لمئذنة القيروان[٥].

ثم يأتي بعد ذلك مئذنة مشهد الجيوشي، وهي من أهم المآذن المصرية إذ أنها تصوّر مرحلة من مراحل تطوّر المئذنة المصرية[٦]، وأقدم نماذج الطراز المصري للمآذن المعروفة باسم «مئذنة المبخرة»، وفي هذه المئذنة يتّضح تأثير التصميم المعماري لمئذنة القيروان حيث إن تكوينها المعماري يشبه تصميم مئذنة القيروان وذلك من حيث البدن المربّع المرتفع والذي يعلوه جوسق مربّع مشطوف[٧] كما يوجد شبه بين مئذنة الجيوشي ومئذنة صفاقس ولكنها تختلف عن مئذنة القيروان وصفاقس في طابقها العلوي المثمّن[٨] وتزداد أهمية مئذنة الجيوشي في أنها ظهر عليها ولأول مرة في تاريخ العمارة عنصر جديد هو إفريز مزدوج من المقرنصات يدور حول نهاية الطابق الأول وهذا الإفريز ليست له وظيفة معمارية بل إنه عنصر زخرفي فقط[٩].

هذا وكان يقصد من بناء مشهد الجيوشي ومئذنته أن تكون رباطاً للمراقبة[١٠] والإنذار وكانت تلك المئذنة تقوم بتلك الوظائف وإرسال الأخبار واستقبالها[١١] ويرجع تاريخ بنائها إلى الربع الأخير من القرن الخامس الهجري ـ أي منتصف العصر الفاطمي ـ وكانت مآذن هذا العصر

(١) فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها ج١ العصر الفاطمي مصر ١٩٦٥ ص٧٦.
(٢) Creswell, opcit, p 68، سامح، العمارة الإسلامية في مصر ص١٨٦.
(٣) العميد، المصدر السابق ص١١٦.
(٤) فكري، نفسه ص١٦٩.
(٥) فكري، نفسه ص١٦٨.
(٦) سالم، المآذن ص١٩.
(٧) شافعي، المصدر السابق ١٩٨٢ ص١٦٣.
(٨) Creswell, opcit, p 155 Behrnes, Opcit p 65.
(٩) Creswell, opcit, p 155.
(١٠) شافعي، المصدر السابق ١٩٨٢ ص١٦٣.
(١١) شافعي، نفسه ص١٦٤.

تقع فوق المدخل كما في الجيوشي والأقمر[١] وفي هذا العصر نجد الاتجاه في البناء كان يسير نحو تصغير بدن المئذنة وذلك بإحكام بنائه وصقل حجارته حتى تكون أعون على الثبات رغم ضيق القاعدة وارتفاعها، وبدأ برفع القاعدة إلى أعلى ارتفاع حتى يمكنه الاستطاعة من الفائدة بصلابة تلك القاعدة[٢]، ثم يأتي بعد ذلك مثل مهم وهم مئذنة أبي الغضنفر التي تؤرّخ في (٥٥٣هـ) حيث تمثّل هذه المئذنة مرحلة النضج، إذ ازدادت نحافة البدن وتطوّر الطابق العلوي إلى جوسق بمعنى الكلمة وأصبح مثمّن الأضلاع ويعلو الجوسق رقبة مثمّنة وتستقرّ فوقها قبيبة مدبّبة القطاع ذات ضلوع متلاصقة وهي أقدم مثل باقٍ لهذا النموذج الذي عرف بقمة المبخرة[٣]، وتتشابه مئذنة أبي الغضنفر مع مئذنة الجيوشي غير أن القاعدة المربّعة العالية تنتهي بشرفة من الخشب محمولة على كوابيل تعلوها المنطقة المثمّنة[٤] وبذلك تعتبر هذه المئذنة المثل الوحيد للمآذن الفاطمية[٥].

ثم تطوّرت المآذن في العراق وخاصة في العصر العقيلي والأتابكي حيث شهدت «مئذنة عنه» والتي ترجع إلى الربع الأخير من القرن الخامس الهجري وذلك التاريخ على أساس تطوّر العناصر الزخرفية[٦] وهي تتكوّن من بدن مثمّن مقسّم إلى طبقات يجلس على قاعدة مربّعة ويتخلّل بدن المئذنة فتحات[٧]، ثم تأتي بعد ذلك مئذنة سنجار والتي تؤرّخ لسنة (٥٥٩هـ) وهي تتكوّن من قاعدة مثمّنة مزيّنة بجنايا ذات أطر يعلوها بدن أسطواني تهدّم الجزء العلوي منه[٨]. ثم تأتي بعد ذلك مئذنة جامع النوري بالموصل من العصر الأتابكي والتي تؤرّخ بسنة (٥٦٨هـ) والتي تمثّل أسلوباً جديداً في بناء المآذن الذي انتشر أكثر من غيره في المشرق الإسلامي[٩].

---

(١) المعي، صالح، المصدر السابق ص٣١.
(٢) مؤنس، المصدر السابق ص١٣٣.
(٣) شافعي، المصدر السابق ١٩٨٢ ص١٦٤.
(٤) سامح، المصدر السابق ص١٨٨.
(٥) سالم، المآذن ص٢٢.
(٦) سليمان، عيسى وآخرون، المصدر السابق ج١ ص١٤٦.
(٧) سليمان، نفسه ص١٤٤.
(٨) سليمان، نفسه ص١٤٧.
(٩) بلبع، المصدر السابق ص٤٨.

بينما يذكر أحد الباحثين أن تاريخ المئذنة في سنة (٥٦٦هـ)[1] ويقوم بدن المئذنة على قاعدة منشورية ترتفع عن الأرض بحوالي (٢١م) ومعدّل طول ضلعها (٥,٧٠) بني القسم السفلي منها بالحجارة[2]، بينما الجزء العلوي منها بالآجرّ مع بقية المئذنة ويعلو القاعدة بدن أسطواني مقسّم إلى طبقات زيّن بتحليات زخرفية جميلة[3]، هذا ويبلغ ارتفاع بدنها ٥٦م وقاعدتها ترتفع ٢١م[4] ويطلق عليها الحدباء لأن فيها ميلًا في بدن المئذنة ولها سلّمان حلزونيان لا يلتقيان إلا في بدايتها ونهايتها، وتعتبر هذه المئذنة أطول مئذنة في العراق[5]. إلى جانب ذلك نجد هنالك مآذن أخرى هي مئذنة المظفرية في أربيل والتي ترجع إلى نفس الفترة، وكذلك مئذنة داقوق والمكيطمة[6].

وبقي من العصر العباسي في بغداد ثلاث مآذن هي مئذنة الخفافين (٥٨٠هـ) ومئذنة الشيخ معروف الكرخي (٦١٢هـ) ومئذنة القمرية (٦٢٦هـ) ولهذه المآذن قواعد مربّعة ومجوّفة عدا الخفافين فإنها مثمنة وإن بدت مسدّسة[7].

أما في العصر الأيوبي في مصر فإننا نشاهد من بقايا مآذن هذا العصر استمراراً لتطور التقاليد التي كانت متّبعة في بناء مآذن العصر الفاطمي وخاصة مئذنة الجيوشي وأبي الغضنفر لذا فقد احتفظت قواعد المآذن الأيوبية بالشكل المربّع والحجم المكعّب حيث نشاهد ذلك في مآذن المشهد الحسبي ومئذنة المدرسة الصالحية ومئذنة زاوية الهنود، بينما احتفظت الطوابق العليا لهذه المآذن بالطابع المضلّع الثماني الأضلاع[8]، ونجد أن مئذنة المشهد الحسيني قد بنيت سنة (٦٣٤هـ) حيث شرع في بنائها صلاح

---

(١) الديوه جي، المصدر السابق ٤٤.
(٢) سليمان، المصدر السابق ج١ ص١٦١ ـ ١٦٦ وحضارة العراق ج٩ ص٨٣.
(٣) سليمان، العمارات الدينية، حضارة العراق ص٨٣.
(٤) كونيل، المصدر السابق ٦٧ والديوه جي، نفسه ص٤٢ ـ ٤٤ والصوفي، الآثار والمباني الإسلامية في الموصل ص٤١.
(٥) الديوه جي، المصدر السابق ص٤٣.
(٦) سليمان، المصدر السابق ج١ ص١٨٨.
(٧) العاني، المصدر السابق ص٥١ وسليمان، نفسه ص٩٥ والعمارات المدنية ـ حضارة العراق ج٩ ص٩١.
(٨) فكري، المصدر السابق ج٢ مصر ١٩٦٩ ص٨١ وسالم، المآذن ص٢٣ وعكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ص١٢٧.

الدين حيث يشير إلى ذلك نتشان الأول يشير إلى سنة (٦٣٤هـ) بينما الآخر يشير إلى سنة (٦٣٣هـ)، ولقد جدّدت هذه المئذنة وتخلف منها القاعدة حيث تتميّز بجوفاته المقرنصة الثلاثة التي تشغلها حشوات مطوّلة تزخر بزخارف نباتية محفورة في الجصّ[١].

ثم تلي ذلك مئذنة مدرسة الصالح نجم الدين أيوب وهي المئذنة الوحيدة التي بقيت لنا سليمة وتنتصب المئذنة فوق الباب حيث تمثّل الاتجاه إلى زيادة ارتفاع الطابق المثمّن على حساب القاعدة المربّعة[٢]، ويقوم على القاعدة شرفة مثمّنة الشكل تتّكئ على ركائز خشبية[٣]، إلا أننا نلاحظ المآذن الأيوبية أنها ترتفع فوق البوابات حيث أضفت هذه الظاهرة أهمية خاصة على هذه البوابات وأبرزت الطابع الديني لهذه المباني[٤].

أما في العراق وخاصة مدينة السلام فقد بقي لنا فيها من الفترة الإيلخانية مئذنة جامع الخلفاء والتي ترجع إلى سنة (٦٧٨هـ)[٥] وتمثّل في بنائها مختلف الخصائص الفنية والمعمارية لطراز تلك المآذن[٦] وهي تتكوّن من قاعدة اثني عشرية الأضلاع محيطها (٢٠,٦٤م) وترتفع حوالي (٣٣م) وللمئذنة سلّمان حلزونيان لا يلتقيان إلا في الحوض الثاني، وأول ما ظهر هذا النظام من بناء السلالم في مئذنة جامع قرطبة بالأندلس وفي ثلاث مآذن أخرى في القاهرة هي مئذنة قوصون وأزبك اليوسفي والغوري بالأزهر. أما في العرق فيوجد في مئذنة الجامع النوري بالموصل (الحدباء) والمظفرية في أربيل[٧]. ومن مميزات هذه المئذنة المقرنصات المعقّدة التي تسند حوض الشرفة[٨]، ثم تأتي بعد ذلك مئذنة الكفل التي ترجع بتاريخها إلى سنة (٧٠٣ ـ ٧١٦هـ) وأبرز عناصرها المقرنصات التي تسند الحوض وهي تتكوّن من قاعدة مربّعة وبدن أسطواني مزيّن بزخارف آجرية جميلة[٩].

---

(١) و (٢) سالم، المآذن ص٢٤.

(٣) شافعي، المصدر السابق ١٩٨٢ ص١٦٤ وسالم، المآذن ص٢٥.

(٤) فكري، المصدر السابق ج٢ ص٨١.

(٥) سليمان، المصدر السابق ج١ ص٢١٠.

(٦) الجنابي، كاظم ـ مئذنة سوق الغزل ص١.

(٧) سليمان، المصدر السابق ص٢١٠ والجنابي، نفسه ص١.

(٨) سليمان، المصدر السابق ٢١٠ والعاني، المصدر السابق ص٥٥ ـ ٥٩.

(٩) سليمان، المصدر السابق ص٢١٧.

ثم نجد بعد ذلك في مصر وخاصة القاهرة أن مآذنها تطوّرت تطوّراً كبيراً حيث ظلّ متّبعاً في عصر المماليك نظام المآذن ذات المباخر التي نشأت في العصر الأيوبي ومن أمثلة ذلك مئذنة زاوية الهنود ومئذنة الصالح نجم الدين حيث ظلّ ذلك متّبعاً في بناء المآذن ذات المباخر في عهد بيبرس الجاشنكير مثل قمة مئذنة الحاكم، ثم تطوّر هذا النظام فجأة في مئذنة سلار وسنجر الجاولي إذ أنه زيد في ارتفاع الطابقين العلويين وأصبح طابق القمة العلوي للمئذنة مستديراً، وتتبع مئذنة قوصون هذا الأسلوب الجديد حيث أثّر هذا النظام في ابتداع المآذن ذات الجواسق القائمة على أعمدة وهو النوع الذي ظهر في مئذنة المارادني (٧٣٩هـ) والسلطان حسن (٧٦٤هـ)، وقد احتفظت مئذنة سلار بنفس الخوذة = المبخرة ـ بفصوصها واتسمت بالدقة والرشاقة والجمال[١]، وتتميز مآذن هذا العصر بتصميم جديد فهي على شكل رقبة آنية الشرب المعروفة بالقلّة وتوّجت بغطاء يشبه الكمثرى ومن ثم سمّيت بنموذج القلّة[٢]، ولقد استعمل في هذا العصر الحجارة الملوّنة التي كوّن بها حليات هندسية، لتزيين واجهة المدخل كما استعمل لبعض المآذن كورنيش بدلًا من حطات المقرنصات ومثال ذلك مئذنة مدرسة قلاوون كما استعمل القاشاني في عدد قليل من مآذن هذا العصر وكان ذلك الأول في الجزء العلوي من مئذنة خانقاه بيبرس الجاشنكير (٧٠٦هـ)[٣] ثم استمرّ شكل المئذنة في عصر الملوك الجركس.

ولكن غلب المسقط الدائري للطابق الأوسط وبلغت درجة عالية من الرشاقة وأصبحت غنية بالزخارف الحجرية وازدادت المقرنصات ومن أمثلة ذلك مئذنتا برقوق (٨٠١هـ) والأشرف بارسباي (٨٢٩هـ) وفي نهاية هذا العصر نجد مئذنة بقبّتين مثل مئذنة قايتباي (٩٠٨هـ) ومئذنة الغوري بالأزهر (٩١٥هـ) واستعملت التكسيات الرخامية في مآذن ذلك العصر وكان أول مثال لها مدرسة السلطان برقوق (٧٨٦هـ) واستعمل العقد المزخرف في العصر المملوكي الجركسي في تغطية فتحات المآذن كما وجد في خانقاه برقوق[٤] إلا أن هذا العقد تواجد بكثرة في العصر الفاطمي.

تلك هي لمحة تاريخية عامة عن تطوّر المآذن حتى نهاية العصر المملوكي.

---

(١) سالم، المآذن ص٢٦ وصالح، المصدر السابق ٣٢ والألفي، المصدر السابق ص١٢٧.
(٢) شافعي، المصدر السابق ١٩٨٢ ص١٦٥.
(٣) لمعي، المصدر السابق ص٣٢.
(٤) لمعي، المصدر السابق ص٣٣.

المبحث الثالث

الأصل المعماري للمئذنة

اختلفت الآراء وتباينت في وجهات النظر بالنسبة للأصل المعماري للمئذنة، وذهب العلماء مذاهب شتّى ويرى الباحث تقسيم وجهات النظر لعلماء الآثار إلى أشكال الاشتقاق المعماري للمئذنة وكذلك في أصولها المعمارية، فمنهم من رأى أن المئذنة تقليداً سورياً للأبراج الكنائس المربّعة التي كانت في بلاد الشام فيما قبل الإسلام وكذلك أبراج الحراسة في الجزيرة العربية، بينما رأى البعض الآخر أن المآذن ما هي إلا محاكاة لمنار الإسكندرية وهو المنار ذو الشكل المربّع القاعدة والذي يعلوه مثمّن ثم مستدير، والفريق الآخر رأى أن المعابد العراقية القديمة البزقورات لها التأثير المباشر على الملويات، وهذه الأشكال المعمارية هي:

البرج المربّع، الشكل ذو القاعدة المربّعة ثم المثمّن فالمستدير، الشكل الإسطواني ـ الشكل الحلزوني.

١ ـ الشكل ذو القاعدة المربّعة:

لقد اندثرت المآذن الأولى ولا نعرف شكلها وقد سبق أن أوضحنا في مبحث تاريخ المآذن التسلسل التاريخي للمآذن والمآذن الباقية.

«إن فكرة المئذنة نشأت في سوريا في ظلّ الدولة الأموية وأن المآذن الأولى اشتقّت معمارياً من أبراج الكنائس السورية»(١)، هذا ويعتقد الأستاذ كريسول أن أقدم صور المآذن بسوريا كانت تنحو نحو الأبراج المسيحية المربّعة التي كانت قائمة في سوريا قبل الفتح الإسلامي كما هو الحال في أبراج المعبد الوثني بدمشق(٢)، ولا شك أن هذه الأبراج كانت المآذن الأولى لأن ابن الفقيه يشير بقوله: إن المئذنة التي في جامع دمشق كانت برجاً للروم، وعندما حوّل الوليد المنطقة كلها(٣) إلى مسجد فأصبحت مسجداً بناه الوليد بمتانة والصوامع أبراج الأركان الأربعة لم تتبدّل(٤).

(١) سالم، المآذن ص٩ وحسن، تطور المآذن ص٧١٧ وبهنسي تاريخ الفن والعمارة ص٣١٨ وعكاشة القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار المعارف القاهرة ١٩٨٢ ص١٢٢.

(٢) كريسول، تاريخ المآذن ـ ص٤٣٨.

(٣) و (٤) كريسول، الآثار الإسلامية الأولى ص٨٥.

ويقول كريسول إن هناك أسباباً تجعله يحمل على الاعتقاد أن الأبراج الأربعة بسور المعبد الوثني بدمشق هي الأصل الذي بنيت على منواله الصوامع الأربع التي أنشأها مسلمة بن مخلد في جامع عمرو بالفسطاط وأن هذه الصوامع كانت أبراجاً صغيرة(١).

وقد استند كريسول بنظريته تلك على عبارة المقدسي التي ذكر فيها أن مآذن سوريا تتميز بأنها مربّعة كلها ويقول كريسول: إن هذا أمر طبيعي لأن أبراج الكنائس السورية قبل الإسلام كانت من هذا النوع ويضرب أمثلة لذلك برج قصر البنات ودير سان وغيره، وقد حافظت المئذنة السورية على هذه الصورة خلال قرون طويلة فمعظم مآذن سوريا تتألف من بدن يمتدّ من القاعدة حتى ما يقرب من القمة(٢)، إلا أن أرنولد كريستي يقول: وحتى لو صحّ أن الأبراج المربّعة في جامع دمشق كانت أولى المآذن التي اتّخذت لهذا الغرض فلسنا نظن أننا بحاجة إلى أن ننسب إلى سوريا أو أي إقليم آخر نشأة أي بناء(٣)، هذا ونورد أمثلة المآذن التي تتّخذ الشكل المربّع في بلاد الشام وهي مئذنة المسجد الجامع بحلب (٤٨٢هـ ـ ١٠٨٩م)، ومئذنة جامع الخضر في بصرى (٥٢٨هـ ـ ١١٣٥م)، ومئذنة المسجد الجامع في معرّة النعمان (٥٧٥هـ ـ ١١٧٩م)، ومئذنة المسجد الجامع في قلعة حلب (٦١٠هـ ـ ١٢١٣م)، ومئذنة مسجد عمر في بصرى (٦١٨هـ ـ ١٢٢١م)(٤).

هذا وقد انتقل التأثير السوري إلى المغرب حيث يتجلّى ذلك التأثير في مئذنة القيروان(٥) حيث قيل إن أبراج الكنائس في بلاد الشام كانت أفضل نماذج اقتبست منها مئذنة القيروان وبرج الشيخ علي كاسون بالقرب من حماة، ويدلي كريسول بذلك وإن بناء هذه المئذنة كان موطنها الأول في الشام وأن الخليفة هشام بعثه إلى القيروان(٦)، إلا أن فريد شافعي يقول إن مئذنة القيروان تتميّز بخصائص عربية إسلامية ناضجة من حيث التكوين

---

(١) كريسول، تاريخ المآذن ص٤٣٩ وعبد الجواد، توفيق ـ تاريخ العمارة والفنون ص٥٥.
(٢) سالم، المآذن ص٩.
(٣) كريستي، المصدر السابق ص١٢٩.
(٤) شافعي، فريد، مئذنة مسجد ابن طولون رأي في تكوينها العماري مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد م١٤ ج١ س١٩٥٢ ص١٧٠.
(٥) سالم، المآذن ص٩.
(٦) فكري، المسجد الجامع القيروان ص١١٠ ـ ١١١.

المعماري وأسلوب البناء وليس فيها شيء يمكن نسبته إلى طراز معيّن سابق، ذلك أنه ليس هناك أي صلة بين التكوين المعماري لمئذنة القيروان وتفاصيلها وبين الصوامع القديمة في المعبد الروماني بدمشق[١] ولا بغيرها من الأبراج من الطرز السابقة على الإسلام[٢]، ولقد اتّخذت مئذنة القيروان أنموذجاً لمآذن المغرب والأندلس بينما يرجّح السيد سالم أن عبد الرحمن الداخل هو أول من أدخل المآذن السورية إلى المساجد الأندلسية حيث بنى ابنه هشام مئذنة مربّعة بجامع قرطبة سنة (٧٩٦هـ)[٣]، وبنى عبد الرحمن الأوسط مئذنة جامع إشبيلية وهي لا تفترق كثيراً عن المآذن السورية ذات الأبدان المربّعة، ثم انتشر الطراز السوري للمئذنة في المغرب حيث بنيت إلى جانب جامع قرطبة مئذنة جامع الزهراء (٣٢٩هـ ـ ٩٤١م)، ومئذنة صفاقس (٣٦٩هـ ـ ٩٨١م)، ومئذنة قلعة حماد، ومآذن تلمسان ومراكش والرباط وهي على نفس طراز مئذنة القيروان[٤].

ويقول **«أحمد فكري»**: إنه لا جدال في أن نظام مئذنة القيروان اشتقّ من تلك الأبراج الضخمة المربّعة الأضلاع من أساسها إلى قمّتها، ولكن ما أشدّ الفرق بين بنيانها وما أكثر اختلاف مستوى قيمتها الفنية، إذ تظهر الأبراج في هيئة جمود وتخلو نسبها من مظهر التوازن حيث نرى مئذنة القيروان ترتسم في الفضاء ككتلة تجمع بين الانسجام والتوازن، وإن تناسق نسب عرضها إلى ارتفاعها ليزيد عظمتها ظهوراً، ولقد اتّخذ رجال الفن من المسلمين في بلاد المغرب والأندلس مئذنة مسجد القيروان أنموذجاً لمساجدهم[٥]، إلى جانب ذلك نجد أن مئذنة جامع القصبة بالرملة اتّخذت نفس النموذج هي ومئذنة القيروان مثالان من أمثلة استمرار الأخذ بالتقاليد المعمارية السورية[٦]، ويؤكد كريسول بقوله: «يمكننا أن نقرّر ونحن واثقون أن فكرة بناء المآذن نشأت في سوريا في عهد الخلفاء الأمويين وأن المآذن

(١) شافعي، المصدر السابق ج١ ص٦٤٠.
(٢) شافعي، المصدر السابق ١٩٨٢ ص١٥٩.
(٣) سالم، المساجد والقصور ص٢٢ والإدريسي، وصف المسجد لجامع بقرطبة الجزائر ١٩٤٩ ص١١ و١٢.
(٤) سالم، المآذن ص٩ والعميد طاهر ـ المصدر السابق ص٧٤.
(٥) فكري، نفسه ص١١١.
(٦) كريسول، تاريخ المآذن ص٢٤٢ Creswell, opcit, p 329 .

كانت أبراجاً مربّعة وأن المآذن التي بناها المسلمون اشتقّت معمارياً من أبراج الكنائس السورية، أضف إلى ذلك أن التقاليد السورية في بناء المآذن قد بقيت عدة قرون بل إنها نفذت إلى الجانب الشمالي من بلاد الجزيرة، كما يلاحظ في مآذن الرقّة وحرّان وديار بكر(١). بينما نجد أن الأستاذ «كونل» يقول: إن منار المسجد الجامع بدمشق التي أقيمت للآذان خاصة فالمرجّح أنها مأخوذة من الفنارات وأبراج الإشارة المعروفة في العصور السابقة وبخاصة أبراج القبور التدمرية، ولم يكن الدافع إلى اتجاه تقليد روعة الأبراج الكنسية في سوريا، وقد أدّى إدخال هذه التجديدات(٢) الجوهرية على بناء المساجد إلى ابتكارات أخرى لإبراز جمال العمارة(٣) إلا أنه لم يكن هناك ربط بين المآذن وأبراج المراقبة المستديرة الشكل التي استعارته الكنائس والأديرة المسيحية من أجل رفع الناقوس أو كخلوة للرهبان، فلا ضير أن يكون المسجد قد استعارها لرفع الآذان، والمهم أن النقل لم يكن بغير تصرف خاصة أنه كان للكعبة تأثيرها، وكذلك أبراج اليمن واليمامة المربّعة(٤)، ومن المهمّ الإشارة إلى أن برج المئذنة تطوّر إلى منارات على سواحل المغرب وعن هذه الطريق دخل اسم المنارة Minaret في اللغات الأوروبية ليعبّر عن المئذنة كما صار بعد ذلك صومعة عندما استخدمت كخلوة للعبادة(٥). إلا أننا نجد أن الصومعة كانت موجودة قبل المئذنة حيث ذكرت في القرآن الكريم: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ﴾ [الحج: ٤٠] ولم تذكر المآذن، كذلك سبقت المنارة المئذنة في نشأتها ومنها منارة الإسكندرية والمنار الذي ضربه أبرهة بن الحارث في مغازيه ليهتدي بها إذا رجع.

ونجد أن الأستاذ «عاشور» يرى أن الشكل المربّع للكعبة المشرّفة مصدر وحي لبناء مآذن المسجد النبوي المربّعة أو المكعّبة، وكذلك لا بأس في أبراج بلاد العرب الجنوبية(٦). وبعد استعراض آراء الكتّاب والمستشرقين من أجانب وعرب نخلص إلى أن المآذن الإسلامية ربما تكون قد تأثّرت

(١) كريسول، تاريخ المآذن ص٤٤٢.
(٢) و (٣) كونيل، المصدر السابق ص١٧.
(٤) عاشور، المصدر السابق ص٤٦٠ وحسن، فنون الإسلام ص١٤٤.
(٥) عاشور، المصدر السابق ٤٦١.
(٦) عاشور، المصدر السابق ص٤٧٩.

بأبراج الكنائس السورية[١]، فبينما يرى الباحث أن أبراج الكنائس كانت وما زالت جزءاً لا يتجزّأ من مبنى الكنيسة مرتبط بها عضوياً في البناء ولم يحدث أن تطوّرت هذه الأبراج.

أما المئذنة وإن كانت قد اشتقّت من أبراج (الكنائس أو المحاريس) فإنها لم ترتبط عضوياً بالبناء الأصلي للمسجد فقد تكون في أركان المسجد أو أي ركن فيه أو على إحدى واجهتيه أو خارجه عن نطاق المبنى الأصلي للمسجد، هذا إذا ما أخذنا في عين الاعتبار أن المئذنة ليست عنصراً رئيساً في المسجد إذا ما اتخذناها ضمن بناء المسجد (بيت الصلاة والمؤخّرة والمجنّبتين).

وبما أنها كذلك فهي حرّة الحركة في تطوّرها فقد تطوّرت كثيراً حتى وصلت إلى أقصى تطوّر لها في العصرين الأيوبي والمملوكي وأصبحت نهايتها ذات شقّين وأكثر كما في جامع الأزهر بمصر، هذا مما يحدونا إلى القول إن عناصر العمارة الإسلامية ـ ومنها مآذننا ـ ليست جامدة بل إنها تتطوّر بخلاف غيرها من الأبنية المسيحية والوثنية.

٢ ـ الشكل ذو القاعدة المربّعة والبدن الإسطواني:

ولقد اختلف العلماء في بحث أصل المآذن من الناحية المعمارية فذهب بتلر إلى الاعتقاد أن منار الإسكندرية اتّخذ أنموذجاً للمآذن المصرية[٢] وفي ذلك يقول «بتلر»: إن منائر المساجد المصرية إنما رسمت على رسمها ونسجت على منوالها وقد سمّيت باسمها، وإن منائر القاهرة وإن اختلفت أشكالها وتباينت رسومها لا تزال الكثرة منها على رسم «سوستراتوس» لا فرق فيما بينها فهي برج قاعدته عند الأرض مربّعة الشكل ثم تصير مثمّنة وتدقّ في حجمها ثم تدقّ بعد ذلك ويستدير شكلها ثم يعلوها عند القمّة مصباح[٣]. ولقد أدلى بتلر بنظريته هذه بعد قراءته لوصف عبد اللطيف البغدادي لمنار الإسكندرية الذي كان قائماً في زمنه ويقول بتلر: بينما كنت أنظر ذات يوم إلى إحدى مآذن القاهرة وكان وصف عبد اللطيف البغدادي عن منار الإسكندرية ما يزال ماثلاً في ذهني إذ لاحظت

(١) الياور، طلعت رشاد ـ تطور مآذن القاهرة، بحث غير منشور.
(٢) سالم، المآذن ص٦.
(٣) بتلر، الفردج ـ فتح العرب لمصر عربّه محمد فريد أبو حديد. القاهرة ١٩٣٣ ص٣٤٥.

الإتفاق التام بين عناصر المئذنة ومنار الإسكندرية وفقاً لما وصفه به(١)، فقد ذكر عبد اللطيف أن منار الإسكندرية كان قائماً في سنة (٢٠٠م)(٢) ويتفق هذا النظام ونظام المئذنة المصرية(٣) وهذا المنار بناه سوستراتوس الكنيدي في أيام بطليموس فلا ديفوس وكان يقصد منها هداية السفن(٤)، وقد ذكرها الإصطخري وابن هوقل والإدريسي والمسعودي بقوله: وقد ظلّت منارة الإسكندرية ترشد السفن إلى البحر وتؤدّي عملها إلى أن هدمت في عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان وكان طولها ١٠٠٠ ذراع والمرآة على علوها(٥).

كما ذكرت كذلك في الموسوعة الميسّرة(٦) وقد حاول تيرش Thiersh أن يستنتج الهيئة المعمارية لفنار الإسكندرية على أساس أقوال المؤرّخين، وقد ذهب تبرش إلى تدعيم نظرية بتلر السالفة الذكر وهي نظرية شاعت بين مؤرّخي الفنون(٧)، وقد وافق الدكتور فريد شافعي كريسول حيث رفض كريسول الأخذ بهذه النظرية، ثم رتّب المآذن بقدر ما في وسعه ترتيباً تاريخياً وخرج من ذلك بنتيجة مهمّة وهي أن المآذن التي يتعاقب فيها الطابق المربّع فالمثمّن فالمستدير هي أندر أنواع المآذن وأن مآذن هذا النوع قد تطوّر بالتدريج من عناصر لا علاقة لها بنظام الإسكندرية إذ أن أول مئذنة تتمثّل فيها هذه الظاهرة هي مئذنة سلارو وسنجر الجاولي وهذه لم تبن قبل عام ٧٠٣هـ. وكانت القاعدة المربّعة لمنار الإسكندرية قد تهدّمت(٨)، والحقيقة أنه لما كانت المآذن الأولى لم تنتشر إلا بعد بناء مآذن المسجد النبوي(٩)، ولما كانت المآذن الأولى في الفسطاط قد عرفت باسم المنائر فإن ذلك مما يدعو إلى التفكير في أن يكون لمنار الإسكندرية القديم تأثيره في عمارة المآذن، فإطلاق اسم المنارات على مآذن جامع عمرو بالفسطاط عند إعادة بنائه سنة (٩٢هـ ـ ٦٧٠م) في عهد الوالي فرة بن شريك يعني أن

---

(١) سالم، المآذن ص٦.
(٢) سالم، المآذن ص٧.
(٣) كريسول، تاريخ المآذن ص٤٣٨ ـ ٤٤٠.
(٤) بتلر، المصدر السابق ص٣٣٨.
(٥) المسعودي، أبي الحسن علي ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر بيروت ١٩٦٥ ج١ ص٤١٨.
(٦) غربال، الموسوعة الميسرة ص١٤٧.
(٧) شافعي، مئذنة ابن طولون ص١٧٣.
(٨) سالم، المآذن ص٨.
(٩) عاشور، سعيد ـ دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ج١ ص٣٣١.

المنارة أضافت إلى الأذان وظيفة أخرى هو الإنارة أي الهداية إلى المسجد في الليل وخاصة في شهر رمضان عند الإفطار والإمساك، ولما كانت منارة الإسكندرية القديمة تقوم بغرض حراسة البحر صيفاً خشية العدو فإن مآذن المساجد والربط والمحاريس التي كانت على طول الساحل الإفريقي فيما وراء الإسكندرية غرباً كانت تقوم بوظيفة الحراسة والإنذار(١).

وأما في مصر وفي العصر الفاطمي فإن آثار أقدم المآذن ما زال معظمها باقياً وتتكوّن من قاعدة مربّعة يعلو القاعدة باقي أجزاء المئذنة من مثمّن ومستدير(٢)، وبقي هذا التقليد قائماً في مصر حتى القرن ١٤م. وأما بالنسبة لمآذن المغرب والتي ما زالت تحيي هندسة منارة الإسكندرية فهي المنارات الثلاث التي بناها الموحّدون في القرن السادس الهجري ١٢م وهي مئذنة الكتيبية بمراكش ومئذنة جامع إشبيلية والجرالد ومئذنة جامع الرباط(٣)، وبذلك نجد أن مئذنة الإسكندرية تمثّل الإلهام لتلك المآذن من حيث الكتلة المربّعة التي تكوّن الجسم الرئيسي للمئذنة.

٣ ـ الشكل الإسطواني:

يعتبر هذا الشكل من الخصائص المميّزة لمآذن العراق حيث إن هذا الطراز من المآذن كانت نشأته في العراق وهو من أقدم الأمثلة الباقية على طراز المئذنة ذات الشكل الإسطواني المستدير والذي اتّخذ أنموذجاً لمآذن شرق العالم الإسلامي أي آسيا الصغرى والعراق وفارس والهند وأفغانستان، وإننا نجد حلقات تطوّر هذه المآذن تبدأ بمثلين من العصر العباسي المبكّر وما يزالان قائمين حتى الآن وهما مئذنة موجدة والتي شيّدت حوالي (١٦٠هـ) وكذلك مئذنة جامع الرقّة والتي تؤرّخ سنة (٥٦١هـ ـ ١١٦١م). وتكشف هاتان المئذنتان عن الاتجاه نحو تصميم المآذن على الشكل الإسطواني(٤)، ويبدو أن المعماريين العراقيين قد أُغرموا بالشكل الإسطواني ولا نجد شكاً في أن التصميم الإسطواني العراقي كان أساساً شيّدت على

---

(١) عاشور، المصدر السابق ص٤٨٠ و٤٨١.

(٢) شافعي، مئذنة ابن طولون ص١٧٠ وسالم، المآذن ص١٨ وعكاشة، المصدر السابق ص١٢٦.

(٣) عاشور، المصدر السابق ص٤٨١.

(٤) شافعي، المصدر السابق ١٩٨٢ ص١٦٦ والعمارة في مصر ج١ ص٦٤١.

منواله مآذن فارس وآسيا الصغرى والهند[١]، وهذا الطراز الإسطواني مستدقّ الطرف نشأ في العراق وإيران[٢]، وهذا الطراز يؤكد خطأ نظرية اشتقاق المئذنة من أبراج الكنيسة على الرغم من وجود الكنائس في العراق[٣].

أما في إيران فإن المآذن الإسطوانية بدأت منذ ق ٥هـ حيث كانت المئذنة الإيرانية دقيقة الطرف قليلًا وتنتهي في أعلاها بردهة وعمّم هذا الطراز في إيران منذ القرن السادس وأن المآذن الإيرانية بسبب ارتفاعها لم تكن تستخدم للأذان[٤]. أما في الهند فقد ظلّت المساجد تشيّد بدون مآذن فترة طويلة ثم عمّم استعمال المنارات منذ ق ٩هـ وساروا على منوال الإيرانيين ـ والعراق ـ حيث كانت معظمها إسطوانية تضيق كلما ارتفعت، ومن أجمل المآذن الهندية قطب منار[٥]، وهكذا نرى أن الشكل الإسطواني عم أكبر رقعة في العالم الإسلامي.

٤ ـ الشكل الحلزوني:

انفردت مئذنة الجامع الكبير بسامراء (الملوية)، ومئذنة جامع أبي دلف في مدينة الجعفرية ومئذنة أحمد بن طولون في القطائع بهذا النموذج للمئذنة الحلزونية عن سائر مآذن العالم الإسلامي إلا أن هذا الشكل للمئذنة كغيره من الأشكال تعرّض للكثير من نظريات وآراء المستشرقين، ولهذا يودّ الباحث عرض تلك الآراء باقتضاب لأن الكثير قد تعرّض لذلك وما ينطبق على ملوية سامراء ينطبق على غيرها.

٥ ـ مئذنة الجامع الكبير بسامراء:

حظيت هذه المئذنة باهتمام بالغ من قبل علماء الآثار وهذه المئذنة من أقدم ما بقي من مآذن العراق بعد مئذنة «موجدة» وتشتهر بشكلها الحلزوني وتعرّضت لآراء ونظريات المستشرقين من ناحية اشتقاق شكلها المعماري

---

(١) شافعي، المصدر السابق ١٩٨٢ ص١٧٠ والعمارة في مصر ج١ ص٦٤١ ومؤنس ص١٣٤ وحسن، فنون الإسلام ص١٤٨ والألفي المصدر السابق ص١٢٩.

(٢) عكاشة، المصدر السابق ص١٢١.

(٣) شافعي، المصدر السابق ١٩٨٢ ص١٧٠.

(٤) حسن، تطور المآذن ص٧٢٣ ـ ٧٢٦ وفنون الإسلام ص١٤٩.

(٥) حسن، تطور المآذن ص٧٢٦.

حيث يُرى أن الشكل المعماري للملوية قد انحدر عن شكل الزقورة القديم للسومريين والبابليين والآشوريين وأن أقدم تأييد لهذه النظرية قدمه ثيلمان في عام (١٨٧٥م) حيث وصف ثيلمان الملوية بقوله: «إنها برج عظيم ظاهر، ذات شكل فيه تقليد لبرج بابل القديم[١]. وقد اتّخذ هذا الاقتراح كأساس للآراء التي قدّمها الكثير من المؤلّفين والكتّاب الذين أعقبوا ثيلمان ومنهم دي بيليه الذي يشير إلى أن الملوية مقتبسة من الزقورات الكلدانية.

وينسب كونيل الملوية إلى الزقورات البابلية وكذلك تنسب مس بل الملوية إلى المعابد الهرمية في بلاد آشور[٢]. ويشير ديفوار إلى الأبراج المدرجة في آشور وبابل[٣] وينسبها كونل إلى الأبراج المدرجة[٤]، كذلك وتيرسا وكربسول[٥]، والبعض الآخر يعتقد أن شكل الملوية متخذ من طربال غور وكان هرز فيلد أول من طرح هذه الفكرة[٦]، وبعد دراسة تلك الزقورات السالفة الذكر وضحت بأن الآراء التي قدّمها سالفو الذكر تخضع للنقاش إذ أنه من الصعوبة بمكان الاعتقاد أن منارة سامراء وأبي دلف قد اقتبس شكلهما المعماري مباشرة من تلك الزقورات[٧]، هذا وقد كشفت التنقيبات الأثرية عن عدد من الزقورات في بلاد ما بين النهرين وفارس مثل زقورة عقرقوف، وزقورة خرسباد وبابل وبرج غور، ولقد قام الدكتور العميد باستعراض أوصاف تلك الزقورات وحالتها أثناء بناء الملويات فخلص إلى القول بأنه لم يكن هناك نماذج من الزقورات أو بيوت النار الفارسية في حالة مصانة وجيدة الحفظ لتدلّ على أن المعمار الذي بنى الملوية قد تأثّر بمخططات تلك الزقورات، وبناء على ذلك فإننا نشير مع بعض التحفّظ إلى أن هذا النموذج من المنارة لم يكن موجوداً في تاريخ مبكّر في كل من العراق ومصر، ولكننا نرى أنها قد ابتكرت لأول مرة في العصر العباسي[٨].

(١) العميد، طاهر ـ العمارة العباسية في سامراء بغداد ١٩٧٦ ص٢١٧.

(٢) De Behlie L, prom et samarra p 115.

(٣) Bell, G, L, Amurah to Amurah p 246.

(٤) Rivorra Gt, Moslem Architectur p 147.

(٥) Kunel, E, Islamic Art and Architecturn p 51.

(٦) Creswell, opcit, p 246 and Ashraccont p 280.

(٧) Herzfeld, E, Samurra Aufnahment and unter suchungen Zur Islamischen Archaologie p 28 30.

(٨) العميد، طاهر، نفسه ص٢١٩.

هذا وإذا ألقينا نظرة عن بعض الكتابات الأخرى لوجدنا أنها تشير إلى أن الزقورات هي الوحي الذي استلهم منه معمار الملوية.

إن فكرة بناء أبراج عالية مربّعة أو مستديرة أو حلزونية كان معروفاً منذ أقدم الأزمنة وكان ابتكاراً عراقياً، ولعلّ أحسن مثال على ذلك زقورة ينار إله القمر في أور[١]، وربما أن الزقورة قد استخدمت كأنموذج للملوية في سامراء حيث يبدو أن هناك تشابهاً في فكرة البناء بين الملوية والزقورة من حيث السلم الذي يدور حول برج عكس اتجاه ـ عقارب الساعة[٢]، كما أشار إلى ذلك عفيف بهنسي بقوله: إن فكرة المآذن والأبراج يرجع إلى الزقورات الرافدية[٣]، ونجد هناك رأياً آخر يقول: «إن امتداد التدوير الهندسي ينسجم مع العمارة العباسية منذ بناء بغداد المدوّرة بدلًا من التربيع الذي يغلب على العمارة الأموية، والملويات بشكلها المخروطي وطريقة الصعود الخارجي الحلزوني مما يذكرنا بالمعابد الآشورية المعروفة بالزقورة[٤]، هذا وقد وصل طراز الملوية إلى مصر مع أحمد بن طولون الذي نقله إلى جامعته ومئذنته في مدينة القطائع حيث ذكر «فريد شافعي» «أن مئذنة ابن طولون قد بنيت في الأصل على نمط ملوية سامراء»[٥].

(١) مورتكات، أنطوان ـ الفن العراقي القديم ترجمة عيسى سليمان وطه التكريتي ص١٩٥.
(٢) الياور، المصدر السابق بحث غير منشور.
(٣) بهنسي، تاريخ الفن والعمارة ٣١٨ وعكاشة، المصدر السابق ص١٢٥.
(٤) عاشور، المصدر السابق ص٤٨٣.
(٥) شافعي، مئذنة أبو طولون ص١٧٠ وبلبع، المصدر السابق ص٤٧ وبهنسي، نفسه ص٣١٩ وعبد الرهاب، حسن.

نشوء المئذنة اليمنية

في هذا الفصل سوف يعرج الباحث على بداية ظهور المئذنة في اليمن من خلال الإشارات التاريخية التي بين أيدينا والتي لم تف بطلب الباحث إذ لم يرد في تلك الإشارات وصف كامل للمآذن حيث إن مؤرّخينا ـ رحمهم اللّه ـ لم يشيروا إلى ذلك العنصر المعماري إلا إشارات بسيطة لم تسعف الباحث في أن تكون له دليلًا تاريخياً يستند عليه في هذا البحث.

فقد نجد مؤرّخاً يتحدث عن أمير ما قام بتشييد مئذنة أو عن مئذنة ما سقطت في سنة ما، كما أننا لا نجد مآذن باقية من العصور الأولى للإسلام، ونجد أن أول نصّ لوصف تاريخي لمئذنة هو ذلك النصّ الذي سجله سريّ بن إبراهيم العرشاني سنة (٦٠٣هـ) والذي وصف به مئذنتي الجامع الكبير بصنعاء والذي سنتحدث عنه في الفصل القادم.

وسنوضح في هذا الفصل تلك الإشارات، ثم نعرج على المآذن في اليمن لكي نتعرّف على طرزها وتخطيطها وصلتها بالمسجد.

المبحث الأول

المئذنة في بداية الظهور

تعتبر اليمن جزءاً مهماً من الدولة العربية الإسلامية، فقد كانت من أوائل الأقطار التي لبّت دعوة الإسلام ومن ثم أرسلت وفودها إلى رسول اللّه ﷺ ليعلنوا إسلامهم وليؤزروا رسول اللّه ﷺ في نشر الإسلام، فكان أن أمر الرسول ﷺ بأن تبنى المساجد في أغلب مخاليف اليمن، فها هم رسل رسول اللّه ﷺ تصل إلى اليمن وتأمر ببناء المساجد التي كانت من أولى المساجد التي أنشئت بعد مسجد الرسول ﷺ بالمدينة كمسجد صنعاء والجند.

إلى جانب ذلك نجد أن اليمنيين كان لهم حظّ كبير في نشر الدعوة الإسلامية في بقاع كثيرة، وكانوا أصحاب علم بالهندسة، لذلك اختير بعضهم للوقوف على تشييد المدن التي أنشئت في الأقطار الإسلامية

كالبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان[1]، ويشير آدم ميتز إلى أن مكة والفسطاط بنيتا على طراز مدينة صنعاء وكان بالفسطاط دور من طبقات كثيرة تبلغ الثمانية حتى كأنها المنائر[2].

وفي هذا القطر ـ اليمن ـ لم نجد إشارة تاريخية لبناء مئذنة في العصر الراشدي، ولكننا نجد أنه عندما أمر معاوية بن أبي سفيان «مسلمة بن مخلد الأنصاري واليه على مصر بأن يبني مناراً للمساجد، زاد مسلمة في مسجد عمرو بالفسطاط بعد بنيان عمرو بن العاص له، ومسلمة كان أخذ أهل مصر ببنيان المنار للمساجد وكان أخذه إياهم بذلك في سنة (٥٣هـ) فبنيت المنار للمساجد وكتب عليه اسمه». حدّثنا يحيى بن عبد اللّه عن بكر قال: أخذ مسلمة بن مخلد الناس ببناء المنار للمساجد[3] ووضع ذلك عن مسجدي خولان وتجيب لأنه كان صاهراً إليهم وأسقط ذلك عنهم[4]، وقيل: إن معاوية أمر ببناء الصوامع للآذان[5]، ولم نجد في المصادر التي وصلت إلينا إشارة إلى إقامة مآذن قبل القرن الثالث الهجري في اليمن.

وأول إشارة تاريخية إلى وجود مئذنة كانت في سنة (٢٦٥هـ) حيث ذكر أنه انقضّت في صنعاء في السنة المذكورة صاعقة في النهار من غير مطر فهدمت شيئاً من المنارة الشرقية في الجامع الكبير وشقّت الجدار الشرقي ومات رجلان[6].

ويبدو أن ذلك كان بعد بناء الجامع على يد محمد بن يعفر الحوالي الذي تولّى اليمن من قبل الخليفة العباسي الموفّق فتسلّم كتاب توليته في سنة

---

(١) عبد اللّه، المصدر السابق أوراق ص٤٧ والعميد، تخطيط المدن ص٢١٣ وانظر فتوح البلدان للبلاذري ص٣٣٩ والطبري، حوادث سنة ١٩١٧ والهمداني، صفة جزيرة العرب ص٤٩٣ وصفحة ٥٠٠.

(٢) ميتز، آدم ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج٢ عرّبه محمد عبد الهادي أبو ريده ط١٩٥٧ ص٢٦٧.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها ص٣١ وبتلر، المصدر السابق ص٣٤٢ ـ ٣٤٤.

(٤) ابن عبد الحكم، نفسه ص١٣١ وبتلر، المصدر السابق ص٣٤٤.

(٥) المقريزي، المصدر السابق ص٢٤٨.

(٦) الواسعي، عبد الواسع ـ تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن ص١٩.

(٢٥٨هـ)[١]، ثم ورد كتاب الخليفة المعتمد سنة (٢٥٩هـ) بتوليته أيضاً[٢].

وفي سنة (٢٦٢هـ) حجّ محمد بن يعفر وأناب عنه ابنه إبراهيم بن محمد فلما عاد من الحج في سنة (٢٦٥هـ) أعاد بناء مسجد صنعاء على الطراز الذي احتفظ به حتى عصر الجندي المتوفى سنة (٧٣٢هـ)[٣].

ويشير الجندي بقوله: «بني جامع صنعاء على الحال الذي هو عليه الآن»[٤] ـ أي في عصر الجندي (ت٧٣٢هـ) ـ وكان سبب بناء الجامع أنه حصل في صنعاء سيل عظيم أخرب دوراً كثيرة وجانباً من المسجد ـ لأن مجرى الوادي الذي يأتي من جبل نقم كان يخترق صنعاء من جهة الشرق فيمرّ بشفا الجامع من جهة الشمال[٥].

فأعاد بناءه الأمير محمد بن يعفر الحوالي سنة (٢٦٥هـ) كما يشير إلى ذلك اللوح الخشبي المزبور والمثبت في جدار قاعدة المئذنة من جهة الشمال المطلة على الرواق الغربي حيث إن قاعدة المئذنة تعترض بعضاً من الرواق قرب سقف المسجد «وذلك بنجر النجار وأن بعض الولاة حسد ابن يعفر على بقاء ذكراه وأراد محوه وعني به فلم يقدر على ذلك لصلابة الخشب الذي نقره»[٦].

وتشير المصادر التاريخية التي بين أيدينا إلى وجود مئذنة أخرى في منطقة شبام كوكبان التي كانت مقرّ آل يعفر الحوالي، فقد ذكر أنه «عندما حجّ محمد بن يعفر (٢٦٣هـ) ـ وجدّد له الخليفة العباسي الموفّق العهد بالولاية واستمرّ ابنه إبراهيم على ولايته إلى سنة (٢٧٠هـ) أمره جدّه يعفر بقتل والده محمد بن يعفر وعمّه أحمد بن يعفر فقتلا بعد صلاة المغرب في صومعة مسجد شبام»[٧].

---

(١) اليماني، تاج الدين عبد الباقي ت٧٤٣هـ ـ تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن تحقيق مصطفى حجازي ص٣٤.

(٢) الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك ج١ ص٢٢٩.

(٣) اليمني، عمارة ـ تاريخ اليمن المعروف بتاريخ العمارة (كاي) تحقيق حسن سليمان ص١٩٠.

(٤) الجندي نفسه ص٢٣٠ ونقل عنه ابن الديبع في قرة العيون ص١٦٣ والعرشي بلوغ المرام ص١٨ والمطاع تاريخ اليمن ص٣٠١.

(٥) الجندي، نفسه ص٢٢٩ وابن الديبع، نفسه ص١٦٢ والأكوع إسماعيل، مصاحف صنعاء ص٩.

(٦) الأكوع، إسماعيل نفسه ص١٠.

(٧) اليماني، المصدر السابق ص٣٤ وابن حسين يحيى غاية الأماني ج١ ص٦٤ والعرشي المصدر السابق ص١١ والمطاع ص٧٢ والجرافي المقتطف ص٦٨.

وعن جامع صنعاء تردنا إشارة أخرى عن مئذنتيه وذلك أنه عندما دخل علي بن الفضل صنعاء سنة ٢٩٧هـ «نزل الجامع وحصل عند قدومه إلى صنعاء مطر عظيم فأمر علي بن الفضل بسدّ الميازيب التي للجامع وأطلع النساء اللّاتي سبين من صنعاء وغيرها وطلع إلى المنارة وجعلوا يلقونهن إلى الماء[١]».

وفي سنة (٢٠٤هـ) ولّى الخليفة المأمون محمد بن زياد مدينة زبيد وهو الذي اختطّها في سنة (٢٠٤هـ)[٢]، وزبيد مدوّرة الشكل عجيبة الوضع[٣] وهي بذلك تشبه مدينة أبي جعفر المنصور المدوّرة، وطبيعي أن يكون لهذه المدينة جامع فبنى لها جامعاً في نفس الفترة التي تمّ فيها اختطاط المدينة[٤] ولكن لم نجد أي إشارة تاريخية لوجود مئذنة وربما كان محمد بن زياد قد حذا حذو الأمراء عن بناء المدن وجوامعها في جعل مئذنة للجامع حسب التقليد المتّبع في العالم الإسلامي عند بناء المدن.

أما عن عهد الحسين بن سلامة مولى بني زياد والذي تحدّث عنه عمارة اليمني (ت٥٢٩هـ) في تاريخه ونقل عنه الكثير من المؤرّخين فقد قيل: «ومن محاسن الحسين بن سلامة إنشاء الجوامع الكبار والمنارات الطوال من حضرموت إلى مكة حرسها اللّه وطول المسافة التي بني فيها ستون يوماً فمن ذلك ما رأيته عامراً أو مهدّماً ومنها ما رواه الناس رواية إجماع فأوله شبام وتريم مدينتا حضرموت، ثم اتّصلت عمارة الجوامع منها إلى عدن وأبين ولحج والمسافة عشرون مرحلة في كل مرحلة جامع ومئذنة وبئر، فأما عدن ففيها جامع من عمارة عُمَر بن عبد العزيز وجدّده الحسين بن سلامة[٥]».

وتفترق الطرق من عدن إلى مكة فطريق تصعد الجبال وطريق تسلك تهامة، فأما طريق الجبال ففيها جامع الجؤة وهو كبير وأدركته عامراً بعمارة الحسين بن سلامة، ورأيت فيها جامع الجند وهو جامع مثل جامع ابن

---

(١) الجندي، المصدر السابق ص٢٣٨ وشرف الدين، تاريخ اليمن الثقافي ج٤ ص٨٩.

(٢) العميد، طاهر ـ بناء مدينة زبيد في اليمن مجلة كلية الآداب جامعة بغداد ع١٣ س١٩٧٠ ص١.

(٣) ابن الديبع، قرة العيون ص٣٢٢ والحضرمي عبد الرحمن، زبيد وآثارها الإسلامية وأوضاعها الراهنة ص٦٨.

(٤) الحضرمي، نفسه ص٧٠.

(٥) اليمني، عمارة، المصدر السابق ص٤٠ والمفيد في أخبار صنعاء وزبيد تحقيق محمد الأكوع ص٧٥.

طولون بمصر ثم جامع ذي أشرق وبها مكتوب على أحجار فوق بابه: «مما أمر به عمر بن عبد العزيز بن مروان، ثم جامع في مدينة إب ثم النقيل ثم ذمار ثم ما بين ذمار وصنعاء مسافة خمسة أيام في كل مرحلة منها بناء ثم جامع صنعاء وهو عظيم، ثم من صنعاء إلى صعدة عشرة أيام في كل مرحلة من ذلك جامع[1]. وقد نقل عنه الكثير من المؤرّخين[2] وقال ابن عبد المجيد اليماني: «ورأيت اسمه ـ أي الحسين بن سلامة ـ في لوح في عدة أماكن كجامع زبيد ومسجد الأشاعر وغيره[3]. وقال ابن الربيع: «وأنا رأيت اسمه مكتوباً كما ذكر في مسجد الأشاعر في لوح من خشب الساج مكتوب بالقلم الكوفي» وهو موجود الآن في رأس جداره القبلي[4]. ويورد عمارة النصّ الموجود في جامع الأشاعر «أمر بعمله الحسين بن سلامة آمله اللّه من عفوه ويريد من اللّه جزيل الثواب في شهر ربيع الأول سنة (٤٢٥هـ)[5].

هذا ما أسعفتنا به الكتب التاريخية بتاريخ اليمن عن نشأة المئذنة اليمنية ووجودها في هذا القطر، ولذا سيعمد الباحث إلى تقسيم المآذن اليمنية حسب العهود التاريخية للدويلات التي حكمت اليمن بعد دولة ابن زياد وابن يعفر.

المبحث الثاني

مآذن اليمن حتى نهاية العصر الطاهري

أولًا ـ مآذن الدولة الصليحية = الدولة الفاطمية بمصر

لم يتبّق لنا من هذا العصر إلّا مئذنتا الجامع الكبير بذي جبلة اللوحة رقم (١)، ويقع هذا الجامع على أحد المنحدرات وسط البلدة ولا يمكن الوصول إليه من الناحية الشرقية إلّا بواسطة سلالم واقفة، بينما أقيم مدخله

(١) اليمني، المصدر السابق ص٤١ والمفيد، ص٧٥.
(٢) ابن الديبع، قرة ج١ ص٣٢٧ وبغية المستفيد ص٤١ والفضل المزيد ص٥٣ والجرافي المقتطف ص٦٧ وبامخرمة، تاريخ ثغر عدن ص٦٠ وابن المجاور، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ص١٢٠.
(٣) اليماني، المصدر السابق ص٣٨.
(٤) ابن الديبع، الفضل المزيد ص٥٣.
(٥) ابن الديبع، حاشية قرة العيون ص٧١.

الشمالي على أرض مستوية[١] ويرجع تاريخ بنائه إلى سنة (٤٨٠هـ) عندما أمرت السيدة بنت أحمد بتحويل دار العزّ الأولى إلى مسجد جامع ثانٍ[٢]، ولهذا الجامع مئذنتان في ركن واجهته الجنوبية يطلق على الشرقية اسم المنارة الحمراء والغربية اسم المنارة البيضاء[٣].

المئذنة الغربية، يبدو عليها مظهر القدم فيرجع تاريخ بنائها إلى زمن بناء الجامع[٤] وهي تتكوّن من قاعدة مثمّنة الأضلاع يقوم عليها بدن مقسم إلى قسمين الأدنى ذي ١٦ ضلعاً ثم يستدير بعد ذلك خلال ٢٢,٥° يحمل الشرفة[٥]، يعلو الشرفة جوسق تتوجه قبة، ويزيّن بدن المئذنة المضلّع زخارف عمارية عبارة عن حنايا صمّاء بكل ضلع حنية ذات عقد نصف دائري.

أما بالنسبة للجزء الإسطواني فتزيّنه ١٦ حنية تعلوها مقرنصات «دلّايات» بشكل عقود نصف دائرية تحمل شرفة المؤذن، وأما بقية المئذنة فذات زخارف مشابهة لزخارف البدن.

المئذنة الشرقية

تتكوّن هذه المئذنة من قاعدة مربّعة بنيت من الحجر يقوم عليها بدن قسم إلى قسمين الأدنى مثمّن فتح فيه مدخل بعقد نصف دائري ثم يتحوّل بعد ذلك إلى ١٦ ضلعاً ترتكز عليه الشرفة التي تستند على حطّات من المقرنصات المثلّثة الشكل يعلو الشرفة جوسق مثمّن[٦] فتح فيه باب المؤذن وفتح فيه من أعلى ثماني نوافذ صغيرة ثم يتوّج المئذنة من أعلى قبة مضلّعة.

---

(١) فنستر، باربارة ـ تقارير أثرية من اليمن ج١ ص٥٤ ترجمة عبد الفتاح البركاوي ١٩٨٢ المعهد الألماني للآثار صنعاء.

(٢) اليمني، تاريخ اليمن ص١٣٩ والمفيد، ص٨٠ والجعدي، طبقات فقهاء اليمن ص١٢٣ والهمداني، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص٢٠٦ والشماحي، عبد الله عبد الوهاب ـ الإنسان والحضارة ص١١٥.

(٣) محمد، غازي رجب ـ مسجد السيدة بنت أحمد، بحث غير منشور ص١٢.

(٤) Lewcock, R, and GR, Smith, Tow Early Mosque Yemen p 120.

(٥) Lewcock, Ibid p 120 فنستر، نفسه ص٥٥ وشيحة، مصطفى، المدخل إلى العمارة والفنون اليمنية ص٦٤.

(٦) Lewcock, opcit, p 120.

والواقع أن هذه المئذنة قد جدّدت في فترة بني رسول كما يشير إلى ذلك نصّ مزبور على جدار المئذنة أعلى مدخلها نصّه: لا إلٰه إلى اللّه محمد رسول اللّه جدّدت هذه المنارة سنة سبع وأربعين وسبعمائة زمن الحاج أحمد عبد اللّه باسلامة[١] ويزيّن بدن المئذنة زخرفة لام ألف مقلوبة وبعض الزخارف الهندسية كالمعيّنات والمربّعات والزخرفة المتعرّجة وترتفع أكثر من المئذنة السابقة اللوحة رقم (١) وتنحصر أهمية مئذنتي الجامع في أن بعض أجزائها تمثل الطابع الإسطواني وهو النوع الذي شاع استخدامه في العراق، كما تشاهد الأفراط في التفاصيل الزخرفية والعناية برشاقة النسب والاهتمام بزيادة الطابق العلوي، وقد اكتسبت مظهراً يتّسم بالجدة والأصالة والابتكار، وقد نشأ ذلك من تعقّد المقرنصات الزخرفية ومن تطوّر أشكال الطابق العلوي للمئذنة.

ثانياً ـ مآذن العصر الأيوبي في اليمن[*] ٥٦٩ ـ ٦٢٦هـ

بقي لنا من هذا العصر مئذنة الجامع الكبير بزبيد ومئذنتا جامع صنعاء الكبير ومئذنة جامع ظفار ذي بَيْن، وخلّف لنا الأيوبيون في اليمن مآثر كثيرة ومحاسن جليلة ومن مآثرهم التي تخصّ بحثنا:

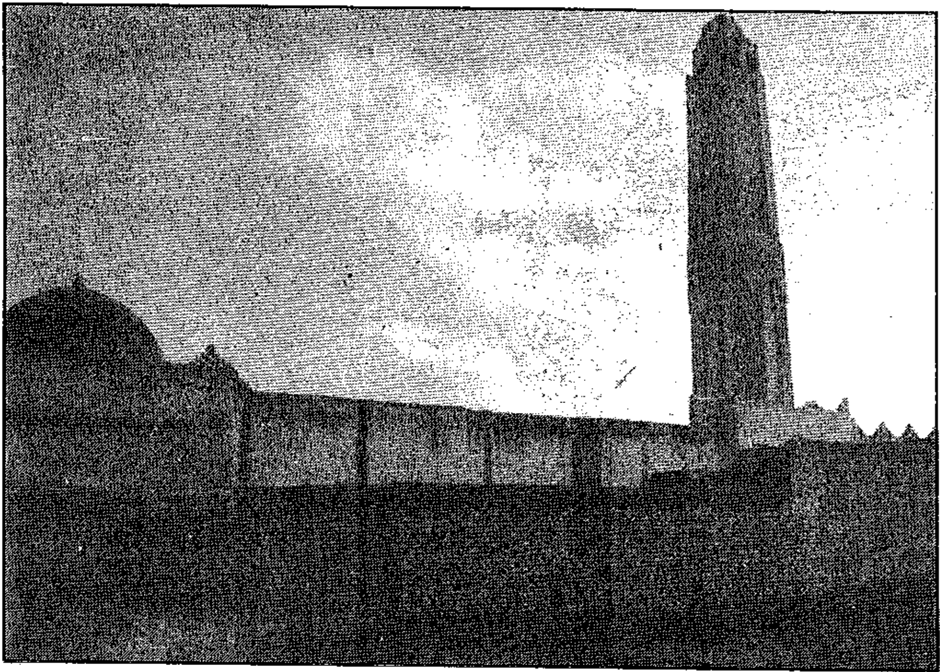
أولاً ـ مئذنة الجامع الكبير بزبيد اللوحة (٢)

اختطّ مدينة زبيد محمد بن زياد سنة (٢٠٤هـ) بأمر من الخليفة

(١) شيحة، المصدر السابق ص٦٤ ومحمد المصدر السابق ص١٣.

(*) لقد كانت اليمن خلال الفترة بعد وفاة السيدة بنت أحمد عام ٥٣٢هـ وقبل مجيء الأيوبيين قد تفرق شملها وانقسمت إلى عدة دويلات صغيرة قامت في كل ناحية فكانت عدن ومخلاف الجند مع بني زريع وصنعاء مع بني حاتم وصعدة والجوف مع الإمام المتوكل على اللّه أحمد بن سليمان وزبيد وتهامة مع ابن مهدي والمخلاف السليماني بيد الشريف غانم وبعد مقتله من قبل ابن المهدي استنجد ابنه قاسم بالخليفة الناصر المستضيء العباسي في بغداد فكتب إلى صلاح الدين وأمره بنصرة الشريف قاسم فأرسل صلاح الدين أخاه توران شاه إلى اليمن فدخل زبيد وأخضع عدن ودانت له تهامة ثم خلف توران شاه طغتكين بن أيوب واستمر الحكم الأيوبي في اليمن من سنة ٥٦٩ إلى ٦٢٦هـ انظر الجرافي المقتطف ٢٨٥ وابن حاتم اليامي، السمط الغالي الثمن ص٧٦ ـ ٨٨ وعبد العال الأيوبيون في اليمن.

العباسي المأمون[١] وبنى جامعها الكبير وكان يسمّى جامع المدينة[٢] وهذا الجامع يقع داخل مدينة زبيد قريباً من باب النخل[٣] جدده الحسين بن سلامة سنة (٣٩٣هـ)[٤]، وخرّبه علي بن المهدي سنة (٥٥٥هـ) فهدم الجامع كاملًا عندما دخل الأيوبيون إلى اليمن بقيادة توران شاه الذي غادر إلى حلب بعد ذلك وأناب عنه المنقذ بن أبي المبارك الكناني الذي أعاد عمارة الجامع الكبير واسمه مكتوب في حجر عن يمين المحراب غطّي بالنورة[٥] لاحقاً.



لوحة [٢] توضح مئذنة جامع الكبير بمدينة زبيد

ثم قام بتوسعته سيف الإسلام طغتكين حيث يقول ابن الديبع: فأما الجناح الشرقي والغربي والمؤخّرة والمنارة فمن عمل سيف

(١) ابن الديبع، بغية ص٤٠ والفضل ص٤٩ والحضرمي، المصدر السابق ص٧٠ وشيحة، المصدر السابق ص٤٥ والفقي، عصام، اليمن في ظل الإسلام ص٢.
(٢) الحضرمي، المصدر السابق ص٧٠ وابن الديبع الفضل المزيد ص٨٠.
(٣) ابن الديبع، بغية المستفيد ص٧٠ والفضل المزيد ص٨٠.
(٤) الحضرمي، المصدر السابق ص٧٠.
(٥) ابن الديبع، بغية المستفيد ص٧٠ والحضرمي، المصدر السابق ص٧٠.

الإسلام طغتكين بن أيوب وكان فراغ ذلك سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة[١]، ثم هدم بعد ذلك وأعاد بناءه السلطان عامر بن عبد الوهاب فعمّره عمارة عظيمة لم يسبق مثلها على يد المعلم علي بن حسن المعمار[٢] وكان هدمه في ١٨ شوال سنة (٨٩٧) وابتدأت عمارته في ٢٥ من الشهر نفسه[٣]، ولم يورد ابن الديبع ذكراً لهدم المنارة وإعادتها ويرجّح أن المئذنة ظلت على ما كانت عليه منذ زمن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب سنة (٥٨٢هـ).

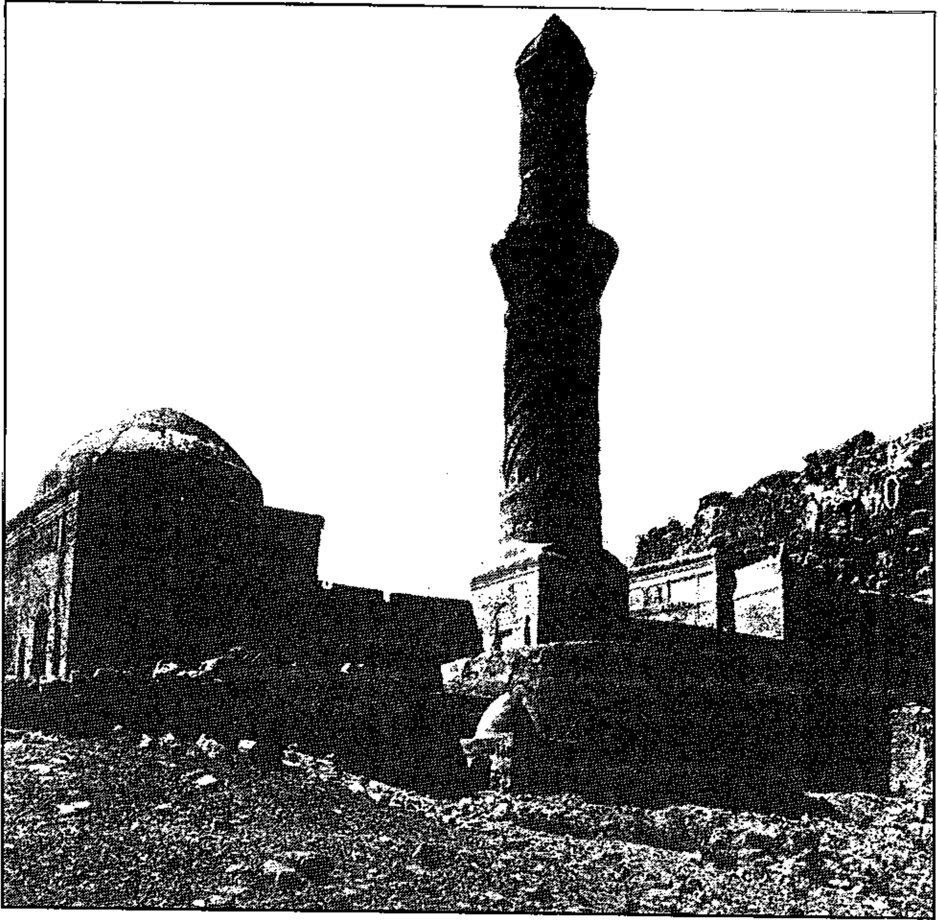
وتقع في الركن الجنوبي الغربي من مؤخّرة الجامع، وهي تتكوّن من قاعدة مربّعة الشكل يعلوها بدن مثمّن قسمه إلى قسمين حزام جصي زين الأدنى بأخاديد على شكل محاريب مجوّفة معقودة بعقد نصف دائرية أما الأعلى فزيّنت أضلاعه بزخارف محزورة شكّلت معيّنات متصلة ومتقابلة.

ثم يعلو البدن الحوض الذي تقوم عليه قمة المئذنة وهي تتكوّن من جزءين الجزء الأول يتبع البدن من حيث الأضلاع المثمّنة فتح فيه باب لخروج المؤذّن وفتحات معقودة بعقد مدبّب[٤]. ويتوّج قمّة المئذنة قمّة متدرّجة على شكل مقرنصات، وهذا النمط من النهايات شاع في العراق في القباب المخروطية[٥] الذي انتشر في منتصف القرن الخامس الهجري في العراق[٦] وشاع استخدامه في قمم مآذن تهامة وبالأخص مدينة زبيد، فهذه المئذنة تنمّ عن جمال تزيّنها الحنايا على بدنها المثمّن الأضلاع وقمتها المتوّجة بقبة مصنوعة من الرواسب الكلسية (قضاض) تشهد بإدخال عناصر عمارية سادت في العراق[٧] كما بنيت هذه المئذنة كلها من الآجرّ وغطّيت بطبقة كلسية.

ومن العصر الأيوبي مئذنتا الجامع الكبير بصنعاء (٦٠٣هـ) وسيأتي

(١) ابن الديبع، نفسه ٧٠ والفضل ص٨٠ وقرة ج١ ص٣٨٦ والحضرمي، المصدر السابق ص٧٠.
(٢) ابن الديبع، بغية ص٧١ والفضل ص٨٠.
(٣) ابن الديبع، بغية ص٨١ والفضل ص٧٢.
(٤) شيحه، المصدر السابق ص٤٩ Finster, B, the architecture of the Rosulid Yemen p 254.
(٥) العاني، علاء ـ المشاهد ذات القباب المخروطية ـ بغداد ص٩٤.
(٦) الحديثي، عطاء وهناد عبد الخالق القباب المخروطية في العراق ص١٣.
(٧) Finster, opcit, p 254, Lewcock, the Medieval Architestur of Yemen p 208.

ذكرهما في الفصل القادم، ومئذنة جامع ظفار ذي بين اللوحة (٣).



لوحة [٣] توضح مئذنة جامع ظفار ذيبين عن فنستر

تقع ظفار على بعد ٧٥ كم إلى الشمال الشرقي من صنعاء[١] ويعتبر مسجدها جزءاً من مجموع القلاع التي تمتد على قمة أحد الجبال[٢]، ولقد أجمع المؤرّخون على أن بناء حصن ظفار يرجع إلى بداية القرن السابع الهجري على يد الإمام المنصور باللّه عبد اللّه بن حمزة فيما بين (٥٨٣ - ٦١٤هـ ١١٨٥ - ١٢١٧م)[٣].

(١) روبان، كريستيان وماري كريستين، التقرير الأولي للبعثة الأثرية الفرنسية في اليمن عن ظفار ذيبين ص١٢٧.

(٢) فنستر، المصدر السابق ج١ ص٧٩.

(٣) روبان، نفسه ص١٣٠.

وقد بدأ المنصور ببناء الحصن سنة (٦٠٠هـ ـ ١٢٠٣م) وكان يسمّى بأكمة الفتح وهو من أعظم مآثره وليس له نظير في هذه الأقطار[١]، وقد زارها الباحث النمساوي جلازر في سنة (١٨٨٤م) وسمّاها مدينة الخرائب ولم يذكر سوى المسجد القائم وأول ما تقع عليه عين الناظر هي مئذنة الجامع الجميلة ذات الزخارف الأصيلة المعمولة من الآجرّ[٢].

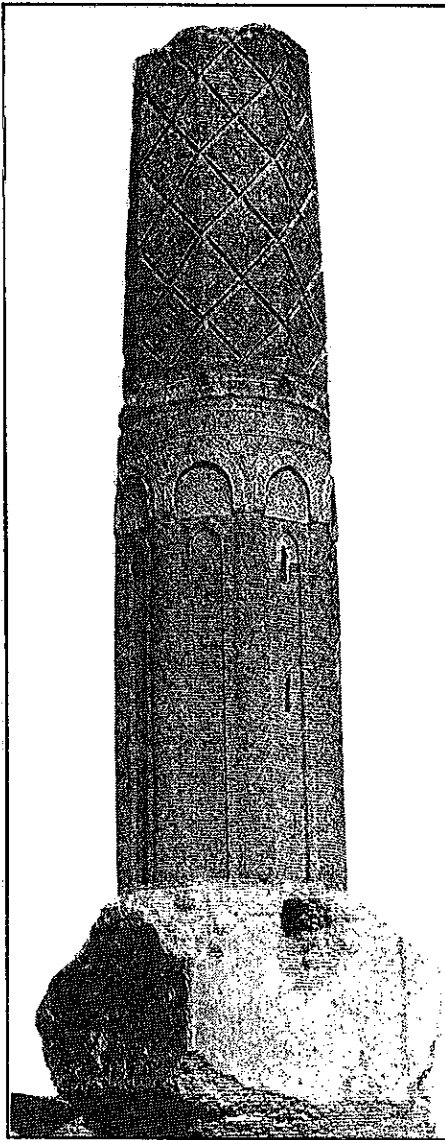
وتقع هذه المئذنة في الناحية الشرقية للمسجد وتتصل بجداره الخارجي بالقرب من الضريح الواقع في الركن الجنوبي الشرقي للمسجد[٣] وهي تتكوّن من قاعدة مربّعة يزيّن واجهتها حنايا معقودة بعقود مدبّبة الأوسط أعلاها يؤطرها شريط زخرفي مظفور[٤] ويقوم على القاعدة بدن إسطواني مقسّم بواسطة الزخارف إلى ثلاثة أقسام: الأسفل عبارة عن خطّين من الجصّ ثم يغطي أغلب البدن أشرطة مائلة تنتهي في أعلاها برؤوس أفاعي فاغرة أفواهها على نحو منذر بالشؤم ومن جسم أحد الأفاعي تتدلّى حلقة كاملة الاستدارة من الطين المحروق ربما استخدمت كتميمة[٥]، ويعلو الأفاعي شريطان مسنّنان بارزان يدوران حول بدن المئذنة ويقوم على هذا الجزء من البدن شرفة المؤذّن وهي مقامة على حطات من المقرنصات المثلّثة الشكل المشكّلة بالآجر يليها بدن صغير أقلّ سمكاً يفتح فيه باب لخروج المؤذّن ومزدان بزخارف الهزارباف، ويتوّج المئذنة قبّة على شكل مخروط مثمّن أشبه بنهاية مآذن العصر العثماني.

ثانياً ـ مآذن عصر بني رسول

كان بنو رسول ذوو حظوة كبيرة لدى الأيوبيين وقد أتوا إلى اليمن معهم من مصر وينتسبون أصلًا إلى الغسانيين ولهذا يقال: حمير أرباب العرب وغسان أرباب الملوك[٦]، وامتدت فترة حكمهم من سنة (٦٢٦ ـ ٨٥٨هـ) وكان أول من ملك منهم هو نور الدين عمر بن علي بن رسول

(١) ابن الحسين، غاية ج١ ص٤٠٦ وابن الديبع، قرة ص٤١٢.
(٢) و (٣) روبان، نفسه ص٣٠.
(٤) فنستر، المصدر السابق ص٨٥.
(٥) فنستر، المصدر السابق ص٨٥.
(٦) الخزرجي، العقود اللؤلؤية ج١ ص١٧.

الذي أسّس الدولة الرسولية في اليمن فأعلن استقلاله في سنة (٦٢٦هـ) واتّخذ من مدينة تعز عاصمة لمملكته[١].



لوحة [٤] توضح بقايا مئذنة الجامع المظفري بمدينة المهجّم

وهي الدولة الوحيدة التي استطاعت أن تسيطر على اليمن أجمعه وتبسط نفوذها عليه وتعتبر أعظم دولة يمنية وطنية عرفها التاريخ اليمني[٢] وخلّفت لنا آثاراً كثيرة.

على أن اليمن لم تنقطع قطّ عن التطوّرات الفنية في الأقطار الإسلامية الأخرى وخاصة في مناطق النفوذ التي حكمت اليمن كمصر وبلاد الشام والعراق[٣] فأنشأوا المباني الدينية والمدنية الفخمة وشجّعوا الفن والعلم والعلماء وتخلّف من تراثهم آثار كثيرة ومنها المآذن موضوع بحثنا هذا وهي:

١ ـ مئذنة الجامع المظفري بمدينة المهجّم اللوحة (٤)

باني هذا الجامع هو الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول تولّى الحكم فيما بين (٦٤٧ ـ ٦٩٤هـ ١٢٤٩ ـ ١٢٩٤م) كما أشار إلى ذلك الكثير من المؤرّخين[٤]،

(١) الجرافي، المصدر السابق ص٨٩.
(٢) الشماحي، المصدر السابق ص١٢٦.
(٣) Finster, opcit, p 254.
(٤) الخزرجي، المصدر السابق ص١٤٩ ج٢ والغساني المصدر السابق ص٦٦ ومجهول تاريخ الدولة الرسولية ص٤٩.

وتولى إنشاءه الفقيه صالح بن إبراهيم بن صالح العثري[١].

ويعتبر هذا الجامع من أعظم مآثر وادي سردد وقد وصفه بعض من عرفه أنه كان فيه ٣٦٠ سارية (عمود) وأن القرآن العظيم ـ شرّفه اللّه تعالى ـ كان مكتوباً جميعه على جدرانه وسواريه وقد انهدم أكثره بمرور الزمن وصارت مدينة المهجّم خربة لم يبق منها إلا المنارة[٢].

والمنارة الجميلة الباقية تشهد على عظمة المسجد السابق الذي شاهده «نيبور» في عام ١٧٦١ حيث برزت منارة الجامع في الركن الجنوبي الشرقي منه، وهي تتشابه إلى حدّ كبير مع مئذنة جامع زبيد التي سبق وصفها، وهي تتكوّن من قاعدة مربّعة يقوم عليها بدن مثمّن الأضلاع قسم زخرفياً إلى قسمين:

١ ـ زيّنت أضلاعه بحنايا (محاريب) معقودة بعقود مدبّبة صغيرة يتبعها عقود نصف دائرية أكبر من سابقتها.

٢ ـ زيّنت أضلاعه بخطوط غائرة شكّلت معيّنات متقابلة ومتتالية، ويفصل بين الجزءين حزام عبارة عن أخدود يدور حول البدن.

إن أجمل ما في الجزء الثاني من البدن الزخارف الناتجة عن التفنّن في صف الطابوق وقصّه بأشكال معيّنة لغرض الحصول على زخارف هندسية معينيّة الشكل، وهنا نشاهد التداخل بين الأشكال المعينيّة قد نفّذت بدقّة وإتقان ملحوظين، وتغطي هذه الأشكال كامل وجوه الجزء الثاني من بدن المئذنة، ولا نعرف شيئاً عن قمة المئذنة، والمئذنة بنيت من الآجرّ وهي تشابه كما أسلفنا مئذنة جامع زبيد التي تعود إلى سنة (٥٨٢هـ) في العصر الأيوبي في اليمن، وتشير إحدى الباحثات إلى أن الجامع يتشابه أيضاً مع جامع إب المسمّى بالمدرسة الأسدية كما يتشابه مع جامع الصالح طلائع في مصر[٣] والذي سقطت مئذنته في سنة (٧٠٢هـ) ثم أعيد بناؤها وسقطت مرة أخرى في عام (١٩٢٣م) أثناء تجديد المسجد[٤]، والتشابه بين مسجد

(١) ابن الديبع، قرة ج١ ص٤٨ والفضل ص٩١ وغاية ج٢ ص٥٢٦ والجندي، السلوك ج١ ص٥٥١.

(٢) ابن الحسين، ج١ المصدر السابق ص٤٧٥.

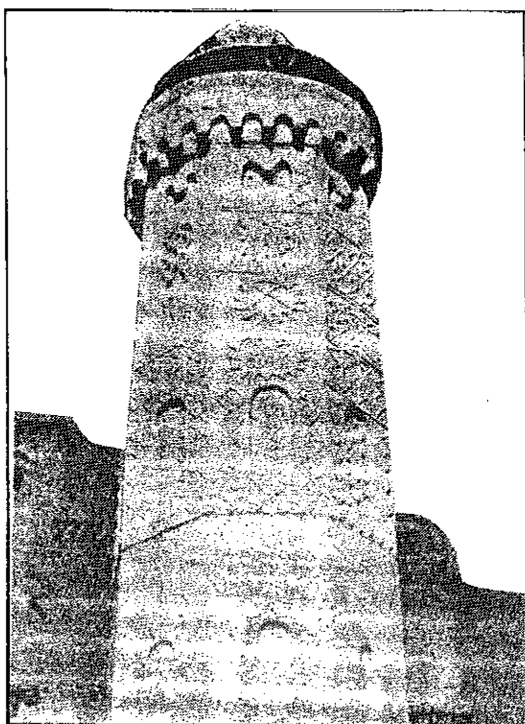
(٣) Finster, opcit, pP 253.

(٤) فكري، المصدر السابق ج١ ص١٩.

الصالح طلائع والجامع المظفري من حيث بيت الصلاة فقط، وتبيّن لنا أن شيوع استخدام الحنايات والعقود في المآذن يمثّل هذه الخصوصية لم يكن معروفاً قبل القرن الثالث الهجري، ونجد أن الحنايا استخدمت كزخارف عمارية في مواضع كثيرة في المآذن التي شيدت في الحقبة الزمنية الواقعة بين القرن الثالث (١١٢هـ)، وقد ظهرت في مآذن العراق ومصر في العصرين الفاطمي والأيوبي» كما في مئذنة عنة بالعراق ومئذنتي الحاكم والمدرسة الصالحية بمصر.

٢ ـ مئذنة الجامع الكبير بإب اللوحة (٥)

يقع الجامع على ربوة عالية في وسط المدينة، ويروى أن تأسيسه يرجع إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[(١)]، وينسبه آخرون إلى الحسين بن سلامة[(٢)]، بينما ينسبه فريق ثالث إلى أسد الدين بن محمد بن الحسن ابن أخي نور الدين عمر بن علي بن رسول وهو ما يتّفق مع ما هو مثبت على لوحة خشبية تعلو الباب الواقع في الناحية الغربية من الجهة الجنوبية ونصّ هذه الكتابة: «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، أمر بعمارة هذا المقدم في الجامع المبارك مولانا المقام العالي المولوي الأسدي أسد الدين محمد...»[(٣)].



لوحة [٥] توضح مئذنة الجامع الكبير بمدينة إب

وجرى على الجامع تجديد في عهد السلطان ـ عامر بن عبد الوهاب (٨٩٤هـ ـ ١٤٨٩م)،

---

(١) شيحة، المصدر السابق ص٥٨. (٢) اليمنمي، المصدر السابق ص٤١.
(٣) فنستر، المصدر السابق ج١ ص٦٣ وشيحة، المصدر السابق ص٥٨.

وتشير إحدى الباحثات إلى أن الجامع هو المدرسة الأسدية[١].

أما مئذنته فتقع في الناحية الجنوبية الشرقية وتتكوّن من قاعدة مربّعة فتح فيها باب من الجهة الجنوبية يوصل إلى درج المئذنة ويتّصل بقاعدة المئذنة بناء من الجهة الغربية على شكل غرفة يصعد إليها بدرج.

ووجد على جدار قاعدة المئذنة بداخل الغرفة نقش كتابي نصّه: «أمر بعمارة هذه المنارة المباركة مولانا الأوحد نور الدين... المسلمين محمد بن إسماعيل بن محمد... سنة خمس وثمانين وستمائة»[٢].

وهذا التاريخ يقع في عهد الملك المظفر يوسف (٦٤٧ ـ ٦٨٤هـ، ويقوم على القاعدة المربّعة غير الزخرفية بدن مثمّن طويل زيّن بتحلية زخرفية جميلة، وتتّصف هذه التحلية بتنوّع أشكال وحدات زخرفية تتباين في مستوياتها ويكمن جمالها في كون بدنها مقسماً إلى ثلاث طبقات محلّاة بحنايا ومشاكي.

والتكوين العماري لهذه المشاكي المستطيلة بعقود مدبّبة ونصف دائرية..، وتكمن روعة الطابق الثالث في كون بدنه محلّى بمشاكٍ زخرفية بعدد واحد في كل ضلع، والشيء اللافت للنظر هنا أن حنايا بدن هذا الطابق تتصّف بتنوّع أشكال وحداتها وزخرفتها فهي تختلف من حنية إلى أخرى. فالتشكيلة هنا تتألف من أشكال معينية ودوائر وأشكال هندسية متداخلة، ومما يزيد في جمال هذه الحنايا الحشوات الزخرفية الآجرية التي تشكّل باطن الحنايا وأكتاف عقودها والأشرطة التي تفصل بينها.

يقوم على البدن شرفة تستند على صفّ من المقرنصات وهي متقنة في تكوينها إذ شكّلت على هيئة عقود تتدلّى فيها رجل العقد إلى أسفل، ويعلو الشرفة جوسق أقلّ ارتفاعاً وسمكاً من البدن فتح فيه باب لخروج المؤذّن تعلوه ظلّة لم نجد لها مثيلًا في مآذن اليمن الأخرى، وقد يعزى سبب وجودها في مئذنة هذا الجامع لكثرة الأمطار في هذه المنطقة.

ويتوّج المئذنة من أعلى قبّة قريبة الشبه بقبّة مئذنة جامع زبيد، ولذا تشير إحدى الباحثات إلى أن المدرسة الأسدية التي ما زال جامعها

---

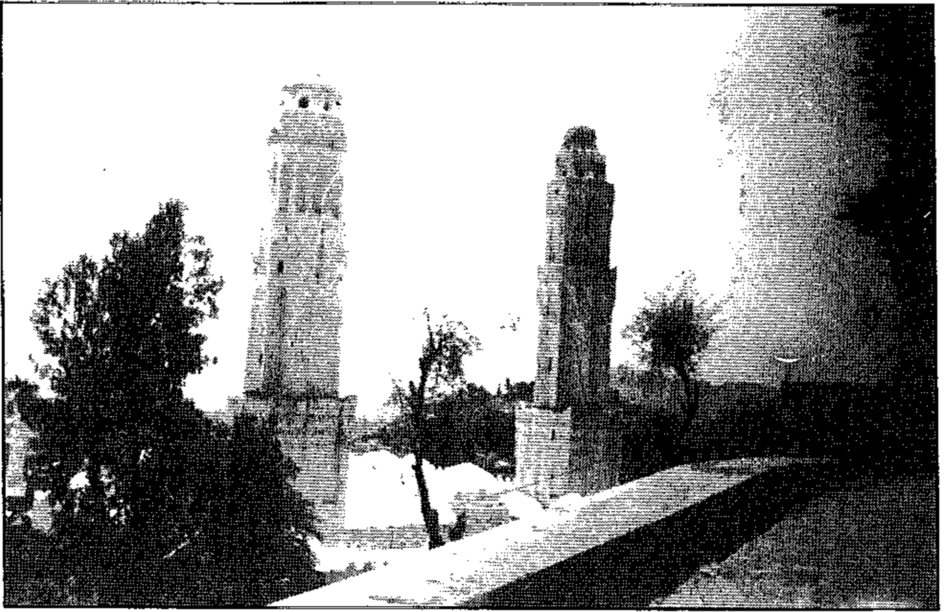
(١) Finster, opcit, P 277.

(٢) شيحة، المصدر السابق ص٥٨.

شامخاً للأبصار كان يحاكي النماذج الأيوبية(١) ومنها مئذنة جامع زبيد.

٣ ـ مئذنتا المدرسة الأشرفية بتعز لوحة (٦)

تقع المدرسة بحي الدرج مقابل الحصن المسمّى القاهرة بناها الملك الأشرف إسماعيل ابن الملك الأفضل العباس سنة ٨٠٠هـ(٢) وهي حسنة الشكل لها بابان شرقي وغربي وباب جانبي (جنوب) ورتّب فيها إماماً ومؤذناً وقيّماً ومعلماً(٣)، وبنيت هذه المدرسة من الحجر والجصّ وبعض الأجزاء من الآجر، ويوجد نقش حجري نصّه: «أمر بعمارة هذه المدرسة المباركة مولانا ومالكنا السلطان السيد الأجلّ الأشرف ممهّد الدنيا والدين إسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف خلّد اللّه ملكه ونصره».



لوحة [٦] توضح مئذنتا المدرسة الأشرفية بمدينة تعز

وهذا النصّ يقع أعلى المدخل الرئيسي الذي يقع في الناحية الجنوبية ويستكمل النصّ على لوح حجري مثبت في أسفل قاعدة المئذنة الشرقية

(١) Finster, opcit, p 254.

(٢) الأكوع، إسماعيل ـ المدارس الإسلامية في اليمن ط٢ ص٢٧٠.

(٣) الخزرجي، المصدر السابق ج٢ ص٢٦٠ وابن الديبع، قرة ج٢ ص١١٩ وابن الحسين، غاية ج١ ص٥٥٢ ومجهول ص١١٠.

فوق مدخلها: «وكان ابتداء العمارة بهذه المدرسة السعيدة في ثاني ربيع الآخر سنة ثمان مائة[(١)]، ومئذنتا هذه المدرسة تطلّان على المجاز اليماني (الجنوبي) منها ويستطرق من هذا المجاز إلى المنارة الشرقية ثم الخانقاه المهيّأة للصادر والوارد ثم إلى المنارة الغربية[(٢)].

وتتشابه المئذنتان إحداهما مع الأخرى إلى حدّ كبير ولا تختلفان إلا في بعض التفاصيل البسيطة فقط.

٤ ـ المئذنة الشرقية

شيّدت المئذنة وقاعدتها بالحجارة وتفتح على المجاز اليماني الجنوبي بواسطة مدخل يؤدّي إلى سلّمها الداخلي وتتكوّن من قاعدة مربّعة الشكل تزيّنها ثلاثة حنايا على شكل محاريب في كل وجه.

ويقوم على هذه القاعدة بدن مثمّن مزيّن بحنايا مستطيلة تشبه حنايا القاعدة عددها بعدد أوجه بدن المئذنة يعلو هذه الحنايا مقرنصات على شكل حنايا صغيرة تكوّن قاعدة تسند شرفة المؤذّن التي يقوم عليها بدن آخر صغير فتح فيه باب لخروج المؤذّن وإلى جانبه حنايا تشبه الحنايا السابقة يعلوها صفّ من الزخرفة المسنّنة تقوم مقام المقرنصات لتحمل شرفة المؤذن الثانية التي يقوم فيها جوسق فتح فيه باب ونوافذ معقودة بعقود نصف دائرية وينتهي الجوسق من أعلى بصفّ من الشرفات المسنّنة، ويتوّج المئذنة قبّة نصف كروية ملساء تشبه قبّة مئذنة جامع المظفر[(٣)] وفتح في رقبتها نوافذ صغيرة.

أما المئذنة الغربية فتختلف عن الشرقية في أن البدن الثاني المثمّن في هذه المئذنة فيه حنيّتان في الضلع الواحد بدلًا من حنيّة واحدة وكذلك في الجوسق حيث أطّرت الحنايا بمستطيل. وإذا نظرنا إلى شكل المئذنتين لوجدنا أنه جميل ومتناسق ونجح المعمار في تحليتهما بحنايا محرابية جميلة، وترتيب هذه الحنايا الزخرفية مفردة ذات عقود نصف دائرة مجوّفة.

إن المجهود الذي بذله المعمار في تحلية البدن لا يقلّ عن ذلك

---

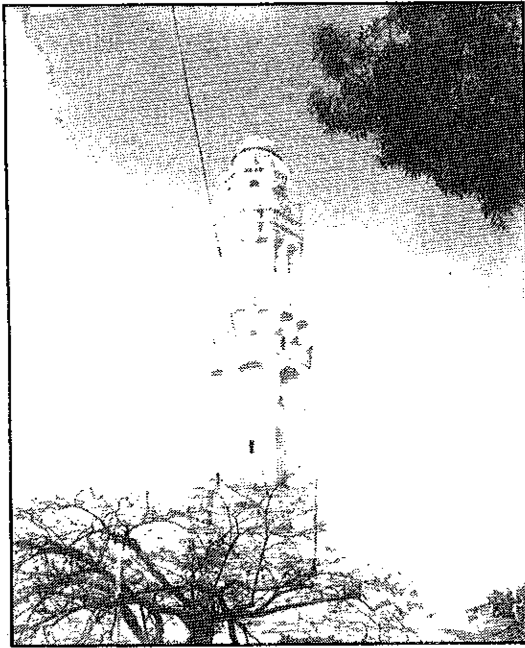
(١) شيحة، المصدر السابق ص٩١.

(٢) الخزرجي، المصدر السابق ج٢ ص٢٦١ والأكوع، إسماعيل، المصدر السابق ص٢٧٠.

(٣) Lewcock, R, three Medieval, Mosquesin the Yemen, part 1 p3, p2 p6.

الجهد الذي بذل في تكوينها العماري وقد حققت العقود غرضها في التحلية الناتجة عن التفنّن في صف الحنايا فظهرت وكأنها طوق من الزخارف يطوّق بدن المئذنة، وتكون هاتان المئذنتان في تكوينها المعماري والزخرفي مرحلة متقدمة عن بقية المآذن اليمنية حيث جمع المعمار عناصر عمارية وزخرفية وفنية بطريقة متقنة ورصينة.

وهاتان المئذنتان تشبهان مئذنة المدرسة المظفرية (جامع المظفر) بتعز والتي سقطت سنة (١٩٦٢م) وهذه المدرسة أنشأها الملك السلطان المظفر يوسف بن عمر ابن علي[١](٦٤٧-٦٩٤هـ ١٢٤٩ - ١٢٩٥م)[٢] ولها منارة عجيبة المنظر فيها طبقة مربّعة الشكل وأخرى مثمّنة الأركان فيها طبقة مسدّسة[٣]، ويصفها أحد الباحثين أنها تتكوّن من خمسة طوابق قاعدة مربّعة ترتفع حوالي ١٢م يعلوها طابق مثمّن يرتفع حوالي ٨م يعلوه بدن آخر يرتفع ٥م يحمل شرفة المؤذّن ثم يقوم عليه جوسق مضلّع صغير ثم يستدير يغطيها من أعلى قبّة ملساء ناعمة[٤] (لوحة رقم ٧).

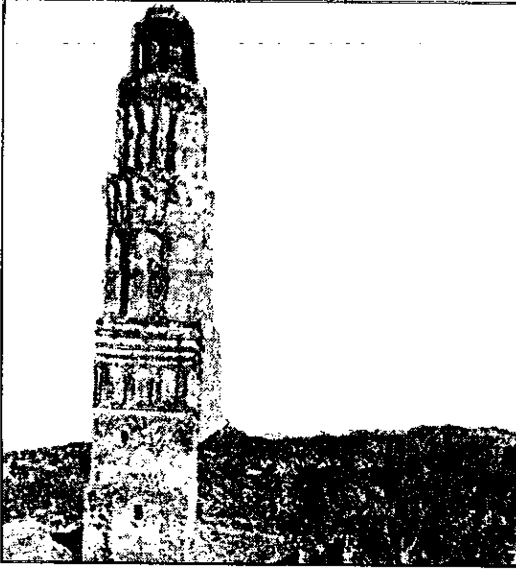


لوحة [٧] توضح مئذنة
المدرسة المظفرية بمدينة تعز نقلًا عن ليكوك

وهناك مئذنة أخرى شبيهة بمآذن المظفرية والأشرفية وهي مئذنة المدرسة الظاهرية التي سقطت ولم يبق إلا صورتها اللوحة (٨) وهي من

(١) الأكوع، إسماعيل، المصدر السابق ص١٠٤ والجندي، المصدر السابق ج١ ص٥٥١.
(٢) الغساني، المصدر السابق ص٦٦ وشرف الدين، اليمن عبر التاريخ ٢٢١. وهيكو آيش، المصدر السابق ص٥٤.
(٣) ابن الحسين، ج٢ المصدر السابق ص٥٢٦.
(٤) Lewcock, opcit P1 P3 .

مآثر الملك الظاهر الغساني وكان ابتداء عمارتها في ٢٧ شعبان (٨٣٥هـ) وكان لها منارتان إحداهما بسلّمين مستقلّين يؤدّيان إلى شرفة المؤذّن ليس لها في اليمن نظير إلا في صنعاء كما قيل[١]، إلّا أن الدراسة الميدانية لمآذن صنعاء لم تثبت وجود مئذنة بسلّمين ويبدو أن مثل هذه المئذنة قد سقطت ولم يبق لها أثر في الوقت الحاضر.



لوحة [٨] توضح مئذنة المدرسة الظاهرية بمدينة تعز نقلًا عن الأكوع

وكانت هذه المدرسة في الجانب الشرقي من مدينة تعز المسمّى الآن بحافة الظاهرية ابتناها السلطان الملك الظاهر يحيى وقام بإصلاحها وإصلاح المئذنتين الأمير حسين ابن الوزير حسن باشا الذي كان ولياً على تعز في عهد أبيه حسن باشا في العصر العثماني سنة (١٠٠٥هـ)[٢]، ولكن هذه المدرسة والمئذنتان غير موجودتين حالياً.

٤ ـ مئذنة جامع الجند

تحتضن مدينة الجند في جنباتها من أشهر جوامع اليمن الذي بني بأمر الرسول ﷺ ويعرف بجامع الجند أو جامع معاذ نسبة إلى الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي اللّه عنه الذي أرسله الرسول ﷺ إلى اليمن فقيهاً وداعياً ومبشّراً بالدين الجديد فضلًا عن مهمته كعامل على مخلاف الجند[٣]، وأول من بنى الجامع معاذ الذي وصل إلى الجند في آخر جمادى الآخرة وأول رجب، وكان رسول اللّه قد أمره أن يأتي الجند فحيثما بركت بك الناقة فأذن

---

(١) ابن الديبع، بغية ص١١٠ والفضل ص١١٢.

(٢) الأكوع، المصدر السابق ص٢٩٧.

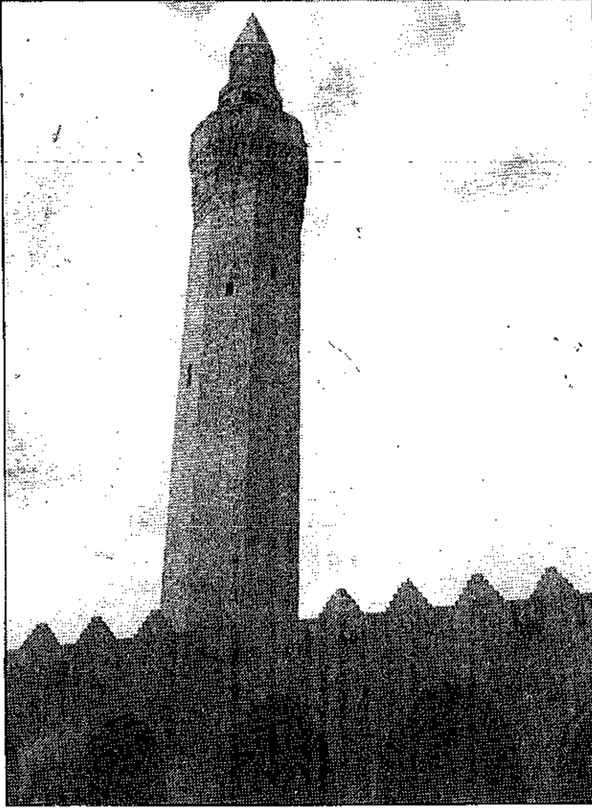
(٣) محمد، غازي رجب ـ جامع الجند، لبنة جديدة في هيكل العمارة الإسلامية مجلة اليمن الجديد ص٥٣.

وصَلِّ وابتني مسجداً فعندما بركت الناقة نادى بالصلاة في ذلك الموضع وهي أول جمعة أقيمت باليمن[١] وكان ذلك في السنة العاشرة للهجرة[٢]، وأعاد بناءه الحسين بن سلامة[٣]، بينما يقول الوصابي: «إن الحسين بن سلامة وسّع المسجد»[٤] كما جدّده الأمير المفضل بن أبي البركات سنة (٤٨٠هـ) بالحجر المنقوش واللبن المربّع[٥] وأحرقه ابن المهدي سنة (٥٥٤هـ) فأعاد بناءه سيف الإسلام طغتكين بن أيوب[٦]، وفي عهد الناصر أيوب بن سيف الإسلام طغتكين اهتمّ بعمارته الأمير سيف الدين الأتابك سنقر سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م) فأضاف إليه الرواق الجنوبي والرواقين الجانبيين والصحن[٧] وأضاف لارتفاعه الشاهق الجزء الموجود الآن والمبنيّ من الطابوق[٨] الآجر والجصّ وطعم نقوشه بالذهب واللازورد[٩].

أما عن المئذنة الحالية للمسجد فلم نعرف متى بنيت إلا أننا نجد إشارة تاريخية تقول: «وفي أيام الملك الظاهر الغساني سقطت منارة الجند الشرقية فأمر بعمارتها من خالص عين ماله»[١٠]، وهذا الملك توفّي في سنة (٨٤٢هـ)[١١]، ويظهر من هذه الإشارة التاريخية أنه كان للمسجد مئذنتان[١٢] في الفترة الأيوبية (٥٦٩ ـ ٦٢٦هـ) ثم سقطت المئذنة الشرقية وأعاد بناءها الملك الظاهر، وإن المئذنتين سقطتا بعد ذلك وبنيت المئذنة الحالية في الجهة الغربية ولعلّها ترجع إلى عمارة السلطان عامر بن عبد الوهاب سنة (٨٩٤ ـ ٩٢٣هـ)[١٣]، والمئذنة الحالية اللوحة (٩) تقع في الزاوية الجنوبية الغربية من المجنبة الغربية وهي ذات شكل فريد إذ تتكوّن

(١) الأكوع، محمد ـ الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام حتى سنة ٣٣٢هـ ص١٢٩.
(٢) شجاع، المصدر السابق ص١٥٤ والهمداني ص٩٩.
(٣) ابن الديبع، قرة ج١ ص٦٥ واليمني، المصدر السابق ص٧٣ وابن المجاور، المصدر السابق ص١٦٥.
(٤) الوصابي، وجيه الدين، المصدر السابق ص٢٨.
(٥) فنستر، مادة جامع، الموسوعة اليمنية ١٩٩٢ ج١ ص٣١٠.
(٦) ابن المجاور، المصدر السابق ص١٦٥.
(٧) فنستر، نفسه ص٣١٠.
(٨) Lewcock, opcit, P 206.
(٩) محمد، المصدر السابق ص٥٣.
(١٠) ابن الديبع، بغية ص١١٠ والفضل ص١١٢.
(١١) الجرافي، المصدر السابق ص٩٣.
(١٢) Lewcock, opcit, P 206.
(١٣) ابن الديبع، قرة ج٢ ص١٣٤.

من قاعدة إسطوانية الشكل(١) فتح فيها مدخل من جهتها الشمالية، ويقوم على هذه القاعدة بدن مثمّن الأضلاع ينتهي في أعلاه بمقرنصات على شكل حنايا كبيرة وصغيرة متجاورة تحمل فوقها شرفة المؤذّن(٢) ويقوم على الشرفة جوسق مسدّس الشكل تزيّنه حنايا صمّاء يعلوها جزء مستدير متوّج بمخروط سداسي الأضلاع ولا يشاهد على هذه المئذنة أية زخارف إذ أنها غطّيت جميعها بالجصّ في الفترات المتأخرة.



لوحة [٩] توضح مئذنة جامع الجند بمدينة تعز

وهذه المئذنة بنيت بالآجرّ ولها سلّم حلزوني يدور حول قطب المئذنة، ويبلغ عدد درجاته ١٣٧ درجة.

ثالثاً ـ مآذن عصر بني طاهر

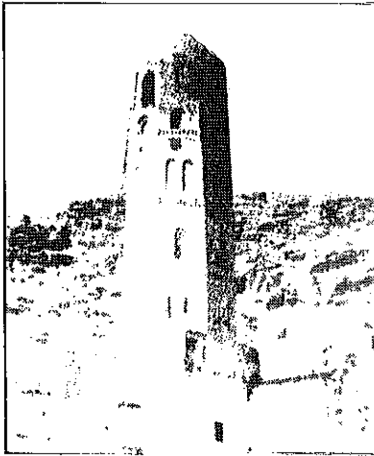
لقد خلّف بنو طاهر بني رسول بعد أن ضعفت دولتهم واعتبروا أنفسهم وريثين شرعيين لدولتهم واستمر حكمهم بين (٨٥٨ ـ ٩٢٣هـ) فساروا على نهجهم في البناء والتعمير والزخرفة وليس أدل على ذلك من المدرسة المنصورية بمدينة جبن التي تتشابه مع المدرسة المعتبية بتعز، ومن ناحية المآذن فمئذنة المدرسة المنصورية تتشابه إلى حدّ كبير مع مئذنتي المدرسة الأشرفية بتعز.

(١) محمد، المصدر السابق ص٥٨ وشيحة، المصدر السابق ص٤٠.
(٢) شيحة، المصدر السابق ص٤٠، Lewcock, opcit, P 206.

ولقد زار الرحّالة الإيطالي «فارثما» اليمن في سنة (١٥٠٣م) وزار مدينة جبن وشاهد الجامع والمدرسة فيها[١] وتحدّث عنها مؤرّخون يمنيون منهم ابن الديبع في كتابه قرة العيون[٢]، وسنختار من مخلّفاتهم ما يخصّ بحثنا وهو حديثهم عن مئذنة الجامع الكبير بجبن ومئذنة المدرسة المنصورية بها، ومئذنة جامع العيدروس بمدينة عدن.

١ ـ مئذنة الجامع الكبير بجبن لوحة (١٠)

ينسب بناء هذا الجامع إلى الملك المجاهد شمس الدين علي بن طاهر الذي حكم فيما بين سنة (٨٥٨ ـ ٨٨٣هـ)[٣] وما زال الجامع على حالته منذ زمن البناء[٤]، وسنخصّ مئذنته التي تصفها إحدى الباحثات أنها المئذنة الوحيدة للجامع، وهي مثمنة الأضلاع تتناقص تدريجياً كلما ارتفعت إلى أعلى وهي على شكل طبقات تزيّنها نوافذ وحنايا[٥].


لوحة [١٠] توضح مئذنة
الجامع الكبير بجبن عن بروتر

وتقع هذه المئذنة في الركن الجنوبي الغربي وهي تتكوّن من قاعدة مربّعة يقوم عليه بدن مثمّن طويل مقسّم إلى أربع طبقات بواسطة أشرطة زخرفية معمولة من الجصّ ويزيّن هذه الطبقات حنايا وهذه الحنايا رتّبت مفردة في طبقة ومزدوجة في طبقة تالية. والحنايا المزدوجة معقودة بعقد نصف دائري بينما الحنايا المفردة يزيّن كل حنية عقدان متراجعان ذوا شكل نصف دائري ثم يتبع هذا البدن شرفة المؤذّن ثم الجوسق وهو مستدير الشكل به فتحة معقودة بعقد نصف دائري ويتوّج المئذنة قبّة نصف كروية ملساء، وهذه المئذنة تتشابه مع مئذنة الجامع الكبير بزبيد ومئذنة

(١) Porter, Ventia, the Architecture of the Tahired, Dynsty of the Yemen p 105.

(٢) و (٣) ابن الديبع، قرة ج١ ص١٦٧ وبغية ص١٥٧.

(٤) Porter, Ibid P 107.

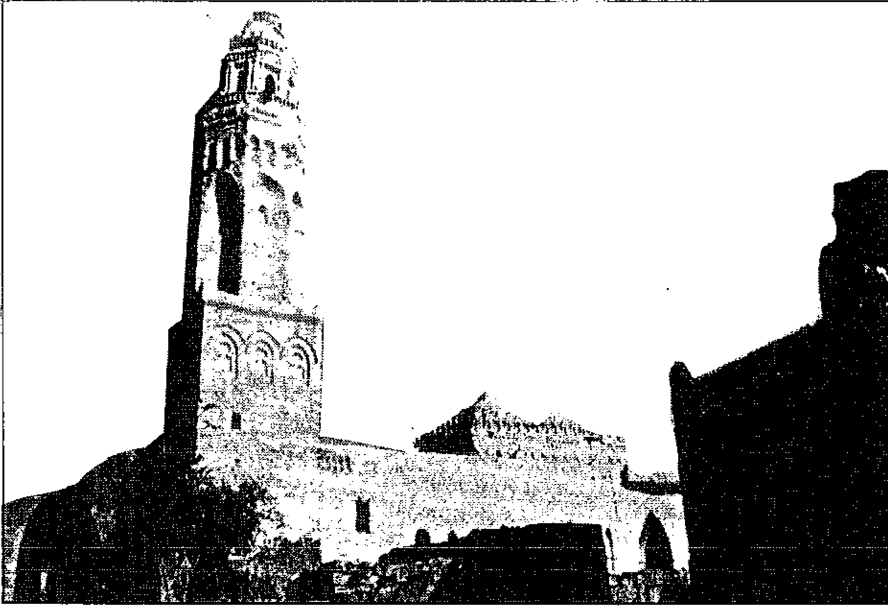
(٥) Porter, Ibid P 108.

الجامع المظفري بالمهجّم حسب قول «فنستر»[١]. وكذلك منارة عدن[٢].

وأهم ما تتميّز به هذه المئذنة هو شكلها المثمّن النادر من جهة وزخارفها العمارية من جهة أخرى، فقد اتّبع المعمار أسلوباً زخرفياً عمارياً مميّزاً، وهي شبيهة بمئذنة عنه في العراق[٣] من حيث الشكل والزخرفة المعمارية والإفراط في استخدام ذلك العدد الكبير من الحنايا.

٢ ـ مئذنة المدرسة المنصورية بجبن اللوحة (١١)

المدرسة المنصورية ما تزال عامرة، بناها السلطان المنصور عبد الوهاب بن داود بن طاهر وفرغ من بنائها سنة (٨٨٧ ـ ١٤٨٢هـ)[٤]، وهي تتشابه إلى حدّ كبير مع مدارس بني رسول في تعز، وخاصة المدرسة الأشرفية والمدرسة المعتبية[٥].



لوحة [١١] توضح مئذنة المدرسة المنصورية بجبن

(١) Finster, B, the Architecture of the Rasulid, 3000 in Yemen P 255.

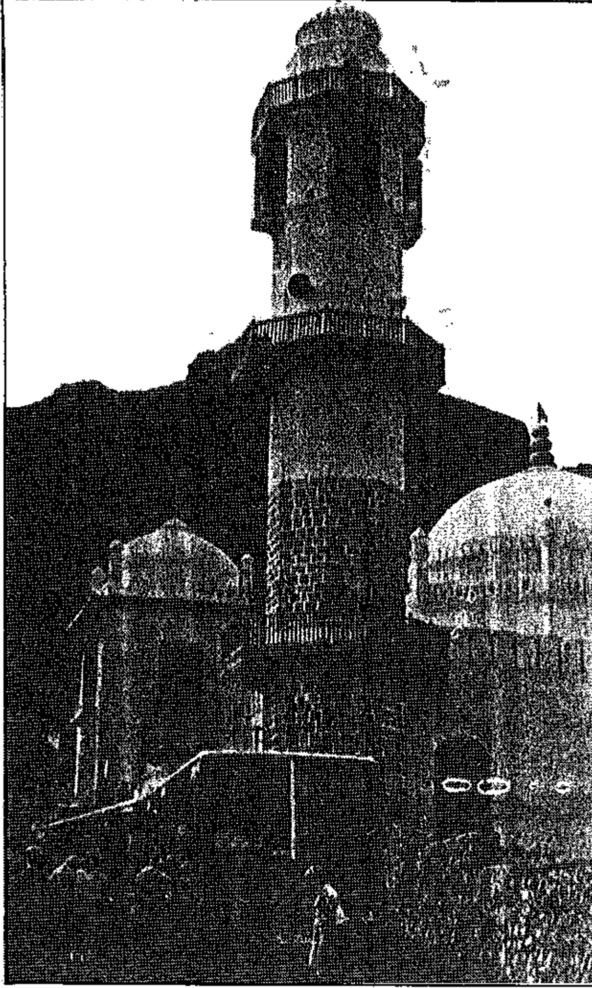
(٢) انظر الحديث عن منارة عدن.

(٣) انظر عيسى سليمان وآخرون، العمارات العربية الإسلامية في العراق ١ص١٤٥ ويوسف شريف تاريخ فن العمارة العراقية ص٤٤٤ و٤٤٦.

(٤) الأكوع، المدارس ص٣٣١ وPorter, opcit P 108.

(٥) Porter, opcit P 108 Lewcock, opcit PP1, Finster, opcit PP 254.

ومئذنة هذه المدرسة تتشابه مع مئذنتي المدرسة الأشرفية بتعز وإن اختلفت في بعض التفاصيل البسيطة فقط، وهي تتكوّن من قاعدة مربّعة تزيّنها حنايا بداخلها ما يشبه المشكاة في كل ضلع ثلاث حنايا، ويقوم عليها بدن مثمّن الشكل زيّنت أضلاعه بحنايا صمّاء طويلة يتبعه بدن مثمّن آخر قصير في كل ضلع منه ثلاث حنايا تعلوه شرفة المؤذّن يزيّنها من الخارج حنايا صغيرة، ثم يقوم في حوضها جوسق صغير مثمّن يشبه البدن الثاني إلّا أنه فتحت جميع حناياه، تتبعه قمّة المئذنة التي تتكوّن من جزءين الأدنى زيّن بواسطة زخرفة مسنّنة تدور حول الجوسق، ثم يتوّج المئذنة قبّة ناعمة ملساء نصف كروية وهي تتشابه في ذلك مع مئذنتي المدرسة الأشرفية بتعز، وجميع الحنايا التي تزيّن المئذنة ذات عقود نصف دائرية.



لوحة [١٢] توضح مئذنة جامع العيدروس بمدينة عدن

٣ ـ مئذنة جامع العيدروس بعدن اللوحة (١٢)

ومئذنة بجامع العيدروس بمدينة عدن مختلفة عن المآذن التي عرفناها في هذه الفترة، وعندما دخل العيدروس مدينة عدن سنة (٨٩٠هـ ـ ١٤٧٠م) كان أول ما قام به هو وضع حجر الأساس لمسجده المعروف بجامع

العيدروس، وقد جُدّدت عمارته من أحد أثرياء الهند من حيدر آباد[١] مما أضفى عليه التأثيرات الهندية.

والمئذنة بشكلها الحالي ترجع إلى سنة (٨٩٠هـ) وهي تقع في الجهة الشرقية من المسجد مطلّة على الشارع العام، وهي تتكوّن من أربعة طوابق جميعها مثمّن الشكل يفصل بين طابق وآخر شرفة من الخشب محمولة على كوابيل خشبية وعددها ثلاث شرفات وهذه الشرف تتشابه مع شرفة مئذنة أبي الغضنفر التي تعود إلى سنة (٥٥٣هـ ـ ١١٥٧م) والتي تشبه شرفة مئذنة الجيوشي أيضاً[٢]، كما تتشابه أيضاً مع شرفة مئذنة المدرسة الصالحية التي بناها الصالح نجم الدين أيوب في سنة (٦٤١هـ ـ ١٢٤٣)[٣]، ونجد في هذه المئذنة نمطاً غريباً وهو أنه يوجد في الطابق الثالث نوافذ أربع مفتّحة تبرز إلى الخارج بشكل مشربيات خشبية، ويعلو الشرفة العليا جوسق مثمن الشكل يفتح فيه باب لخروج المؤذّن ذو عقد نصف دائري ثم يستدير بعد ذلك ويقلّ في الاتساع، ويتوّج المئذنة قبّة مضلّعة والمئذنة بني الجزء الأسفل منها بالحجر وأكمل بالآجرّ.

هذا ولعلّ طراز هذه المئذنة يوحي بالتأثيرات الفنية السائدة في شرق العالم الإسلامي كإيران والهند وذلك نظراً لموقع عدن الجغرافي وصلاتها مع الهند[٤].

٤ ـ منارة عدن

تقع في وسط مدينة عدن قبالة ميدان كرة الطائرة في حديقة صغيرة بمحاذاة مبنى البريد العام[٥] وكانت هذه المئذنة لجامع، أجمع المؤرّخون أنه من بناء الخليفة عمر بن عبد العزيز[٦] وجدده الحسين بن

(١) رابضة، أحمد صالح ـ ولي الله العيدروس مجلة المنارة ع٦ ص٩١ ـ ٩٥.
(٢) فكري، المصدر السابق ج١ ص٣٧.
(٣) فكري، المصدر السابق ج٢ ص٦٦.
(٤) فرغلي، أبو الحمد محمود ـ دراسات ميدانية لأهم الآثار الإسلامية في عدن مجلة التاريخ والآثار ع١ س١٩٩٣ ص٢٩.
(٥) رابضة، معالم عدن التاريخية مجلة المنارة ع١ س١٩٨٨ ص٧٧.
(٦) لقمان، حمزة ـ تاريخ عدن وجنوب الجزيرة ص٣٤ ـ ٣٨.

سلامة في أواخر القرن الخامس الهجري[١]، ويقول ابن المجاور: والأصحّ أن ما بناه إلّا الفرس وكان سبب بنائه أنهم وجدوا قطعة عنبر كبيرة مليحة فأوتي بها إلى صاحب عدن فقال لهم وما أصنع بها بيعوها وابنوا بثمنها جامعاً فلست أرى درهماً أحلّ من هذه الدراهم فباعوها وبنوا بثمنها جامع عدن[٢].

وقد اختلف الكتّاب الأوروبيون في فترة بنائه فمنهم من يقول إن الجامع بني في عصر بني رسول حيث يُذكر أن أميرة من بني رسول ابتنته[٣]. ورواية أخرى تقول الظاهر الغساني بنى مدرسة ذات منارة وهي على مقربة من الجامع[٤] مما حدا بالمؤرّخين أن ينسبوها إليه، ويرجع آخر زمن البناء إلى السلطان عامر بن عبد الوهاب سلطان بني طاهر الذي قام بتجديد الجامع ولكن لا نعرف ماهية التجديد[٥]، ولم يشر المؤرّخ «النهروالي» الذي ذكر مآثر عامر بن عبد الوهاب إلى هذا الجامع[٦]، ويرجع آخر البناء إلى فترة الوجود العثماني باليمن[٧].

أما عن المنارة الحالية فقد قام سيرجي شيرنسكي «العالم السوفيتي» بزيارة المنارة عام (١٩٧٢م) ودعا إلى إجراء حفرية أثرية، وأجرت بعثة اليونسكو برئاسة رونالدليكوك بعض المسوحات وأوصت بإجراء صيانة وترميم شامل[٨] على المئذنة، وأشار سيرجي إلى أن المنارة شيّدت في القرن الثامن الميلادي وأن زخرفتها تعود إلى القرن السادس عشر وأن

---

(١) اليمني، المصدر السابق ص٧١ وبامخرمة، المصدر السابق ص٣٩ و٦٠ والعبدلي، هدية الزمن ص٥٣.

(٢) ابن المجاور، المصدر السابق ص١٢٠ وبامخرمة ص٣٩.

(٣) لقمان، المصدر السابق ص٣٨.

(٤) تقرير مقدم إلى المؤتمر التاسع للآثار، أوضاع الآثار الإسلامية في جمهورية اليمن الديمقراطية ص٣٩٨.

(٥) بامخرمة، المصدر السابق ص٦١.

(٦) رابضة، المصدر السابق ص٨١ وهارلدوف، ملوك شبه الجزيرة مترجم ص٣٥٩.

(٧) هارلدوف، نفسه ص٣٦٠.

(٨) رابضة، المصدر السابق ص٨١ ومعالمنا التاريخية والآثارية بين المصادر الكلاسيكية والدراسات الأركيولوجية، مجلة المنارة ع٤ س١٩٨٩ ص٤٥.

قاعدتها المضلّعة ربما كانت قائمة على أثر قديم لعلّه يعود إلى ما قبل الإسلام[(١)].

وبدن المئذنة أصله هرميّ الشكل له قاعدة مثمّنة قطرها السفلي ٤,٥٤م وعند قاعدة القبّة التي تتوّجها يبلغ قطرها ٣,٦٠م وهذا البدن مقسّم إلى ستة أجزاء بواسطة أفاريز جصّية بارزة بروزاً بسيطاً[(٢)].

ويوجد عند قاعدة المئذنة بناء من الحجر حول قاعدتها أقيم لتدعيم المنارة بعد حدوث الميل فيها، ويزيّن بدنها بعض العناصر الزخرفية البسيطة التي تدلّ على تأثّره بالأسلوب السلجوقي وذلك نتيجة بقاء العثمانيين القصير في عدن[(٣)] الشكل (١).

المبحث الثالث

أ ـ تصميم المآذن اليمنية وتخطيطها

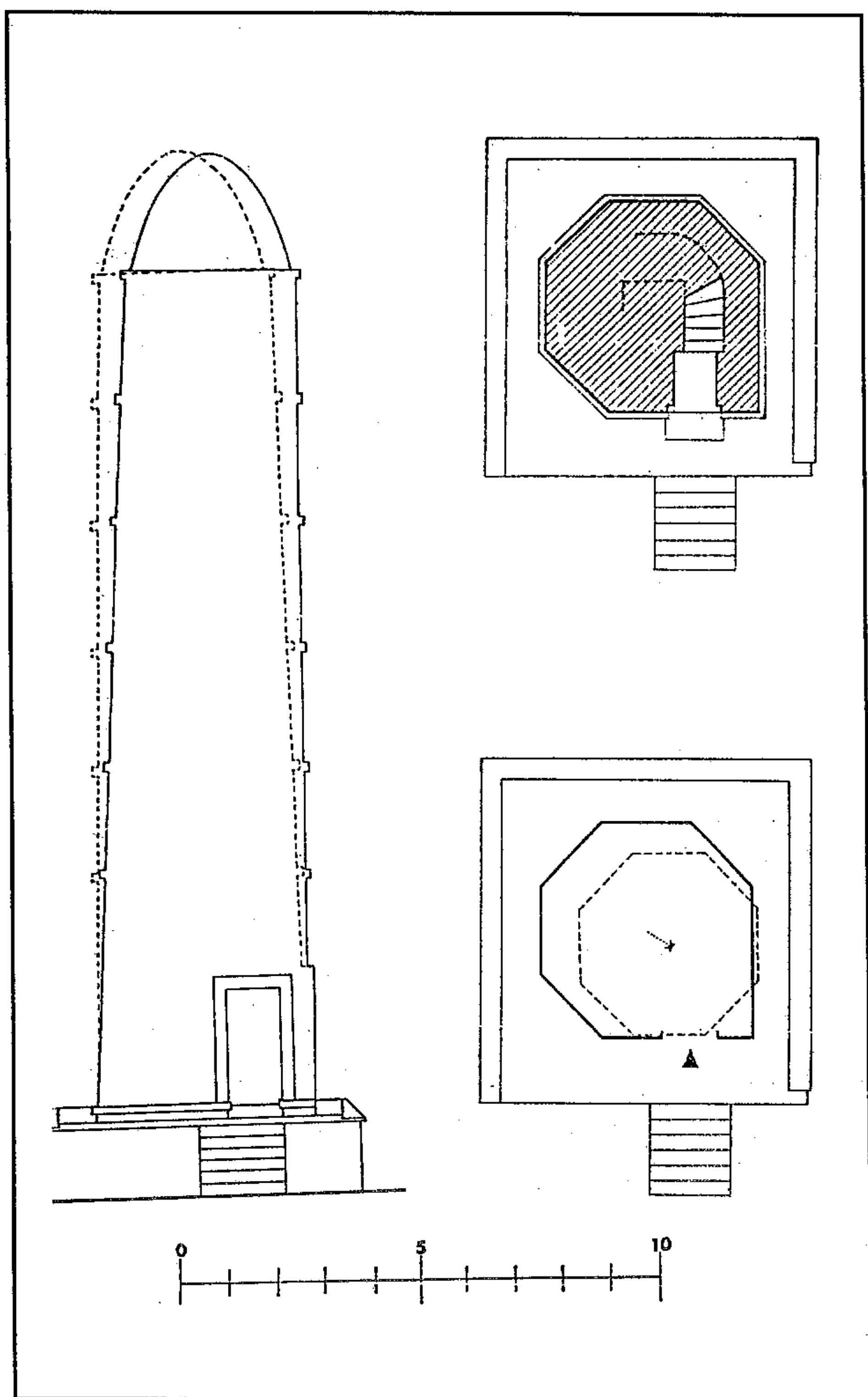
بعد الاستعراض السريع للمآذن اليمنية المختارة التي تمثّل فترات تاريخية مختلفة نخلص إلى القول بأن المآذن اليمنية اتّبعت في تخطيطها التصمصم المألوف في العالم الإسلامي وإن اختلفت في بعض التفاصيل التي لا يمكن أن تشكّل اختلافاً بيّناً في التصميم، فالعالم الإسلامي من شرقه إلى غربه وحدة معمارية متكاملة وذلك حسب التوجيه الإسلامي للمعمار المسلم، ولم يخضع تصميم المئذنة اليمنية إلى عصر بعينه حيث أن تصميم مئذنة لعصر ما نجد ما يشابهه في عصر آخر فمثلاً طراز مئذنتي جامع جبلة (٤٨١هـ ـ ١٠٩٢م) انتشر بشكل كبير في المناطق الشمالية من اليمن مثل ذمار وصنعاء.

---

(١) شيرنسكي ـ سيرجي ـ أضواء على الآثار اليمنية ص١٧ نقلاً عن رابضّة، نفسه ص٤٥.

(٢) باوني، رَوزاريو، تقرير أولي عن أوضاع منارة عدن ترجمة أحمد شمسان ص١.

(٣) تقرير مقدم لمؤتمر التاسع للآثار عن أوضاع الآثار الإسلامية في ج. ي. د. ص٣٩٩.



شكل [٢]: منارة عدن/ نقلًا عن روزاريو، باوني

ومئذنة الجامع الكبير بزبيد (٥٨٢هـ ـ ١١٨٤م) من العصر الأيوبي نجد هناك شبيهاً لها في عصر بني رسول وهي مئذنة الجامع المظفري بالمهجّم (٦٤٧هـ ـ ١٢٤٩م ـ ٦٩٤هـ ـ ١٢٩٤م). وكذلك مئذنة جامع إب (٦٨٥هـ ـ ١٢٨٦م) التي نجد لها شبيهاً من حيث التصميم في عصر بني طاهر وهي مئذنة الجامع الكبير بِجُبَنْ، ونجد جميع مآذن بني رسول تتشابه بعضها مع بعض تقريباً مثل مئذنة المظفر والمدرسة الظاهرية والمدرسة الأشرفية، وبسبب هذا التشابه تقسم المآذن اليمنية حسب مناطقها إلى ثلاثة طرز:

أ ـ منطقة تهامة والسهل الساحلي: وفيها انتشر طراز زبيد الذي يتكوّن من قاعدة مربّعة الشكل يعلوها بدن مثمّن طويل قسم إلى قسمين: الأسفل زيّن بحنايا والعلوي زيّن بأشكال هندسية عبارة عن معيّنات متّصلة بعضها ببعض ثم يعلو ذلك شرفة المؤذّن ثم القبّة المقرنصة التي تتوّج المئذنة ويشمل هذا الطراز مئذنة الجامع الكبير بزبيد (٥٨٢هـ) ومئذنة الجامع المظفري بالمهجم (٦٤٥ ـ ٦٨٥هـ)، وإن وجد هذا الطراز بشكل قصير في بقية مآذن زبيد كجامع الأشاعر وغيره ولهذا الطراز نماذجه في المناطق الوسطى مثل إب. متمثلًا في مئذنة جامعها وفي جُبَنْ متمثلًا في مئذنة جامعها وفي عدن على ساحل أبين هناك (منارة عدن)، وإذا تخلّينا عن وجود القاعدة المربّعة إلى القاعدة المثمّنة والبدن المثمّن نجد هناك مئذنة العيدروس بمدينة عدن.

ب ـ المنطقة الوسطى وفيها انتشر طراز تعز وهذا الطراز يشمل قاعدة مربّعة الشكل يقوم عليها بدن مثمّن ذو حنايا محارية ثم بدن آخر شبيه بالسابق ثم الشرفة والتي تتّخذ شكلًا دائرياً ثم يتبعها جوسق على غرار البدن السابق وإن كان البعض مسدّساً ثم يتوّج المئذنة قبّة ملساء شبيهة بالمنجرة، ووجدنا أمثلة لهذا الطراز الذي شاع في تعز في مئذنتي الأشرفية (٨٠٠هـ) ومئذنتين سقطتا قبل عام (١٩٦٢م) وهما مئذنة المدرسة المظفرية (٦٤٧ ـ ٦٩٤هـ، ١٢٤٦ ـ ١٢٩٤م)، ومئذنة المدرسة الظاهرية (٨٣٥هـ) ثم في المدرسة المنصورية بِجُبْنَ (٨٨٧هـ ـ ١٤٨٢م).

جـ ـ المنطقة الشمالية وانتشر في هذه المنطقة طراز مدينة جبلة متمثّلًا في

مئذنتي جامعها (٤٨١هـ ـ ١٠٩٢م) وإن كانت قاعدة المئذنة الغربية مثمّنة الشكل وقاعدة المئذنة الشرقية مربّعة يتبع ذلك بدن قصير ثم يستدير بعد ذلك تزيّنه زخارف هندسية الشكل ثم الشرفة التي اتّخذت إما شكلًا دائراً أو شكلًا مثمّناً، وهذا الطراز نجده في منطقة صنعاء وذمار وذيبين وإن اختلف في بعض التفاصيل وسنلاحظ ذلك عند دراستنا لمآذن صنعاء في الفصل القادم إن شاء اللّه. ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن المئذنة عموماً تتكوّن من قاعدة وبدن وشرفة وجوسق، فالقاعدة إما أن تكون مربّعة وهي الأغلب أو مضلّعة مثبتة في الأرض وعليها يرتكز بدن المئذنة، وهو إما أن يكون مضلّعاً أو مستديراً ويحمل هذا البدن شرفة المؤذّن وهي أيضاً تتّخذ شكل البدن أو قد تختلف عنه (مضلّعة أو دائرية) وهي أهم جزء في المئذنة، ولا بد أن يكون لها سياج يصل ارتفاعه إلى متر وأحياناً يكون لها ظلّة كما في مئذنة جامع إب، ثم يقوم بعدها رقبة أخرى صغيرة وتغطيه قمة متدرجة كمآذن زبيد أو مضلّعة أو مستديرة كبقية النماذج للمآذن اليمنية، هذا وللمئذنة أيضاً سُلّم (درج) حلزوني يبدأ من سطح الأرض ويدور حول القطب (لب) وهو إما مربع أو مستدير.

ومن المآذن ما لها سلّمان كمئذنة المدرسة الظاهرية بتعز (٨٣٥هـ) ووجدت المآذن ذات السلّمين في العراق في مئذنة جامع الخلفاء ببغداد وجامع النوري بالموصل، وفي الأندلس جامع قرطبة، وفي مصر مئذنة قوصون ـ هذا ويفتح في المئذنة بابان باب من أسفلها وباب عند الشرفة لخروج المؤذّن ويمكن تسميته بباب المؤذّن أسوة بباب الإمام في الجامع، إلى جانب ذلك نجد هناك فتحات الإضاءة والتي تشبه المزاغل في القلاع الحربية.

ب ـ صلة المئذنة بالمسجد:

تعتبر المئذنة عنصراً معمارياً ثانوياً بالنسبة للمسجد إذا ما أخذنا في اعتبارنا الأجزاء المهمة في المسجد مثل رواق القبلة (بيت الصلاة) والمجنّبتين الشرقية والغربية والمؤخّرة بالنسبة للمساجد الصحنية وبيت الصلاة بالنسبة للمساجد ذات الوحدة الواحدة، وبالتالي فالمئذنة لم يكن لها

موقع معيّن في المساجد، فنجد أن المساجد ذات المئذنتين تقعان في ركني مؤخرة المسجد كما في مسجد السيدة بنت أحمد ومئذنتي جامع ذي أشرق، وجد أن بعض المآذن تتصل اتصالاً وثيقاً بالمسجد فتقع إلى الداخل من المسجد حيث تطلّ على الصحن الأروقة كما في جامع زبيد التي تقع في الركن الجنوبي الغربي أو تتصل بالمسجد من الخارج كما في جامع ظفار ذيبين التي تقع في الناحية الشرقية منه متصلة بجداره من الخارج، أو تكون منفصلة عنه تماماً كما في جامع العيدروس بعدن والتي تقع في الجهة الشرقية.

هذا بالنسبة للمساجد، أما بالنسبة للمدارس فنجد أنها اتّبعت نمط المساجد باتّخاذ المآذن فمنها ما اتخذت مئذنتين أو مئذنة واحدة فالمدارس ذات المئذنتين احتلت المئذنتان فيها ركنين في الجهة الجنوبية، فمثلًا مئذنتا الأشرفية بتعز تحتلان ركنيها ويطلّان على المجاز الجنوبي للمدرسة وكذلك بالنسبة للمدرسة المنصورية بجبن.

وهكذا نجد من خلال ما سبق أن المئذنة تتصل مباشرة بالمسجد سواءً تقع على جدران المسجد من الداخل أم من الخارج أم تبتعد عنه، فلم تكن هناك قاعدة معيّنة وثابتة لموقع المئذنة من المسجد، ومع أن المئذنة تعتبر علامة دالة على المسجد واتخذت فيما بعد للمدرسة التي أصبح من صفاتها إلى جانب التدريس الصلاة فكان الموقع لا يهم ما دامت المئذنة تؤدي غرضها الذي صمّمت من أجله وهو النداء للصلاة في أوقاتها وأصبحت المآذن من أبرز علامات المدن الإسلامية.

المبحث الرابع

علاقة المئذنة اليمنية بشقيقاتها في العالم الإسلامي

تعتبر مئذنة القيروان المثل الباقي منذ زمن البناء في سنة (١٠٥هـ) والتي قيل إنها ذات تأثير سوري، واتّخذت هذه المئذنة مثلًا يحتذى به في مآذن مصر وشمالي أفريقيا والأندلس، أما في العراق فقد اتّخذ أنموذج يختلف عن ذلك وهو الملويات التي بنيت على غرار الزقورات وكان لها تأثير على مئذنة ابن طولون في مصر وقد سبق الحديث عن ذلك في مبحث

تطوّر المآذن، ثم اتّخذ العراق نموذج المآذن الإسطوانية الذي انتشر في شرق العالم الإسلامي، أما في بلاد الشام فقد اتّخذت المآذن المربّعة.

كان ذلك عن المآذن التي سادت أقطار العالم الإسلامي والتي كانت تنفّذ بأوامر الخليفة، فعلى سبيل المثال لا الحصر أن زياد بن أبيه بنى جامع البصرة بالآجرّ وأضاف إليه مئذنة من الحجر، كما أمر معاوية واليه مسلمة على الفسطاط ببناء مآذن جامع عمرو.

واليمن لم تكن بمعزل عن العالم الإسلامي فتأثّرت وأثّرت إذ خرجت من اليمن الجيوش الفاتحة التي استقرت في المناطق التي مصّرت وكان من بين جيوشها مهندسون اختارهم قواد الفتح الإسلامي للإشراف على تخطيط المدن وبنائها كالبصرة والكوفة والفسطاط[1]، وفي العصور الأموية والعباسية والفاطمية كان ارتباط اليمن بعواصم الخلافة سواء دمشق أم بغداد أم القاهرة إرتباطاً وثيقاً، وفي أثناء تلك العصور قامت في اليمن دويلات صغيرة تكاد تكون مستقلة واستقلّت عن الخليفة، وفي أثناء خلافة المأمون العباسي لم تكن هذه الدويلات ذات صفة رسمية فكان الأمير عليها يتلقّى تعيينه من الخليفة في بغداد، فمثلاً محمد بن زياد ولّاه المأمون على زبيد حتى استقلت هذه الدولة بمنطقة تهامة، أما في المناطق الأخرى فكانت هناك دولة بني يعفر (الحواليين) الذين كانوا في البداية تابعين لدولة بني زياد في زبيد وكانت الخطبة في صنعاء للخليفة العباسي حتى استقلّ اليعفريون عن بني زياد وتولّاها محمد بن يعفر الحوالي بموافقة من الخليفة العباسي المعتمد.

وفي العصر العباسي كانت العلاقة مباشرة بين مصر واليمن أثناء حكم الصليحيين وكان الأمير الصليحي ينفذ أوامر الخليفة وتعليماته وكان يرسل له المستشارين من القاهرة مثل ابن نجيب الدولة، وعندما وصل صلاح الدين الأيوبي إلى سدّة الحكم في القاهرة كان في البداية يخطب للخليفة العباسي

---

(١) عبد اللّه، يوسف محمد ـ أوراق في تاريخ اليمن ج٣ بغداد ١٩٨٩ ص٤٧ وميتز، المصدر السابق ص٢٦٧ وكان أول من أشار على الخليفة عمر بإعادة بناء البصرة من اللبن بعد حريقها أبو موسى الأشعري (انظر العميد تخطيط المدن ص٢١٣) وأما بالنسبة للكوفة والفسطاط فكانت مهمة تخطيطها قد أسندت إلى يمنيين هم (الأسدي) في الكوفة والخولاني والمعافري في الفسطاط وهما يمانيين، (انظر صفحة جزيرة العرب ص٤٩٣ إلى ٥٠٠) والبلاذري ص٣٣٩ والعميد المصدر السابق ص٢٥١.

في بغداد، ثم استقلّ الأيوبيون بالحكم وأرسل صلاح الدين أخاه توران شاه إلى اليمن لإدخاله تحت سيطرته ثم تبعه في تولية اليمن أخوه سيف الإسلام طغتكين وأنشأت هذه الدولة في اليمن مآثر كثيرة كان أغلبها المدارس.

وبعد دولة بني أيوب استقلّت باليمن دولة بني رسول وكانت في البداية تابعة للخليفة في بغداد وخاصة في عهد المنصور نور الدين عمر وبداية حكم المظفر يوسف الذي استقلّ عن بغداد واستطاع أن يحكم اليمن بأسره، وفي أثناء حكم بني أيوب وبني رسول كانت هناك في المناطق الشمالية دولة الأئمّة الزيديين التي كانت في مدّ وانحسار حسب قوة الحاكم في المناطق الجنوبية وهي دولة يمنية تمتّعت بشخصية مستقلة وهي التي بقيت أثناء الاحتلال العثماني مقاومة له واستمرّت هذه الدولة حتى سنة (١٩٦٢م).

ويعدّ الاستقراء السريع لحالة اليمن السياسية نعود لما تبقّى لنا من مآذن هذه الفترات التاريخية. فمن العصر الأموي لم يتبقّ لنا أية مئذنة كما لم تصل إلينا أية إشارة تاريخية لوجود مئذنة من هذا العصر، أما من العصر العباسي فهناك إشارات تاريخية ومادية تؤكّد بناء المآذن في هذه الفترة إذا أخذنا في الاعتبار مآذن الجامع الكبير بصنعاء وخاصة قاعدة المئذنة الغربية التي ترجع إلى سنة (٢٦٥هـ) حسب النقش الخشبي القريب من السقف، إلّا أن هذه المئذنة أعيد بناؤها في العصر الأيوبي وسوف نناقش هذا في الفصل القادم.

أما من العصر الفاطمي فقد بقي لنا مئذنتان في جامع السيدة بذي جبله (٤٨١هـ) ولكن هاتين المئذنتين جددتا كما أسلفنا ولم نجد أية علاقة بين هاتين المئذنتين ومئذنتي الحاكم ومئذنة الجيوشي المتبقية من العصر الفاطمي في مصر[(١)]، إلا أن هذه العلاقة نراها في الزخرفة التي تزين محراب الجامع وجدران الضريح فهي تشبه الزخرفة الفاطمية على الآثار المصرية[(٢)]. ومن الفترة الأيوبية نجد هناك تشابهاً بين مآذن اليمن ومآذن العراق فمثلًا نجد مئذنة الجامع الكبير بزبيد تتشابه إلى حدّ كبير وإن اختلفت في التفاصيل مع

---

(١) سالم، المآذن ص١٧، ١٨، ١٩ وفكري، المصدر السابق ج١ ص٧٤ وسامح، العمارة الإسلامية في مصر ص٩١ Abuseif, opcait, P 64, 67 Creswell, opcait, P 90.

(٢) Lewcock, the Medieval, Architectur of Yemen P 207.

مئذنة «عنه» التي تعود إلى نهاية القرن الخامس الهجري[١]، فلكل منهما قاعدة مربّعة وبدن مثمّن، كما نجد أن هناك تماثلًا بعض الشيء بين مئذنة جامع زبيد والمئذنة المظفرية بأربيل ومئذنة سنجار وذلك من حيث البدن المثمّن، كما نجد التشابه مع القبّة المقرنصة التي تتوّج مئذنة جامع زبيد وهي تشبه القباب المخروطية في العراق مثل قبّة مشهد السيدة زمردة خاتون[٢] وقبة مشهد إمام الدور[٣]. وهذه النهايات نجدها في قمم مآذن زبيد بصورة خاصة مما يوحي بالتأثير العراقي على العمارة الإسلامية اليمنية وخاصة في مدينة زبيد.

كما نجد هناك تشابهاً بين مئذنة الجامع الكبير الغربية بصنعاء (٦٠٣هـ) ومئذنة أسنا في الصعيد حيث تتكوّن كل منهما من قاعدة مربّعة وبدن إسطواني وشرفة مقامة على كوابيل خشبية ثم الجوسق المضلّع[٤]، كما تتشابه مع مئذنة مدرسة الصالح نجم الدين وأبي الغضنفر[٥].

أما بنو رسول فقد قلّدوا الأيوبيين في أعمالهم المعمارية فمثلًا نجد أن مئذنة الجامع المظفري ما هي إلا نموذج لمئذنة جامع زبيد وكذلك مئذنة جامع إب.

وإذا ما انتقلنا إلى مئذنتي الأشرفية في تعز فنجد أن فيهما تشابه مع مئذنة زاوية الهنود من حيث البدن ذو الطوابق المثمّنة[٦] والمزخرفة بالحنايا المحارية التي تعتبر من خصائص الطراز الأيوبي وتزيّن مآذن بني رسول.

وفي عصر بني طاهر نشاهد هذا التشابه بين مئذنة الجامع المجاهدي بجبن ومئذنة عنه في العراق من حيث القاعدة المربّعة والبدن المثمّن ذو الفتحات وتقسيم البدن إلى طوابق وكذلك في القبّة التي تتوّجها، بينما نجد

---

(١) سليمان، وآخرون المصدر السابق ص١٤٤.
(٢) Lewcock, Ibid P 208.
(٣) العاني، علاء، المشاهد ذات القبب المخروطية ص٤٥ والحديثي عطاء وآخرون، القباب المخروطية في العراق ص١٩.
(٤) سالم، المآذن ص٢١.
(٥) فكري، المصدر السابق ج٢ ص٦٦ وسالم، المآذن ص٢٤.
(٦) فكري، المصدر السابق ج٢ ص٤٤ و٤٥.

التشابه الكبير بين منارة عدن ومئذنة عنه في تقسّم البدن إلى طوابق، فقد قسمت منارة عدن إلى ستة طوابق[1] بينما قسمت مئذنة عنه إلى ثمانية طوابق، كما نجد تشابهاً أيضاً بين مئذنة العيدروس ذات البدن المثمّن والشرفات المتعدّدة وهي التي تشبه شرفة مئذنة زاوية الهنود[2] وشرفة مئذنة أبي الغضنفر[3]، هذه هي بعض أهم ملامح العلاقة بين مآذن اليمن وشقيقاتها في العالم الإسلامي.

---

(١) باوني، المصدر السابق ص١.

(٢) فكري، المصدر السابق ج٢ ص٤٤.

(٣) فكري، المصدر السابق ج١ ص١٧٠ لوحة (٦٠) وسامح، العمارة الإسلامية في مصر ص٨٩.

مآذن صنعاء

المبحث الأول

مأذنة صنعاء في دور التكوين وتاريخها

سبق الحديث عن نشأة المئذنة اليمنية وقد كان لصنعاء النصيب الأكبر في ذلك المبحث حيث أن أغلب الإشارات الواردة إلى نشأة المئذنة هي تلك التي تحدثت عن وجود المئذنة في مدينة صنعاء وخاصة مسجدها الكبير، فقد كان أول ذكر لها سنة (٢٦٥هـ) عندما قام الأمير محمد بن يعفر الحوالي بإعادة بناء المسجد، ولم تشر الروايات إلى أنه قام ببناء مئذنة ولكننا نشاهد على لوح خشبي حشر في الجدار الشمالي لقاعدة المئذنة الغربية قرب السقف الخشبي للجامع نقش عليه محمد بن يعفر سنة (٢٦٥هـ ـ ٨٨١م)[١]، وهناك إشارة تاريخية تقول: وفي السنة المذكورة انقضّت في صنعاء صاعقة في النهار من غير مطر فهدمت شيئاً من المنارة الشرقية[٢] مما يدلّ على أنه كان للجامع في تلك السنة منارتان (شرقية وغربية).

غير أنه لم يورد أي من المؤرّخين وصفاً لهذه المآذن غير تلك الإشارة، ثم نجد بعد ذلك إشارة أخرى لنفس المآذن وهذه الإشارة تقول: في سنة (٢٩٧هـ) كان يحكم صنعاء الأمير أسعد بن يعفر فلما سمع بقدوم علي بن الفضل القرمطي بجيوش كثيرة هرب أسعد منها ودخلها علي بن الفضل فنزل الجامع وفي أيامه ـ أيام سنة (٢٩٧) ـ حصل مطر عظيم فأمر ابن الفضل بسدّ ميازيب الجامع واطّلع النساء اللّاتي سُبين من صنعاء وغيرها إلى المنارة، وجعلوا يلقونهم إلى الماء[٣]، ثم تنقطع الإشارات التاريخية عن

(١) محمد، غازي رجب ـ الجامع الكبير بصنعاء، مجلة كلية الآداب ـ بغداد ع٢٨ س١٩٨ ص٣٧٦ و Finster, B, Die Freitagsmoschee von Sana P 180.

(٢) الواسعي، المصدر السابق ١٩.

(٣) الجندي، المصدر السابق ص٢٣٨ وشرف الدين، المصدر السابق ج٤ ص٨٩ وFister, Ibid P 180.

المآذن حتى نهاية القرن الرابع، وفي عهد الحسين بن سلامة مولى بني زياد المتوفّى سنة (٤٠٢) والذي يذكر أنه «أنشأ الجوامع الكبار والمنارات الطوال، إلى أن ينتهي إلى القول ثم جامع صنعاء وهو عظيم[١]، إلا أننا لا نعرف ماهية العمل الذي قام به الحسين بن سلامة في هذا الجامع بينما نجد في صنعاء جامعاً باسمه (جامع الحسين) وفي سنة (٦٠٣هـ) أعيد بناء مئذنتي الجامع الكبير بصنعاء اللتين ما زالتا قائمتين وهما أولى مآذن صنعاء.

ولذا نجد أن جميع الروايات التاريخية التي تحدثت عن المئذنة في صنعاء في دور تكوينها كانت تحوم حول المسجد الكبير فقط، ذلك لأن تشييد المآذن في اليمن عموماً كان مقتصراً على الجوامع الكبار فقط دون غيرها من المساجد الصغيرة والتي أصبح لها فيما بعد مآذن، لأن الجامع كان المكان الذي تقام فيه صلاة الجمعة التي يحثّ عليها الإسلام بالحضور إلى الجامع، ولأهمية صلاة الجمعة كان الاهتمام بالجامع أكثر من غيره مع العلم أنه لم يكن للمدينة سوى جامع واحد ـ وإلى جانب صلاة الجمعة تقام فيه أيضاً صلاة العيدين ـ ولذلك انصبّ اهتمام أمراء المسلمين وحكّامهم والميسورين منهم على العناية بالجامع سواءً تشييداً أم تزويقاً أم إضافة أم إقامة مآذن له تليق به كجامع المدينة.

وتعتبر مآذن الجامع الكبير بصنعاء أولى المآذن التي شيّدت في صنعاء، وما زالت هاتان المئذنتان قائمتين منذُ زمن بنائهما في بداية القرن السابع الهجري، وقبل الحديث عن هاتين المئذنتين لا بد لنا من لمحة تاريخية مختصرة عن جامع صنعاء وتاريخه حيث يعتبر من أولى المساجد التي بنيت بأمر الرسول ﷺ[٢].

إلا أننا نجد أن الاختلاف في أي من عمّال النبيّ ﷺ هو باني المسجد، ومن خلال استعراضنا للروايات التاريخية التي أشارت إلى ذلك نجد أن أغلبهم يشير إلى أن باني المسجد هو وبر بن بحيس الأنصاري الذي قال له الرسول ﷺ: «ادعهم إلى الإيمان فإن أطاعوا لك فاشرع للصلاة فإذا أطاعوا لك فمر ببناء المسجد لهم ببستان بأذان من الصخرة التي في أصل

(١) اليمني، المصدر السابق ص٤١ والمفيد ص٧٥.

(٢) الرازي، المصدر السابق ص٧٦ والجعدي، المصدر السابق ص٢٦ والأهدل، نثر الدل المكنون في فضل اليمن الميمون ص٣٩.

غمدان واستقبل بها الجبل الذي يقال له ضين»[١]، وقيل إن الرسول ﷺ بعثه إلى اليمن بعد موت بأذان فأنزله داذوبة في كنيسة صنعاء عند امرأته أم سعيد البرزجية[٢].

كما نجد هناك رواية تقول إن باني المسجد هو أبان بن سعيد بن العاص الذي أسّس المسجد على الصفة السابقة[٣]، كما قيل إن بانيه هو فروة بن مسيك، ورواية تقول: إن بانيه المهاجر بن أمية، وأخرى تقول: إن بانيه هو معاذ بن جبل[٤]، وأيًا كانت الروايات في باني المسجد إلا أنهم أجمعوا على دخولهم إلى صنعاء على عهد النبي ﷺ[٥].

أما تاريخ بناء الجامع فيشير الرازي إلى سنة (٦هـ) على مبرك ناقة رسول اللّه ﷺ وذلك قبل مسجد الجند بستة أشهر وقيل بسنتين[٦].

وإذا سلّمنا بالقول أن مسجد صنعاء بني قبل مسجد الجند بسنتين فنجد أن أول جمعة أقيمت في اليمن كانت في مسجد الجند في شهر رجب من السنة العاشرة للهجرة، ومن ثم فإن بناء مسجد صنعاء يكون في رجب أو حول ذلك من السنة السابعة مما يجعلنا أكثر اعتقاداً بقدوم وبر بن يحنس مع وفد الأبناء الذي عاد من المدينة بعد إسلامهم[٧].

ثم بقي المسجد على حالته حتى خلافة الوليد بن عبد الملك الذي اشتهر بنشاط عماري كبير، حيث يذكر المؤرّخون أنه أمر واليه على صنعاء أيوب بن يحيى الثقفي أن يزيد في مسجد صنعاء ويبنيه بناءً محكماً فبناه وزاد فيه من قبلته الأولى إلى موضع قبلته الحالية.

---

(١) الرازي، المصدر السابق ص٧٥ وابن الديبع، الفضل ص٣٥.

(٢) الرازي، المصدر السابق ص٧٦ والجعدي، المصدر السابق ص٢٦ والحجري، المصدر السابق ص٢٤ والأكوع، إسماعيل، مصاحف صنعاء ص٩ والسيرجنت، المصدر السابق ص٣٢٣.

(٣) سليمان، محمود، تاريخ اليمن السياسي ص٢٢٧ والجعدي، المصدر السابق ص١٨.

(٤) محمد، غازي رجب، المصدر السابق ص٣٧٧.

(٥) الرازي، المصدر السابق ص٨٩ والحجري ص٢٣ والأكوع محمد، الوثائق ص١٢٩ والأكوع إسماعيل مصاحف ص٩.

(٦) شجاع، عبد الرحمن، المصدر السابق ص١٥٣ والحديثي عطاء، أهل اليمن في صدر الإسلام ص١٠١ و١٠٢.

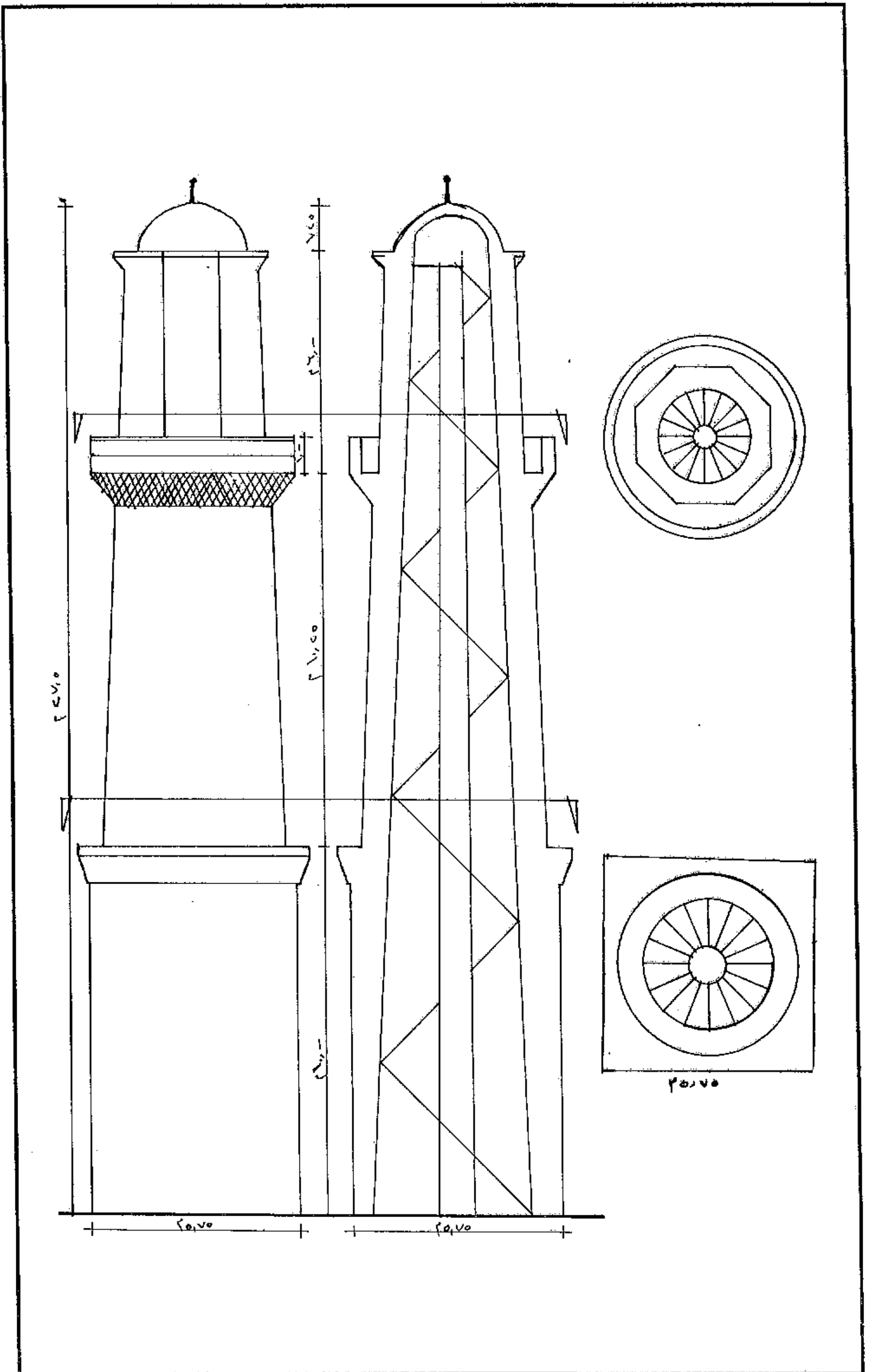
(٧) الرازي، المصدر السابق ص٥٨ وابن الديبع، قرة ج١ ص١٠٢ وغازي، المصدر السابق ص٢٧٩.

وفي بداية العصر العباسي بُوِّبَ الجامع وكان من قبل بدون أبواب وذلك في عهد والي صنعاء عمر بن عبد المجيد القُريشي - وفي سنة (١٣٦هـ) أمر الخليفة العباسي أبو العباس السفاح واليه على اليمن «علي بن الربيع» بتجديد بناء الجامع[١] وذلك كما هو مزبور على لوحة رخامية أسفل قاعدة المئذنة الشرقية، إلا أن هذا النقش الكتابي لم يفصح عن ماهيّة البناء أو التجديد، حيث استمر المسجد على حالته حتى سنة (٢٦٢) حين نزل سيل عظيم إلى المسجد فأصابه بأضرار كبيرة فسارع الأمير محمد بن يعفر بعد أن قفل عائداً من الحج سنة (٢٦٥هـ) بعمارته وتجديد ما تشعّث منه[٢]، ولقد ظلّ المسجد محتفظاً بشكله العام حتى عصر الجندي ت (٧٣٢هـ) حيث نقل عن الجندي الكثير من المؤرّخين[٣].

كانت تلك إشارة عن تاريخ بناء المسجد بحيث نأتي إلى وصف المآذن الذي يذكرُ «العرشاني» أن الأمير علم الدين وردشار الشاكاني الكردي أحد أمراء بني أيوب في اليمن انتدب لعمارة المنارتين اللّتين في الجامع بتاريخ منتصف شهر ذي الحجة سنة اثنتين وستمائة[٤] وفي هذه السنة كان الهدوء نسبياً في اليمن لأنه تمّ التوصّل إلى عقد صلح بين الإمام عبد اللّه بن حمزة والأمير علم الدين وردشار وأن تستمر الهدنة عشر سنوات متتالية[٥]، ونجد أن أحد المؤرّخين يذكر في حوادث سنة (٦٠٩هـ) قوله: «ومن مآثر علم الدين بناء منارة جامع صنعاء[٦]، ولكنه أيضاً لم يحدّد أيّا من المنارتين هي المقصودة الشرقية أم الغربية».

بينما يرجّح أحد الباحثين أن المنارة الغربية للمسجد ترجع إلى ما قبل سنة (٢٩٩هـ - ٩١١م)[٧].

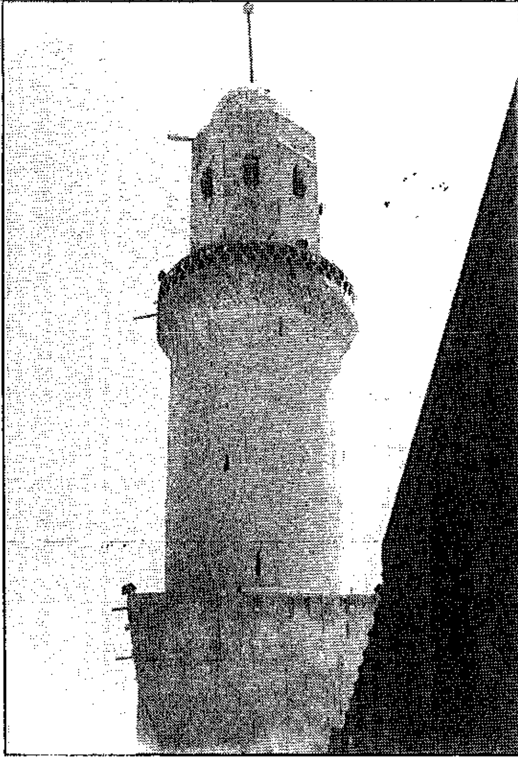
(١) ابن الديبع، بغية ص٣٦ والجرافي ص٤٩ وابن الحسين، غاية ق١ ص٢٩.
(٢) الرزاي ص٨٦ والأكوع، إسماعيل، مصاحف ص١١ والجرافي ص٥٦ والعرشي ص١٨.
(٣) سليمان، محمود، المصدر السابق ١٢٧ والأكوع، إسماعيل، المصدر السابق ص١١ واليمني، المفيد ص٥٧ والمطاع ص٧٢ و Sergent opcit P 324, Finster, B, opcit P 180, Scott, Hugh, In the high Yemen p 127, 128, Costa Some Islamic building in the Yemen P 20.
(٤) العرشاني، المصدر السابق ص٥١٩.
(٥) أحمد، محمد عبد العال، المصدر السابق ص٢١٠ والهمداني، محمد، السمط الغالي الثمن، تحقيق سميث ص٧٦ - ٨٨.
(٦) ابن الحسين، غاية ق١ ص٣٩٧.
(٧) Sergeant, opcit, P 324.



شكل [٣]: مئذنة الجامع الكبير بصنعاء الشرقية/ مقياس الرسم ١ ـ ١٠٠

وسنبدأ أولًا بوصف المئذنة الشرقية: اللوحة رقم (١٣) شكل رقم (٣)

لقد وصل إلينا وصف كاملٌ لبناء مئذنتي المسجد ومنها هذه المئذنة التي يقول عنها «العرشاني»: إنها كانت قد انتقضت في فترة متقدمة ـ أي قبل سنة (٦٠٣هـ) وبني فيها الشيء اليسير في مدة طويلة هي ثماني سنين، ثم إن الأمير أمر بعمارة هذه المنارة، وكان ذلك فوق البناء السابق ـ الذي لم يحدّد المؤرّخ إلى أين وصل البناء السابق إلا أننا نجد أن النقش الذي يتحدث عنه المؤرّخ أنه حشر في البدن المستدير والذي وضع بأمر الأمير مما يدلّل على أن القاعدة وجزء من البدن بني قبل سنة (٦٠٣هـ) أي ما بين سنة (٥٥٥ ـ ٦٠٢هـ) ـ ثم يواصل المؤرّخ وصفه بقوله: حتى وصلت العمارة إلى موضع الدرابزين فأمر بعمل درابزين فيها تعمل من ألواح جيدة حسنة مزوّقة وسمّرت بالمسامير الحديد الغليظة البليغة وأحكمت صنعته ولم يعلم في الإسلام أنه كان في صنعاء منارة لها درابزين ولا في جميع بلاد اليمن ولم يكن أحد من صنّاع صنعاء عمل قبلها منارة بدرابزين وقد عملوا ذلك برأي الأمير وترتيبه ثم بنيت المنارة من الدرابزين إلى موضع القبّة المثمّنة وعمل تحت القبّة موضع بالسكارج الخضر ثم عملت القبّة صنعة محكمة وكتب على حجار اسم هذا الأمير.



لوحة [١٣] توضح المئذنة الشرقية للجامع الكبير بصنعاء

ونزل الحجر في شرق المنارة من جملة البناء ـ وهو غير ظاهر حالياً بسبب التجصيص وكان الفراغ من عمارتها يوم الثلاثاء السابع من شهر صفر سنة ثلاث وستمائة[١].

---

(١) المصدر السابق ص٥١٩ ـ ٥٢٢.

وهذه المئذنة تقع في الركن الجنوبي الشرقي من صحن المسجد وتبرز إلى الصحن، وهي تتكوّن من قاعدة مربّعة طول ضلعها ٥,٧٥ وتبتعد عن رواق المؤخّرة بحوالي ٥ م(١) وبعد إنشاء المكتبة في عهد الإمام يحيى بن حميد الدين سنة (١٣٥٥هـ)(٢) أصبح جدار المئذنة الجنوبي جزءاً من جدار المكتبة.

ويفتح في قاعدة هذه المئذنة باب في الجهة الشمالية يصل إليه من صحن المسجد، وترتفع قاعدة المئذنة ١٠م يقوم عليها بدن إسطواني الشكل وهو من الأبدان الأسطوانية التي شاعت في العراق وهو غليظ نسبياً ولم تزيّن وجوه جدرانه بتحليات أو نقشات زخرفية وفتح فيه بدن يؤدي إلى سطح القاعدة ويتخلّل هذه البدن فتحات صغيرة للإضاءة(٣) وحشر في البدن حجر رخام مصفر مغطّى حالياً بطبقة جصّية كتب عليه اسم باني المئذنة ونصّه.. عمارة هذه المنارة الأمير الأجلّ الكبير لأعز المختار ملك الأكراد مصطفى.. أمير علم الدين وردشار بن سامي الشاكاني أنفق عليه من ماله(٤).

وأبرز ما يميّز هذه المئذنة المقرنصات التي تسند شرفتها، وتتّصف هذه المقرنصات بدقّة صنعها وتناسقها وكونها مشغولة بخمس حطات (صفوف) تأخذ شكل أسنان المنشار «المسنّنة» نتيجة التلاعب بالآجرّ، وجدير بالذكر أن مثل هذه المقرنصات قد استخدمت في مئذنة العاقولي في بغداد، ويعلو الشرفة رقبة مقسّمة إلى ثمانية أقسام محلّاة بنوافذ عددها بعدد أوجه الرقبة وعقود نوافذ الرقبة مفصّصة «فتح في الرقبة باب لخروج المؤذن»(*).

ثم يتوّج المئذنة من أعلى بقبّة مستديرة الشكل تنتهي من أعلى بعمود حديدي في قمّته جوزة (كره) والرقبة من الشرفة قد أعيدت في بداية و١٤ بعد سقوطه(٥) وحاول المعمار أن يعيد البناء على هيئته السابقة طبقاً لما جاء في وصف العرشاني.

---

(١) محمد، غازي، المصدر السابق ص٢٩٦.

(٢) الحجري، المصدر السابق ص٢٩.

(٣) محمد، غازي، المصدر السابق ص٢٩٦ و Sergeant opcit P 324, Scott P 128.

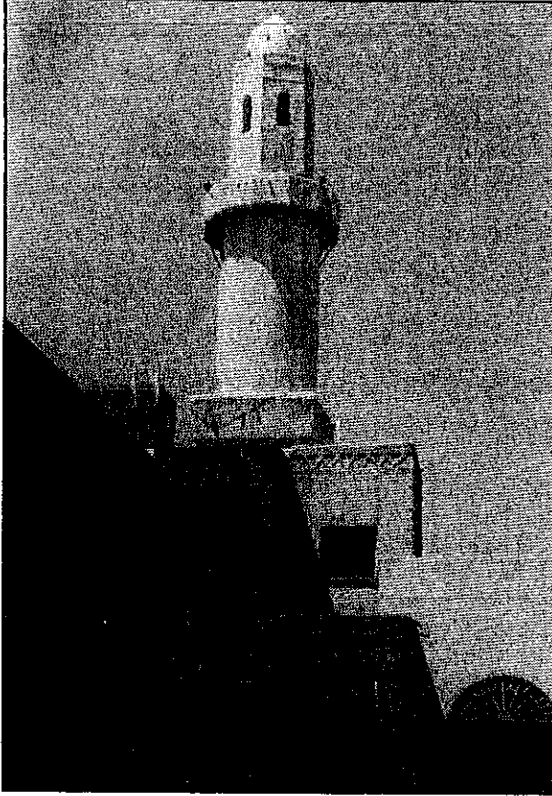
(٤) Sergent, opcit, P 348.

(*) باب المؤذن، الباب الذي يخرج إلى الشرفة لكي ينادي المؤذن بالصلاة وسميته بذلك تأسياً بباب الإمام الذي يفتح إلى جوار المحراب حتى لا يقطع صفوف المصلين.

(٥) الحجري، المصدر السابق ص٢٩.

المئذنة الغربية اللوحة رقم (١٤) شكل رقم (٤)

الموقع: تقع في المجنّبة الغربية للمسجد وتقطع صفوف المصلّين ببروزها إلى المجنّبة ويسير جدار قاعدتها الغربي مع جدار المسجد الغربي، وما زالت هذه المئذنة محتفظة بمعالمها العمارية منذ بنائها في سنة (٦٠٣هـ ١٢٠٦) كما يشير إلى ذلك النقش الذي حشر في جدار القاعدة من الجهة الشرقية والذي ينصّ على: لوحة رقم (١٥)

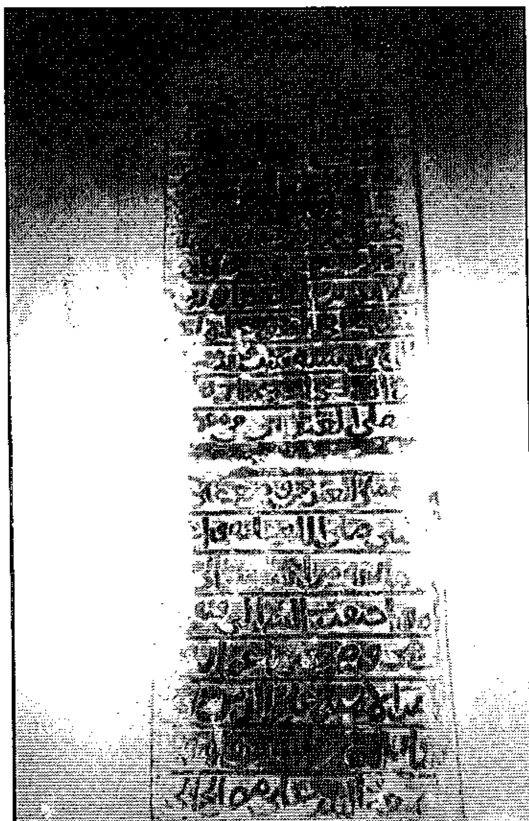


لوحة [١٤] توضح المئذنة الغربية للجامع الكبير بمدينة صنعاء

١ ـ المسجد الجامع بصنعاء أمر ببنائه.
٢ ـ رسول الله ﷺ.
٣ ـ قبل مسجد الجند وأعيدت عما.
٤ ـ رة هذه المنارة الغربية من.
٥ ـ أساسها إلى علوّها بأمر الأمير.
٦ ـ الكبير الأعزّ المختار أمير الأمراء ملك.
٧ ـ الأكراد مصطفى. . . .
٨ ـ علم الدين وردشار بن نيامي.
٩ ـ الشاكاني أنفق عليها من.
١٠ ـ ماله في سنة ثلاث وستمائة.
١١ ـ بعد أن كملت عمارة الجبّانة.
١٢ ـ مصلّى العيدين في مقدم صنعاء.
١٣ ـ ومصلّى العيدين وضع على عهد.
١٤ ـ النبيّ ﷺ وأعيدت.

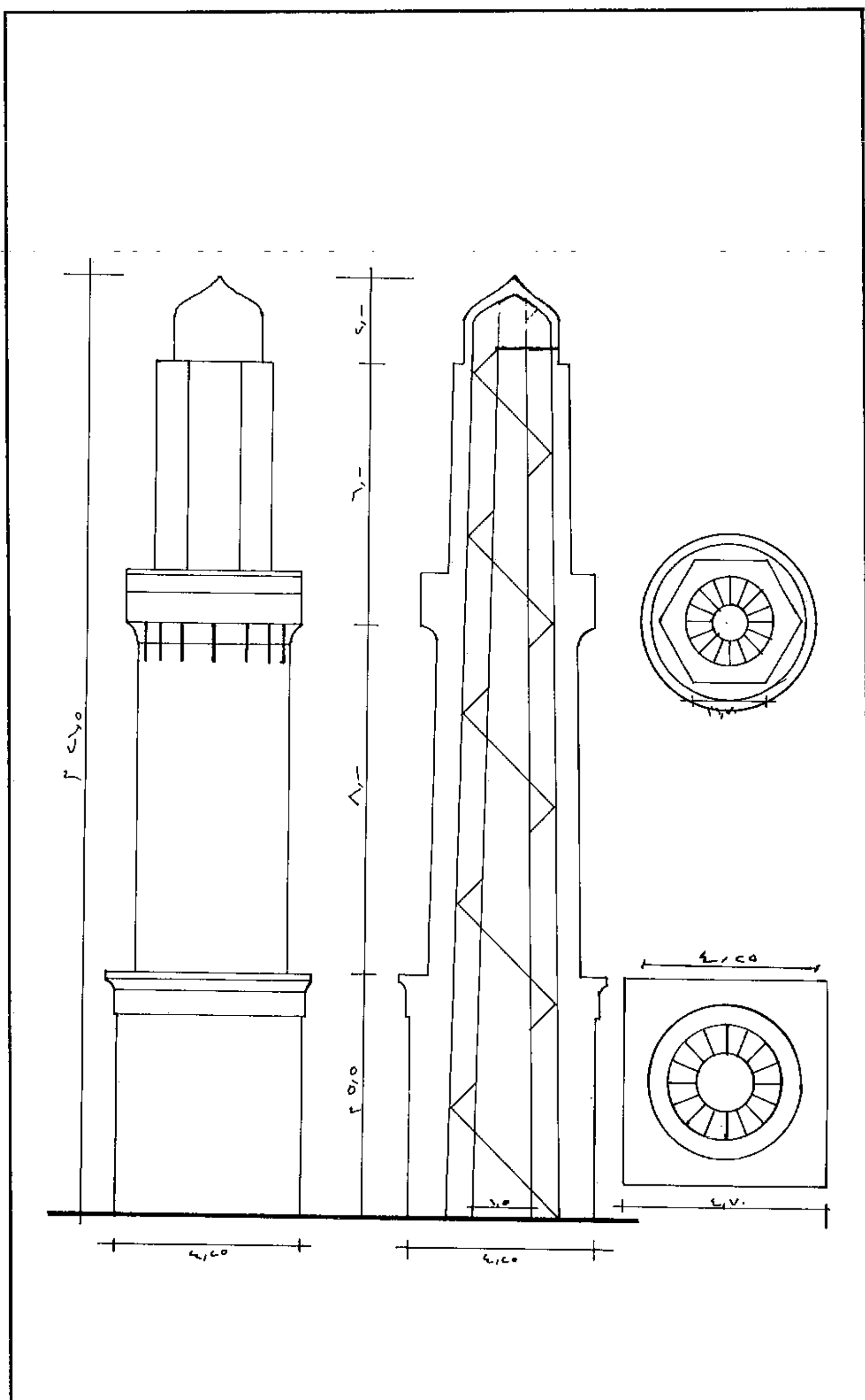
١٥ ـ عمارته من أساسها إلى علوّها.
١٦ ـ واحتفرت البئر التي فيه وعمّرت.
١٧ ـ هي وضيعتها عمارة أخرى.
١٨ ـ بأمر الأمير علم الدين ورد.
١٩ ـ شار أنفق عليها من ماله ووقف.
٢٠ ـ الضيعة والبئر على مصالح الجبّانة.

هذا ويصف العرشاني هذه المنارة بقوله: «وفي خلال هذه المدة بداية سنة (٦٠٣هـ ـ ١٢٠٦م) نقضت المنارة الغربية إلى غاية أسفلها ثم عمل أساسها على الصحيح من الأرض ثم بنيت بالأحجار قليلًا ثم أطلع بناؤها بالآجرّ والجصّ وفرغ بعض عمارتها إلى قريب السقف في خلال المدة اليسيرة ثم لم تزل العمارة متّصلة غير منقطعة بالآجرّ والجصّ والحديد حتى بلغت حدّ الدرابزين ثم عمل درابزينها صنعة محكمة أكثره بالساج حتى أصلح وأتقن وعمل باقيها مسدساً وركبت فيها وباقي صنعتها على حسن صنعة وأتقنها وأحكم بناؤه وأحسنه وركب في رأسها على صورة السفينة من النحاس وعمل له عموداً[١] من حديد وكان الفراغ من عمارتها لست عشرة ليلة خلت من شهر رمضان من شهور سنة ثلاث وستمائة[٢]».



لوحة [١٥] توضح نص
التجديد لمئذنتي الجاكع الكبير بصنعاء

(١) العرشاني، المصدر السابق ص٥٢١ و٥٢٢.
(٢) العرشاني، المصدر السابق ص٥٢٢.



شكل [٤]: مئذنة الجامع الكبير بصنعاء الغربية/ مقياس الرسم١ ـ ١٠٠

وهي تتكوّن من قاعدة مربّعة طول ضلعها ٤,٢٥ فتح فيها باب في الجهة الجنوبية وترتفع هذه القاعدة ٥,٥م مبنيّة من الحجر حتى منتصفها ثم أكملت بالآجرّ، يقوم عليها بدن إسطواني الشكل ارتفاعه ٨م فتح فيه فتحات صغيرة للإضاءة ينتهي هذا البدن بشرفة مضلّعة ١٢ ضلعاً مقامة على كوابيل خشبية وهي باقية منذ زمن البناء كما أشار إلى ذلك العرشاني[١] لها سياج يرتفع متراً، يقوم عليه رقبة مسدّسة الأضلاع فتح فيه باب المؤذّن وينتهي هذا البدن من أعلى بفتحات ذات عقد نصف دائري بمعدل نافذة واحدة في كل وجه وتنبع أهمية هذا البدن ليس من شكله السداسي بل من ارتفاعه ورشاقته، وينتهي البدن بقبيبه نصف كروي مدبّبة قليلًا.

ويلاحظ على هذه المئذنة أنها قريبة من مآذن الصعيد من حيث أنها تتكوّن بصفة عامة من قاعدة مربّعة وبدن مستدير ثم بشرفة مقامة على كوابيل خشبية كما في مئذنة أسنا بالصعيد[٢]. ومئذنة مدرسة الصالح نجم الدين أيوب ومئذنة أبي الغضنفر[٣] أما البدن الأسطواني فهو الشائع في مآذن العراق.

وللمئذنتين لب (قطب) في وسطهما يبدأ عريضاً ثم يستدقّ تدريجياً بحيث يكون قطره من الأسفل ١,٥م وينتهي من الأعلى فيما بين ١م ـ٧٥,م وهو منذ زمن البناء[٤].

موقع المئذنتان في المسجد

كان سبب إفراد هذا العنوان أن المئذنتين عندما ينظر إليهما من مواقع تخطيط المسجد يجده في موقع نشاز في التخطيط ولعلّ السبب في ذلك بأن المئذنة الشرقية كانت قبل عمل المكتبة سنة (١٣٥٥م) وهي تطلّ على الصحن من الجهة الجنوبية تبتعد عن الرواق الجنوبي بحوالي ٥م وبذلك فقد كانت هذه المئذنة تبرز عن خط سير أعمدة الرواق الشرقي المتعامد على رواق من القبلة، هذا وإذا سلّمنا بالقول أن الرواق الشرقي هو من عمل السيدة بنت أحمد ت (٥٣٢هـ ـ ١١٣٨م) فقد كان جدار المسجد الشرقي

---

(١) العرشاني، المصدر السابق ص٥٢٢.

(٢) سالم، المآذن ص٢١.

(٣) فكري، المصدر السابق ج٢ ص٤٤ و٤٥.

(٤) Sergeant, opcit P 340.

يطل مباشرة على الصحن وبالتالي فكأن جدار قاعدة المئذنة الشرقية يسير مع جدار المسجد الشرقي كما هو عليه الحال في المئذنة الغربية التي تقع في الرواق الغربي وتبرز إلى الرواق وهما بذلك تتشابهان في موقعهما ولكن الاختلاف أن المئذنة الشرقية تبرز إلى الصحن أما الغربية فتبرز إلى الرواق.

وبذلك فإن موقعه لا يتلاءم وتخطيطات المساجد إذ من المعروف أن المساجد ذات المئذنتين تحتلان ركني المسجد سواء برزتا إلى الداخل أم إلى الخارج.

ولكن ومع تلك الصفة فإن المئذنتين منذ زمن بنائهما في موقعهما ولا تعرف لماذا اتخذتا هذين الموقعين لهما مع إحداثهما نشازاً في التخطيط.

وبالنظر إلى تخطيط المسجد نجد أنهما تقعان على استقامة واحدة، ومن المحتمل أنهما كانتا تحتلان ركنين من أركان المسجد بارزتين إلى الداخل وعند توسعة المسجد أصبحتا داخل البناء فأراد المعمار في عصر ورد سار، أن يحافظ على موقع المئذنتين القديم حيث يذكر العرشاني أن ورد سار أعاد بناء المنارتين من أساسهما إلى علوّهما. فهذا النصّ يدل على أن ورد سار أعاد البناء فأعادهما في موقعهما حفاظاً على التقليد.

وعندما زادت السيدة بنت أحمد سنة (٥٣٢هـ ـ ١١٣٨م) الجناح الشرقي أبقت على موقع المئذنة الشرقية كما هو عليه مما أحدث نشازاً في تخطيط المسجد، السبب الذي جعل ورد سار أن يحافظ على التقليد حيث كان هو صاحب الرأي في البناء حيث يذكر العرشاني أن البناء كان برأي الأمير ورد سار، وبذلك يخلص الباحث إلى القول بأن المئذنتين حوفظ على موقعهما منذ زمن بنائهما الأول عبر التجديدات والتغيرات التي حدثت للمسجد عبر تاريخه، ونتيجة لعدم وجود إشارات تأريخية صريحة تفصح عن مواقع المآذن ووجودها قبل سنة (٢٦٥هـ) فربما كانت هاتان المئذنتان تحتلان ركنين من أركان المسجد، بحيث لو ألقينا نظرة عامة على المساجد ذات المئذنتين لوجدناهما تحتلان ركنين في المسجد كمسجد السيدة بنت أحمد بجبلة (٤٨٢هـ) وجامع الحاكم بالقاهرة ومسجدنا هذا ربما كان واحداً من تلك المساجد(*).

(*) تلك مجرد تحليلات واستنتاجات فقط.

المبحث الثاني

مآذن القرن العاشر الهجري

أ ـ مئذنة مسجد المدرسة

مسجد المدرسة من المساجد العامرة تقع شرقي مدينة صنعاء غربي الطريق النافذة من باب شعوب إلى الميدان (ميدان اللقية)(١) وكان محلّها مسجداً صغيراً قيل إنه من عمارة سعد بن أبي وقاص صاحب رسول اللّه ﷺ وكان يسمّى بمسجد الأزهر فوسّعه الإمام المتوكل على اللّه شرف الدين يحيى بن شمس الدين سنة (٩٢٦هـ ـ ١٥٢٠م) وزاد فيه زيادة نافعة وعمر منارته ومطاهيره(٢)، بينما يشير أحد الباحثين بأن المسجد أعيد بناؤه كاملًا سنة (٦٦٤هـ ـ ١٢٦٥م) وإن هذا التاريخ مزبور على لوح حجري حشر في جدار المئذنة الشمالية أعلى المدخل(٣) بينما القراءة الصحيحة لهذا التاريخ هي (٩٤١هـ ـ ١٥٣٢م)، لأنه من الثابت أن مسجد المدرسة بناه الإمام شرف الدين سنة (٩٢٦هـ) الذي دخل صنعاء في ٨ شوال سنة (٩٢٣هـ ٢٤ أكتوبر ١٥١٧م) عندما استنجد به أهل صنعاء ضد المماليك فأسرع إلى نجدتهم فضيّق الخناق على المماليك الذين اضطروا للتسليم حتى غادروا صنعاء(٤)، ومن هنا فإن تأريخ بناء المسجد يكون بعد هذا التاريخ ونرجّح التأريخ الذي أشار إليه «الحجري» في سنة (٩٢٦هـ) والقاضي إسماعيل بن علي الأكوع(٥).

أما فيما يتعلّق بتاريخ المئذنة فقد ثبت تحديد تأريخها في شوال سنة (٩٤١هـ ـ ١٥٣٢م) كما هو مزبور على النقش الذي حشر أعلى مدخل المنارة من الجهة الشمالية وكان القائم على عمارتها في ذلك الوقت عبد اللّه بن إبراهيم(٦).

والمئذنة تقع في الجهة الجنوبية من المسجد وتبتعد عن بيت الصلاة

---

(١) الحجري ص٩٦ وربيع، خليفة، أعمال الوزير حسن باشا مجلة كليلة الآداب صنعاء ص١٨٦.
(٢) الحجري ص٩٦ وابن الحسين ص٦٦٢ والجرافي ص١٥١ والأكوع، إسماعيل، المدارس ص٣٦٥.
(٣) Sergeant, opcit P 361.
(٤) سالم، سيد مصطفى، الفتح العثماني الأول لليمن ص١١٦ و١١٧.
(٥) الحجري ص٩٦.
(٦) خليفة، ربيع، نفسه ص١٨٦.

بمسافة كبيرة يفصل بينهما الصرح وهي ملاصقة للضريح الذي يقع في الجهة الجنوبية من بيت الصلاة وفي الجهة الشرقية من المئذنة.

وتتكوّن المئذنة من قاعدة مربعة طول ضلعها -٥,٣م وترتفع ١٣,٢٠م تنتهي القاعدة ببروز منشوري تصل أبعاده إلى ٦,٣٠م فتح فيها مدخل في الجهة الشمالية بأبعاد ٩٥ × ١,٢٥م يؤدي إلى قمّة المئذنة ويحلّي جدران القاعدة من الخارج مجموعة من التشكيلات الزخرفية أهمها أشكال معينية ناتجة من التفنّن في حفر الجصّ وتوجّت بكتابات بلون أبيض على أرضية بنية غامقة (قهوائي) كما يزيّن القسم العلوي من القاعدة مجموعة من حنايا مدبّبة وتشغل هذه الحنايا المعقودة كل جدرانها الأربعة ويعلو القاعدة بدن يتكوّن من طابقين الأدنى مثمّن الشكل طول ضلعه (٢,٢٠م) وكانت كل واجهة من واجهاته الثماني مزيّنة بحنايا مستطيلة نفذ عليها أشكال معينية من الآجرّ وفتح في إحدى الحنايا باب أبعاده ٥٥ × ١,٢٠م، ويتوّج هذا الطابق شرفات مسنّنة عددها ١٦ شرفة وهي على شكل الورقة الثلاثية، ويعلو المثمّن طابق إسطواني الشكل مزدان بعناصر زخرفية وحليات هندسية معمولة من الجصّ زيّنت واجهة البدن التي أعطته نوعاً من الحيوية، ويصل ارتفاع البدن إلى ١٧,١٥م.

وينتهي هذا البدن بأربعة صفوف من المقرنصات المعمولة من الآجرّ وهي تحمل شرفة المؤذّن مستديرة بارزة يبلغ محيطها ١٩,٨٠م ويرتفع سياجها ١,٥م.

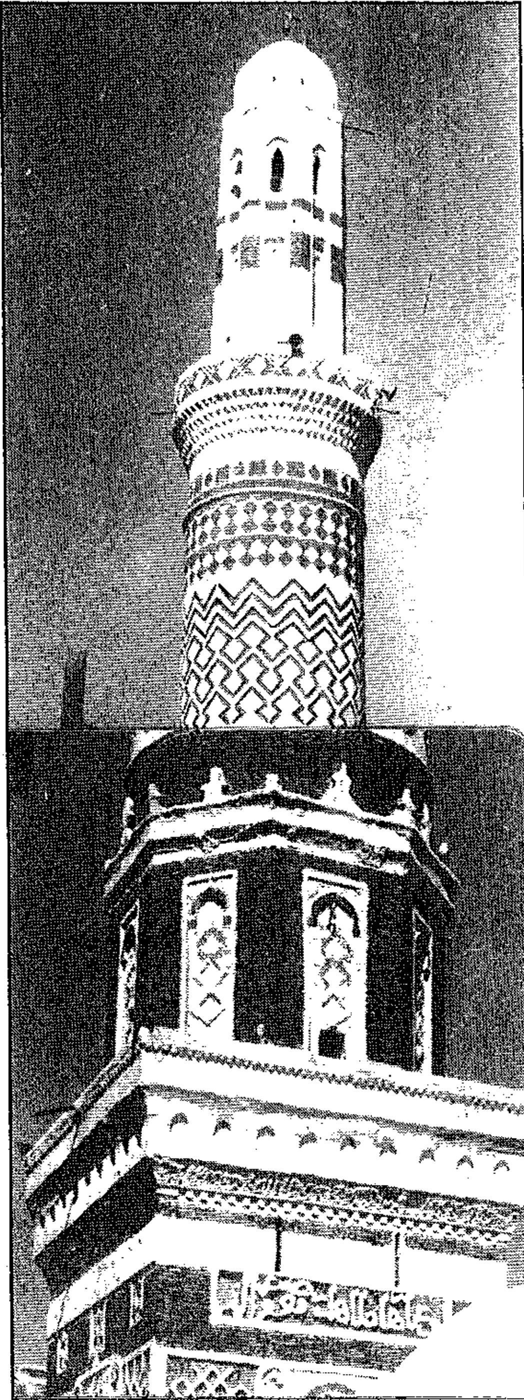
أما تصميم رقبة المئذنة (الجوسق) فهو مثمّن الشكل طول ضلعه ١,٦٠م تزيّن أضلاعه حنايا غائرة معقودة بعقود مدبّبة الشكل في مستويين فتح في إحدى حنايا المستوى الأسفل باب المؤذن بأبعاد ٥٦ × ١,٦٠م بينما يفتح في حنايا القسم العلوي نوافذ لغرض الإضاءة والتهوية ذات عقود مفصّصة، ويصل ارتفاع هذه الرقبة إلى ١٠,٩٠م، وتنتهي رقبة المئذنة بقبيبة صغيرة مضلّعة ذات ١٦ أخدوداً لوحة رقم (١٦).

ويتوّج المئذنة من أعلى جوزات (ميل) تتكوّن من عمود حديدي في منتصفه كرة يعلوه طائر متّجه برأسه إلى الكعبة وللمئذنة قطب (لب) في الوسط إسطواني الشكل محيطه ٤م يقع بينه وبين جدار المئذنة ممرّ عرضه ١م، كما أن لها سلّماً يدور حول القطب يحمل درجات عددها ١٦٠ درجة والمئذنة مبنية من الحجر حتى منتصف القاعدة ثم أتمّ المعمار بناءها بالآجرّ شكل (٥).

وأما بالنسبة لزخارفها فلقد أفرط المعمار في استعمال الزخرفة سواء منها العمارية أو الهندسية أو الكتابية فنجد أولًا أن زخرفة القاعدة مقسمة إلى قسمين الأدنى زيّن بوساطة ثلاثة محاريب قيل إنها كانت مغطّاة ببلاطات زخرفية خضراء وهي عبارة عن أشكال أقراص ووريدات وقد غطيت حالياً بطبقة جصّية(١) وحنايا هذه المحاريب ذات عقود نصف دائرية.

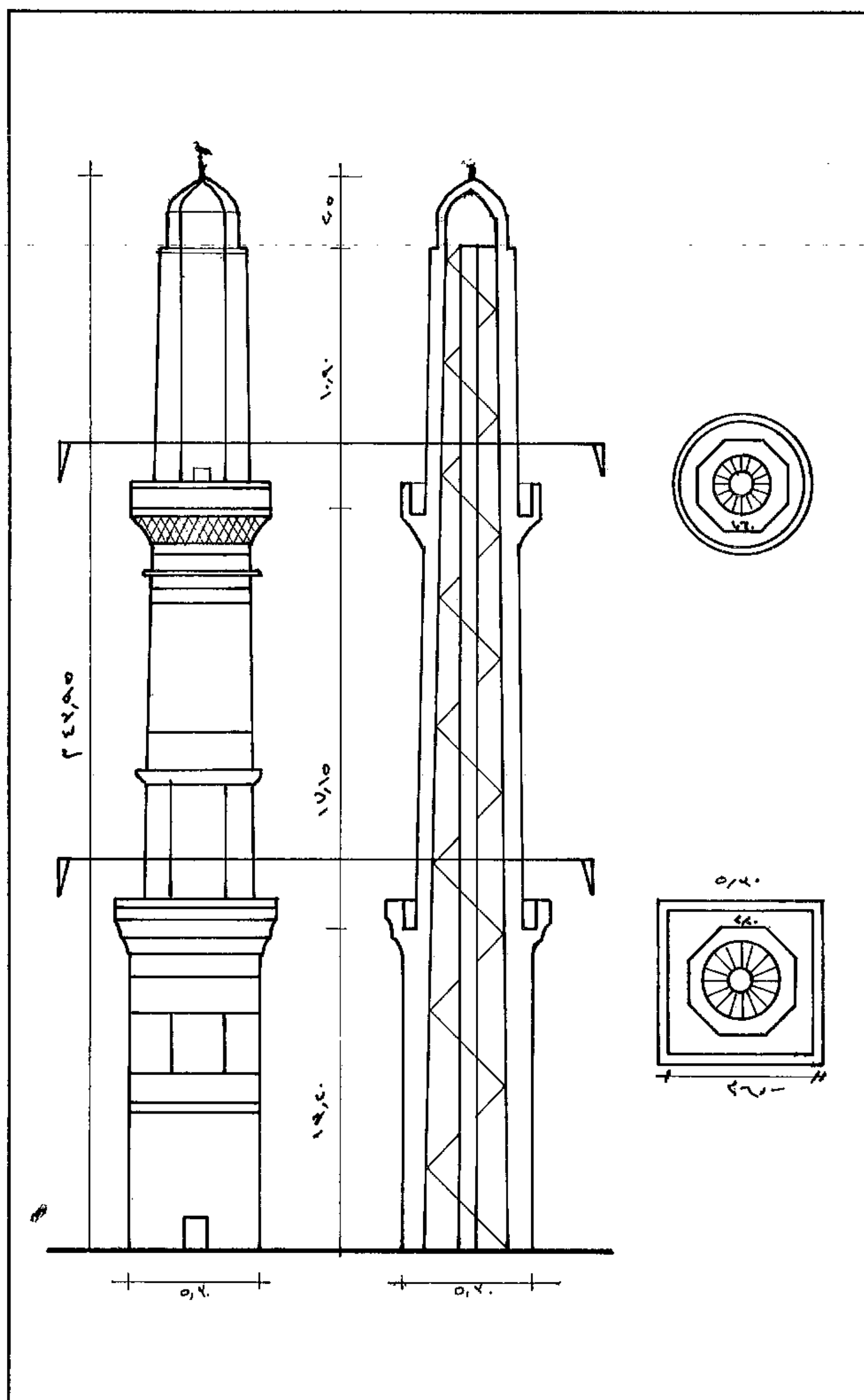
أما القسم الأعلى فنجد أن زخرفته عبارة عن شريط عريض قسم في كل ضلع إلى ثلاثة أقسام رأسيه الأوسط زيّن بزخارف كتابية نصّها الكمال للّه، الجمال للّه والجانبان زخرفة هندسية ناتجة عن تقاطع أشرطة جصّية مائلة ويدنو هذا الشريط زخرفة نتجت من تقاطع خطّين مائلين تسمّى بالزخرفة المجدولة.

أما بدن المئذنة ففي الطابق المثمّن زيّنت كل حنية فيه بزخرفة معينات متتالية عملت من الآجرّ زيّن أعلى البدن بشرفات مسنّنة.



لوحة [١٦] توضح مئذنة جامع المدرسة بمدينة صنعاء

(١) Sergeant, opcit, P 361.



شكل [٥]: مئذنة مسجد المدرسة/ مقياس الرسم ١ ـ ٢٠٠ .

وأما الطابق الثاني من البدن فنجد أن الفنان أفرط في استخدام الزخرفة الهندسية فيه وهي عبارة عن ثلاثة أشرطة زجزاجية يعلوها ويقع أدناها ثلاثة صفوف من المعينات ثم المقرنصات المعمولة من الآجرّ التي تسند الشرفة، ويظهر من تصميم المئذنة أنها امتازت بظاهرة عمارية جديدة، وهي تناسب أجزائها وتنوّع أجزاء البدن (من مثمّن إلى إسطواني) سعياً وراء الجمال والرشاقة، وكذلك يزيّن محيط الشرفة زخرفة المعينات، أما البدن الأعلى (الفحل) فنجد أنه يزين كل ضلع من أضلاعه حنية مصمتة تنتهي بعقد نصف دائري ثم ينتهي البدن من أعلى بنوافذ ذات عقود مفصّصة ثلاثية الفصوص يعلوها عقد مدبّب.

وهذه المئذنة تحتفظ بمعالمها منذ زمن بنائها فلم يجر عليها أي تغيرات جدية اللّهمّ إلّا ما نهج عليه اليمانيون من حبّ التجصيص فقد غطّي بجصّ أغلب معالمها الفنية كما في قاعدتها التي كان يوجد فيها بلاطات خزفية وهذه إشارة صريحة لوجود البلاطات الخزفية في اليمن، ثم لم تستعمل بعد ذلك لأن ذلك كان تقليداً لمناطق شرق العالم العربي الإسلامي (العراق) الذي انتشر فيه تغطية المآذن بالبلاطات الخزفية ولم نجد بعد ذلك باليمن ولا سيما صنعاء أي مئذنة بها بلاطة خزفية أو إشارة إلى ذلك.

لذا فقد استعاض المعمار اليمني بأن برز أجزاء المئذنة بالآجرّ والجصّ وذلك بتشكيلها حسب رغبة المعمار في الزخرفة وبالتالي نفذ فيه العنصر الزخرفي المراد تنفيذه على المئذنة، إلى جانب ذلك فمادة الجصّ كان لها دور كبير في تثبيت القوالب الآجريّة، وكذلك إبراز العنصر الزخرفي واضحاً جلياً من حيث أن الجصّ مادة بيضاء وبينما يكون الآجرّ بلون أحمر أو بنياً فيظهر العنصر الزخرفي بشكل واضح من خلال تباين اللّون.

ب ـ مئذنة مسجد عقيل

مسجد عقيل من المساجد العامرة يقع شمال سوق الملح في وسط صنعاء وينسب إلى عقيل بن أبي طالب، ولا نعرف عن بداية بنائه شيئاً، وهناك إشارة تأريخية تقول أنه كان في النصف الأول من (ق ١٠هـ) وكان صغيراً أشرف على الخراب فعمّره وزاد فيه زيادة نافعة شمس الدين بن الإمام شرف الدين يحيى وذلك سنة (٩٤٧هـ).

أما عمارة مئذنته فقد عمّرها الأمير إسكندر بن حسام الكردي سنة (٩٦٧هـ) وذلك كما هو مذكور في اللّوح المنصوب بجدار الجبّانة التي هي

مصلّى العيدين غربي المحراب حيث حكي فيه أن الأمير إسكندر جدّد عمارة الجبّانة في سنة (٩٦٧هـ) وعمّر في هذه السنة منارة مسجد عقيل[١] وهذا اللوح قد كسر الآن وشوّه.

ولقد تجدّدت هذه المنارة في القرن الثاني عشر الهجري بعناية العلامة محمد بن إسماعيل بن صلاح أمير صنعاء وأعانه الحاج محمود عسلان بمائة ريال من نفقة العمارة[٢].

ويرى الباحث أن هذا التجديد على نمط العمارة السابقة إذ يلاحظ التشابه بينها وبين مئذنة المدرسة التي ترجع إلى سنة (٩٤١هـ) وذلك من ناحية العمارة والزخرفة.

والمئذنة تقع في الركن الجنوبي الغربي لبيت الصلاة يفصل بينهما الصحن ويصل إلى مدخل المئذنة بواسطة درج ويفتح باب المئذنة في منتصف قاعدتها ولها باب آخر يفتح على مستوى الشارع استخدم كحانوت لأحد التجّار أقفل منه السلّم الذي يؤدي إلى نهاية المئذنة.

وتتكوّن المئذنة من قاعدة مربّعة طول ضلعها ٣,٠٥ وارتفاعها ٧,٣٠م يفتح في منتصفها مدخل إلى الجهة الشمالية بأبعاد ٧٠ × ١,٢٧م وهو معقود بعقد نصف دائري. ويحلّي جدران القاعدة من الخارج حنية مصمتة معقودة بعقد نصف دائري وتنتهي القاعدة من أعلى ببروز منشور بحيث أصبح طول ضلعها ٣,٨٠م يتدلى منه زخرفة مسنّنة وزيّن أعلاها بشرفات على هيئة الورقة الثلاثية والقاعدة مبنية من حجر الحبش (البازلت الأسود الفقاعي).

يعلو القاعدة بدن إسطواني الشكل يصل ارتفاعه إلى ١٠,٢٠م، وهذا البدن من نوع أبدان المآذن الأسطوانية الذي شاع في العراق، وهو مقسّم إلى ثلاثة أجزاء الأوسط مزيّن بزخرفة المعينات عددها ثلاثة صفوف، يدنوه جزء غير مزيّن فتح فيه باب بأبعاد ٥٥ × ١,٠٥م، ويعلوه جزء زيّن بزخرفة المعينات والمثلّثات، وقد فصل الفنان بين تلك الأجزاء بحزام جصّي، وينتهي البدن من أعلى بثماني حطات من المقرنصات تستند عليها الشرفة التي زيّن سياجها من الخارج بزخرفة المعينات بينما بلغ محيطها من الخارج ١٢,٦٠م كوّنت حوضاً سعته ٤٠ سم وبسمك جداره ٢٠ سم وارتفاع ١,٠٥م.

---

(١) الحجري، المصدر السابق ص٨٤.

(٢) الحجري، المصدر السابق ص٨٥.

الـجـوسـق:

أما تصميم رقبة المئذنة (الجوسق) فهو مثمّن الشكل طول ضلعه ٩٠ سم فتح فيه باب المؤذّن بأبعاد ٥٥ × ١,٣٠م ويصل ارتفاعه إلى ٨,٤٠ زينت أضلاعه بزخرفة المعينات المصمتة عددها في كل ضلع خمسة وينتهي البدن من أعلى بنوافذ ذات عقد نصف دائري، ثم يزيّنه من أعلى بشرفات مسننة تشبه الشرفات التي تعلو القاعدة.

الـقـبّـة:

يتوّج المئذنة قبّة ذات قطاع نصف دائري بها فتحات صغيرة، يعلوها ميل هو عبارة عن عمود من البرونز عليه تمثال برونزي لطائر الحمام متّجه برأسه إلى الكعبة المشرّفة.

وللمئذنة في وسطها قطب(*) يحمل الدرج وذلك بواسطة خشب تصل بين القطب وجدار المئذنة وهذا القطب إسطواني الشكل من بدايته إلى قمته يميل إلى الصغر كلما ارتفع ويترك فسحة ممرّ عند القاعدة بوسع ٦٦ سم ثم يضيق هذا الممرّ حتى يصل إلى ٥٥ سم عند الشرفة، ويصل عدد درجاتها إلى ٩٠ درجة متوسط ارتفاعها ٢٥ سم ويصل ارتفاع هذه المئذنة إلى ٢٧م. لوحة (١٧) شكل (٦).

وفي هذه المئذنة أجاد الفنان نسب التوازن المعماري من حيث الارتفاع، كما أغرم باستخدام الزخرفة الهندسية من معينات ومثلثات.

ومن الملاحظ على هذه المئذنة الميل الواضح إلى جهة الجنوب مما ينذر بقرب سقوطها إذا لم تتّخذ الإجراءات اللازمة لصيانتها.

مئذنة مسجد الزمر (أزدمر)

ينسب هذا المسجد إلى أزدمر باشا والذي حكم اليمن فيما بين (٩٥٦ ـ ٩٦٣هـ ١٥٤٩ ـ ١٥٥٥م)[١] واستولى على صنعاء في أواخر سنة (٩٥٤هـ) وذلك بعد مقتل أويس باشا وقبل أن يعيّن أميراً على صنعاء حيث وصلت الأوامر السلطانية بتتويجه والياً على اليمن في سنة (٩٥٦هـ)[٢] وفي

(*) القطب عند اليمنيين ذلك العمود الذي يحمل عليه الدرج سواءً في البيت أو المئذنة وما يطلق عليه اللب أو عمود المئذنة.

(١) سالم، سيد مصطفى، المصدر السابق ص١٩٥.

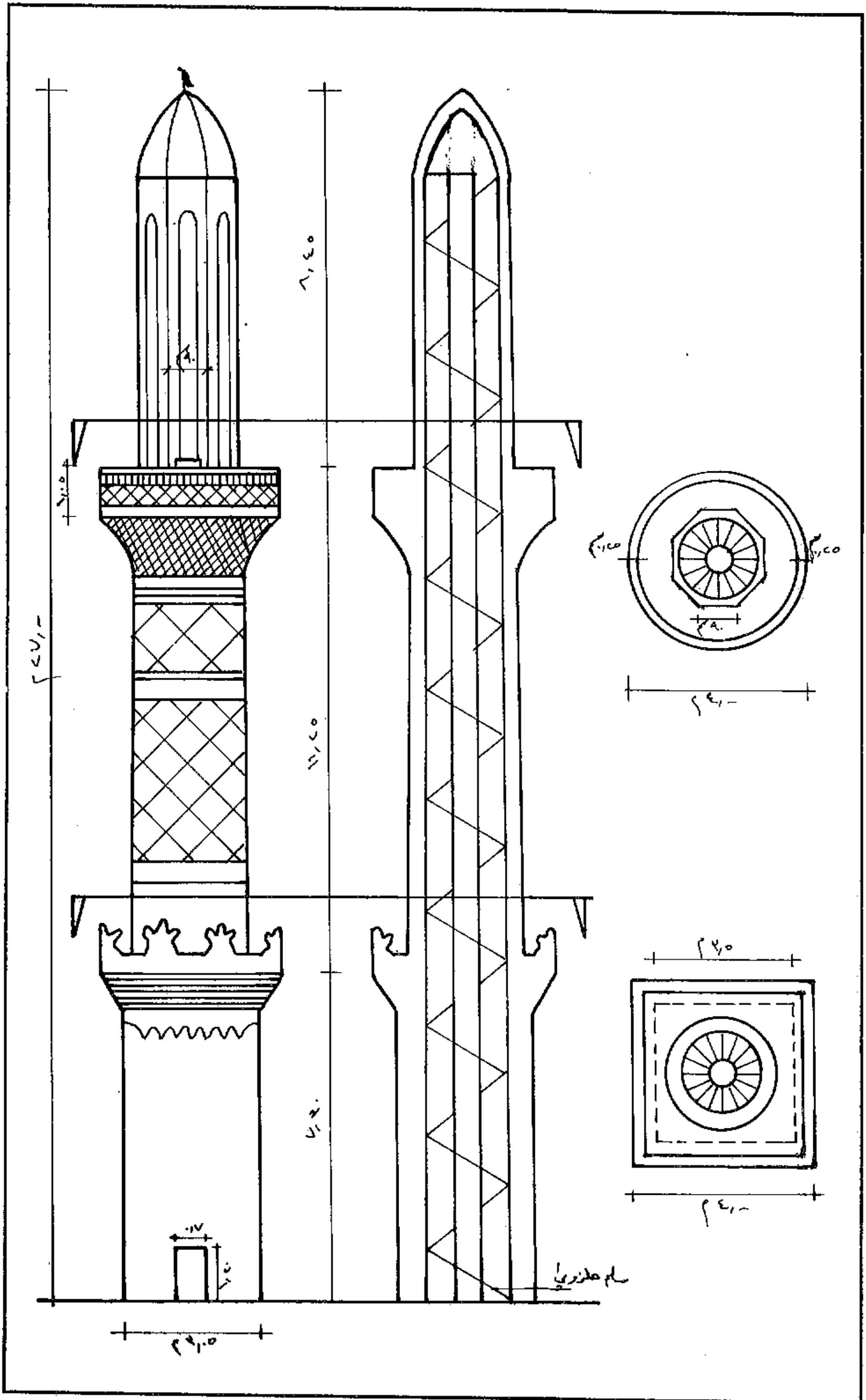
(٢) الموزعي، شمس الدين عبد الصمد، دخول العثمانيين الأول لليمن المسمى الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان ص٣٢.


لوحة [١٧] توضح مئذنة مسجد عقيل بمدينة صنعاء

أثناء فترة توليته أنشأ هذا المسجد الذي يسمّى عند أهل صنعاء بمسجد الزمر وهو تخفيف لاسم أوزدمر كما سمّي الحيّ الذي يقع فيه المسجد «بحارة الزمر» وما زال هذا المسجد عامراً ويقع في الجهة الشمالية بالقرب من باب شعوب وقد جعله أزدمر باشا قبّتين بينهما المنارة(١).

وقد أجري على هذا المسجد تجديدات وإضافات فقد جدّد عمارته الإمام المنصور بالله علي بن المهدي سنة (١٢٥٥هـ) وقد أشار أحد الباحثين(٢) إلى أن المنارة جددت في هذا التاريخ ولم يشر إلى الدليل الذي استند عليه في رأيه هذا، ويرى الباحث أن المنارة ما زالت من زمن البناء أيام أزدمر باشا لأن المؤرّخ الحجري لم يشر إلى ذلك التجديد وهو من أرّخ لمساجد صنعاء وأشار إلى التجديدات في المساجد والمآذن غير هذا المسجد، كما أن طراز البناء لا ينتمي إلى القرن الثالث عشر إذ تتشابه من حيث التخطيط العام لهذه المئذنة مع مآذن القرن العاشر والحادي عشر، ثم أضاف إلى المسجد الإمام يحيى في سنة (١٣٤٥هـ) عمارة الباب الشرقي للمسجد(٣).

(١) الحجري، المصدر السابق ص١٤.
(٢) Sergeant, opcit, P 384.
(٣) الحجري، المصدر السابق ص١٤ وخليفة ربيع، مساجد صنعاء في فترة الوجود العثماني الأول ص٣٧.



شكل [٦] : مئذنة مسجد عقيل/ مقياس الرسم ١ ـ ١٠٠

وتقع هذه المئذنة كما حكى عنها الحجري بين قبّتين غير أن القبّتين قد أزيلتا أثناء التوسعة التي قام بها الإمام المنصور بالله علي بن المهدي سنة (١٢٠٥هـ)، وتقع حالياً في الجانب الغربي من المسجد وتبتعد منه بحوالي ٦م وهي تتكوّن من قاعدة مربّعة طول ضلعها ٤,٤٨م وبارتفاع ١٠م يفتح فيها باب إلى جهة الشرق بأبعاد ٧٨ × ١,٣٥م.

يعلو القاعدة بدن طويل يصل ارتفاعه إلى ١٦م قسم إلى قسمين: الأدنى قصير مثمّن الشكل بطول ضلع ١,٧٥م فتح في أحد أضلاعه باب بأبعاد ٦٦ × ١,٣٠م، بينما زيّنت بقية الأضلاع بحنايا صمّاء مزدوجة ذات عقود نصف دائرية وبمعدل حنية بكل ضلع، ويلاحظ أن بواطن هذه الحنايا مزيّنة بوحدات زخرفية معينية تتألف الواحدة من أربعة معينات متتالية، وينتهي هذا القسم بصفّ من زخرفة التستين، ويتبعه القسم الثاني وهو شاهق الارتفاع يزيّن وجوه أضلاعه الستة عشر في جزئه العلوي حنايا ذات أطر مستطيلة بعقود مدبّبة تحصر بداخلها زخرفة معينية عددها أربعة، يعلو هذه الزخرفة شريط من الزخرفة المجدولة، ويتخلّل البدن نوافذ مستطيلة لغرض الإضاءة والتهوية.

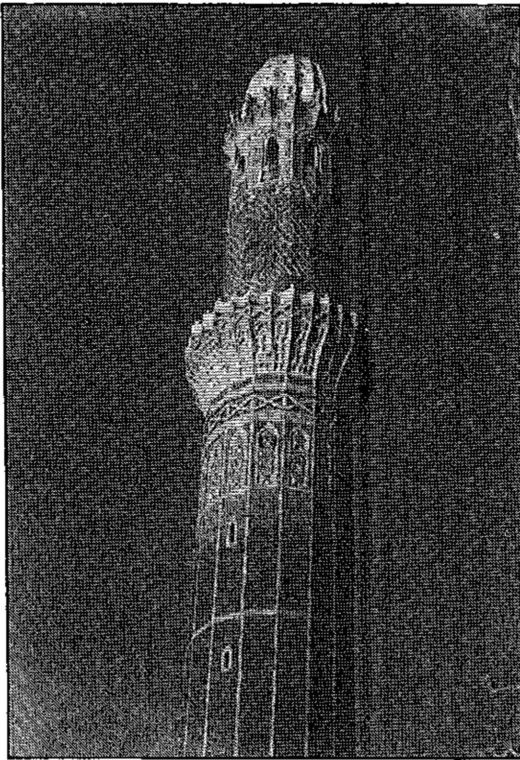
وينتهي البدن من أعلى بست حطات من المقرنصات المثلّثة الشكل المعمولة من الآجرّ تسند الشرفة التي زيّن سياجها من الخارج بزخرفة مجدولة وتتميز هذه الشرفة بأنها ذات ١٦ ضلعاً بلغ محيطها ١٦,٧٠م كوّنت حوضاً سعته ٧٤ سم وبارتفاع ١,٠٥م وبسمك جدار ٣٠ سم وتنتهي أضلاع الشرفة من الخارج ببروز إلى الأعلى.

الجوسق:

يعلو الشرفة جوسق ذو ١٦ ضلعاً طول الضلع ٧٥ سم ومحيطه ١١,٧٥م وارتفاعه ١٤ م يفتح فيه باب المؤذّن بأبعاد ٦٥ × ١,٧٠ زيّنت أضلاعه بزخرفة وهي عبارة عن خطوط عملت من الآجرّ شكلت معينات، وتنتهي من أعلى بنوافذ ثماني معقودة بعقد مدبّب ونصف دائري بالتبادل يزيّنها من أعلى شرفات بشكل الورقة الثلاثية عددها ١٦.

القبّة:

يتوّج المئذنة من أعلى قبّة مضلّعة ذات ١٦ أخدوداً لكل أخدود ثلاث فتحات صغيرة.


لوحة [١٨] توضح مئذنة مسجد الزمر بمدينة صنعاء

هذا وللمئذنة قطب يبدأ عند القاعدة بشكل مربّع مبني من الحجر وطول ضلعه ٧٠ سم ويترك فسحة للممر بسعة ٨٥ سم ثم يستدير بعد ذلك مع البدن حتى يصل إلى الشرفة ثم يتحول إلى مضلع مع الحفاظ على نفس وسع الممرّ، ويحمل هذا القطب عقوداً تصل بينه وبين جدار المئذنة لكي تتحمل السلّم الذي يصل عدد درجاته إلى ١٥٦ درجة ويكون ارتفاع هذه المئذنة ٤٠م اللوحة (١٨) والشكل (٧).

وتعتبر هذه المئذنة من أجمل مآذن صنعاء فلقد أبدع المعمار في نسب التوازن بين أجزائها والتنسيق التام في تفاصيلها، بحيث استطاع أن يوجد التحويل من مربّع القاعدة إلى مثمن ثم إلى ١٦ ضلعاً.

حيث نشاهد خطوط الأضلاع وهي متّجهة إلى الشرفة وكأنها الإشعاع ثم في الجوسق تتجه الخطوط لكي تخرج من أعلى بورقة ثلاثية متّجهة برأسها إلى السماء وكأنها أكفّ الضراعة فاردة بين أصابعها.

مئذنة القبّة المرادية ٦

تقع القبّة المرادية في قصر صنعاء (قصر السلاح) أعلى المدينة في الجهة الشرقية عمّرها الوزير مراد باشا[١] في سنة (٩٨٤هـ) وقد أرّخ لها بعض الأدباء.

(١) مراد باشا كانت من خواص مماليك السلطانيين، انظر النهروالي، قطب الدين، البرق اليماني ص١٦٣.

شكل [٧]: مئذنة مسجد الزمر/ مقياس ١ ـ ٢٠٠

قبّة الباشا مراد لقبّت بالعادلية جاء تاريخ بنائها مستقرّ الحنفية[١].

ومستقرّ الحنفية بحساب الجمل يكون (٩٨٤هـ) بهذه الطريقة م س ت ق ر ال ح ن ف ي هـ وقيم الحروف هي:

٤٠ + ٦٠ + ٤٠٠ + ١٠٠ + ٢٠٠ + ١ + ٣٠ + ٨ + ٥٠ + ٨٠ + ١٠ + ٥ = ٩٨٤، ولمراد باشا مآثر كثيرة منها القبّة المرادية ومنارتها وهي مشهورة[٢]، وقد أقيمت هذه القبّة فوق موضع قديم ما زال باقياً منه جدار يقع إلى الشمال من جدار القبّة[٣] بينما يذكرها أحد المؤرّخين في حوادث سنة (٩٨٥هـ)[٤] وأورد الأبيات السابقة ليؤرخ بها بحساب الجمل ولكن التاريخ بحساب الجمل ناتجه (٩٨٤) وليس (٩٨٥هـ) مما يجعلنا نرجّح تاريخ (٩٨٤هـ).

أما بالنسبة للمئذنة فهي باقية منذ زمن البناء كما أشار إلى ذلك الحجري[٥] وهي تتكوّن من قاعدة مربّعة يعلوها بدن قُسّم إلى قسمين الأدنى مثمّن الشكل تزيّن أضلاعه حنايا صمّاء بعقد مدبّب ينتهي هذا القسم بزخرفة مسنّنة يتبعه القسم الثاني وهو إسطواني الشكل خال من الزخرفة ويشبه بدن مئذنتي الجامع الكبير (٦٠٣هـ) وفتح فيه نوافذ للإضاءة والتهوية، يتلوه شرفة تستند على حطات من المقرنصات يزيّن سياجها من الخارج حنايا مصمتة يتبعها جوسق مثمن الأضلاع فتح فيه باب المؤذّن ويزيّن الجوسق حنايا ذات مستويين الأدنى حنايا مصمتة والأعلى حنايا ذات عقود نصف دائرية فتح بها نوافذ، وينتهي البدن بشريط من الزخرفة المسنّنة، ثم يتوّج المئذنة من أعلى بقبّة أو خوذة ذات قطاع نصف دائري اللوحة (١٩).

وهذه المئذنة تشبه في تصميمها مئذنة مسجد الفليحي الآتي وصفها ولعدم وصولنا إليها لكون المنطقة عسكرية فقد اعتمدنا على مقارنتها بمئذنة

---

(١) الحجري، المصدر السابق ص١١٤.

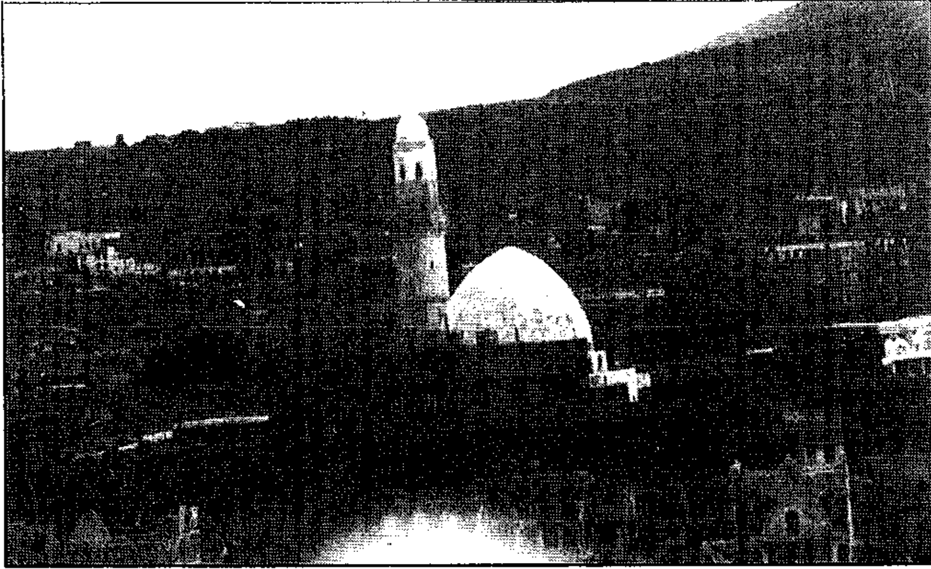
(٢) ابن الحسين، المصدر السابق ج٢ ص٧٥٦ والموزعين، المصدر السابق ص٥٩.

(٣) Sergeant, opcit P 375.

(٤) ابن لطف الله، عيسى - روح الروح ص٣٣ عن ربيع خليفة، مساجد صنعاء ص٤٨.

(٥) الحجري، المصدر السابق ص١١٤ و Sergeant, opcit, P 375.

الفليحي وعلى الوصف من الصورة وكان لا بد من إثباتها في دراستنا لأنها اتّخذت مثالًا بعد ذلك سار عليه كل من مئذنة الفليحي وفروة بن مسيك لأن هذه المئذنة تعتبر المثل الأول لهذا الطراز.



لوحة [١٩] توضح مئذنة القبة المرادية بمدينة صنعاء

مئذنة مسجد الفليحي ٧

من المساجد العامرة في الجهة الشمالية من صنعاء أسّسه الحاج أحمد بن عبد اللّه الفليحي سنة (١٢٦٦م ـ ٦٥٥هـ) وكان أول من زاد فيه الإمام المتوكل على اللّه شرف الدين يحيـى في النصف الأول من القرن (١٠هـ)[١].

ويذكر أحد المؤرّخين أن الوزير حسن باشا قام بتجديده في شهر جمادى الآخرة سنة (٩٩٤هـ) حيث يشير بقوله: «مما أمر به في هذه السنة (٩٩٤هـ) من إنشاء منارة عالية شامخة الأركان لمسجد الفليحي في مدينة صنعاء[٢] ثم زاد فيه زيادة يسيرة الإمام المهدي محمد في أول (ق١٢هـ) ثم

(١) الحجري، المصدر السابق ص٩٠.

(٢) ابن داعر، الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية مخطوط م٣ ص١٧٤ عن ربيع خليفة أعمال الوزير حسن باشا، مجلة كليلة الآداب، صنعاء ع١٢ س١٩٩١ ص١١٧.

جدّد مطاهيره الإمام المهدي عباس سنة (١١٧٠هـ) ثم زيادة محسن فايع سنة (١١٩٤هـ)[1].

ولكن تلك الزيادات والتجديدات لم تأت على المئذنة فهي باقية منذ بنائها أيام الوزير حسن باشا سنة (٩٩٤هـ) وكذلك لم يشر إلى تجديد المئذنة أي من المؤرّخين ولذا فقد اعتمدنا تاريخها (٩٩٤هـ) والمئذنة تقع في الجهة الجنوبية الشرقية للجدار الجنوبي للمسجد وتتكوّن من قاعدة مربّعة طول ضلعها ٤,٥م وبارتفاع ٨,٣٠م يفتح بابها إلى الممرّ المؤدّي إلى المطاهير وبأبعاد ٨٠ × ١,٢٥م وهي مبنية من الآجرّ غطّت بالجصّ، وخالية من الزخرفة.

البـــدن:

يعلو القاعدة بدن قسم إلى قسمين كعادة أبدان المآذن اليمنية القسم الأدنى مثمّن الشكل زيّن كل ضلع فيه بحنية ذات عقد مدبّب الشكل ينتهي من أعلى بزخرفة مسنّنة يلاحظ بقاياها في بعض أجزاء من هذا القسم، أما القسم الثاني فهو إسطواني الشكل يشبه أبدان مآذن جامع صنعاء (٦٠٣هـ) وبدن مئذنة القبّة المرادية (٩٨٤هـ) وهو خال من الزخرفة إذ تغطّيه طبقة سميكة من الجصّ يفتح فيه نوافذ صغيرة للإضاءة والتهوية، ويصل ارتفاع البدن إلى ٨,٧٦م.

الشرفة:

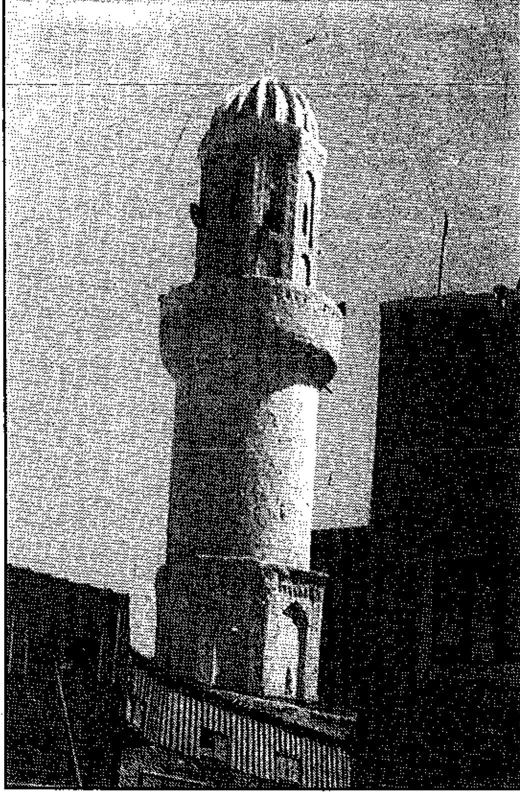
تعلو البدن شرفة مستديرة الشكل محيطها من الخارج ١٣,٢٠ تستند على ٥ حطات من المقرنصات المثلّثة من الآجرّ وتكوّن حوضاً سعة ٨٠سم يرتفع سياجها ٨٥ سم ويلاحظ على محيط الشرفة من الخارج إنها كانت بزخارف ولكنها غطيت بطبقة من الجصّ ويقوم على الشرفة جوسق مثمن الشكل بطول ضلع ١,١٠م وبارتفاع ٥,٢٥م يفتح فيه باب بأبعاد ٥٥سم × ١م زيّنت أضلاعه بحنايا ذات مستويين الأدنى مصمتة والعليا تفتح في وسطها نوافذ للإضاءة وهي معقودة بعقود نصف دائرية تنتهي من أعلى بشريط من الزخرفة المسنّنة.

---

(١) الحجري، المصدر السابق ص٩٠.

ويتوّج المئذنة من أعلى بقبّة مضلّعة ذات ١٦ أخدوداً وهي من المباخر التي شاهدناها في مآذن مسجد صلاح الدين والمدرسة، يزيّنها من أعلى ميل معدني على شكل ثلاث جوزات وحلقة، ويصل ارتفاع هذه المئذنة إلى ٢٤,٢٥م، اللوحة (٢٠ الشكل ٨).

وللمئذنة سلّم يعتبر من أندر السلالم في المآذن عامة إذ قام المعمار بنحت الدرج مع حجرة القطب من حجرة واحدة بحيث كوّنت تلك الأحجار بتتابعها الأدنى فالأعلى قطب المئذنة وسلّمها الذي أصبح على شكل مروحي وهذا السلّم يترك فسحة ممرّ وسعها ٩٠ سم ويبلغ عدد درجاتها ٧٨ درجة.



لوحة [٢٠] توضح مئذنة مسجد الفليحي بمدينة صنعاء

٩ ـ مئذنة مسجد فروة بن مسيك

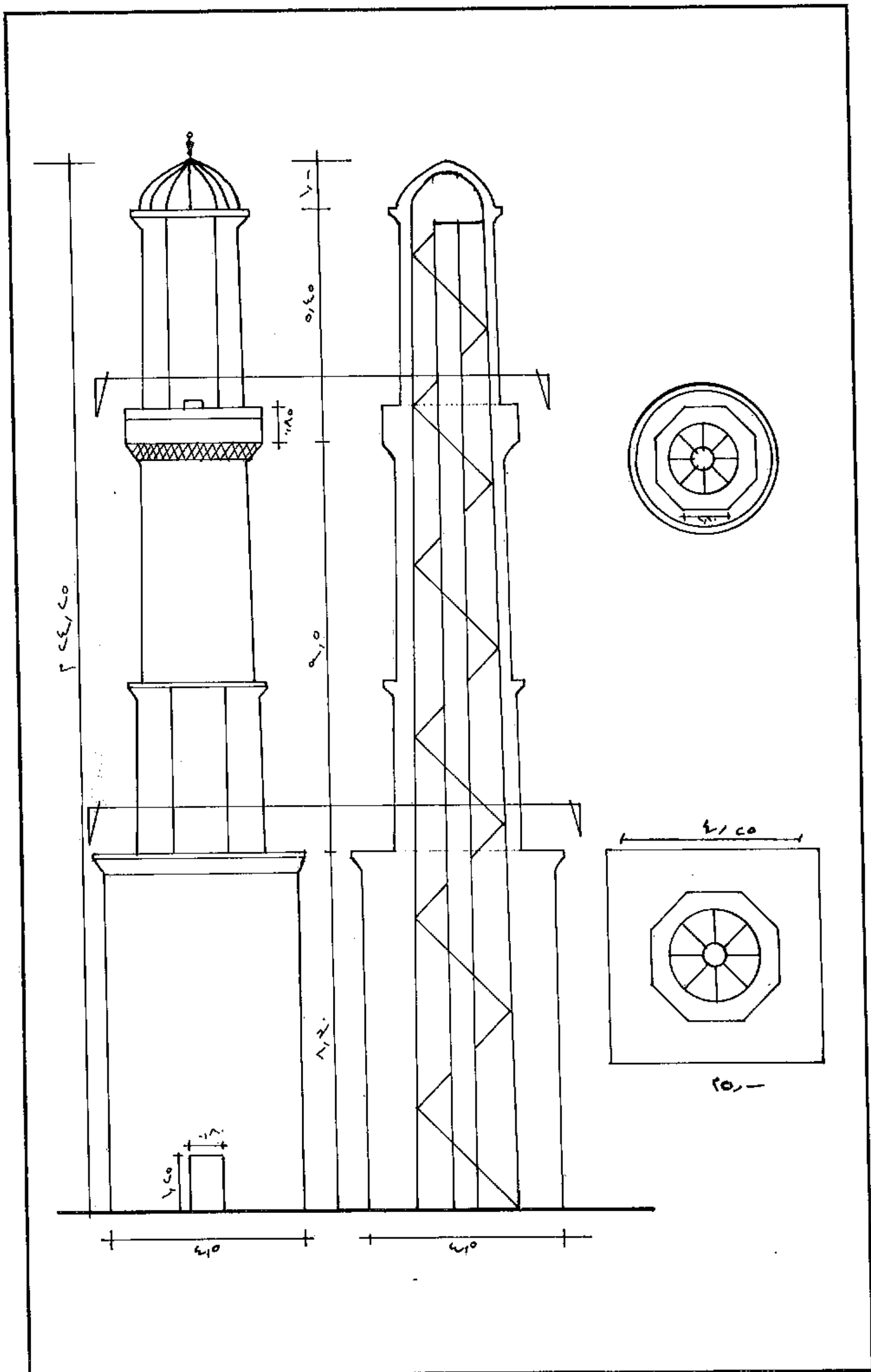
يقع هذا المسجد خارج صنعاء في الجهة الشمالية بالقرب من الجبّانة (مصلّى العيدين) وأول من أسّسه فروة بن مسيك المرادي صاحب رسول الله ﷺ[١]، وذلك أثناء عمارته للجبّانة في صدر الإسلام[٢]. ثم زاد فيه وأصلحه ابن الروية حتى سمّي بمسجد ابن الروية. وفي سنة (٤٠٧هـ) جدّد عمارته محمد بن الحسن الأصبهاني[٣]. وفي عام (٩٩٤هـ) قام الوزير حسن باشا بعمل قبّة غربي المسجد وعمّر المنارة[٤]، ويبدو أن العمل في

(١) الحجري، المصدر السابق ص٨٩.

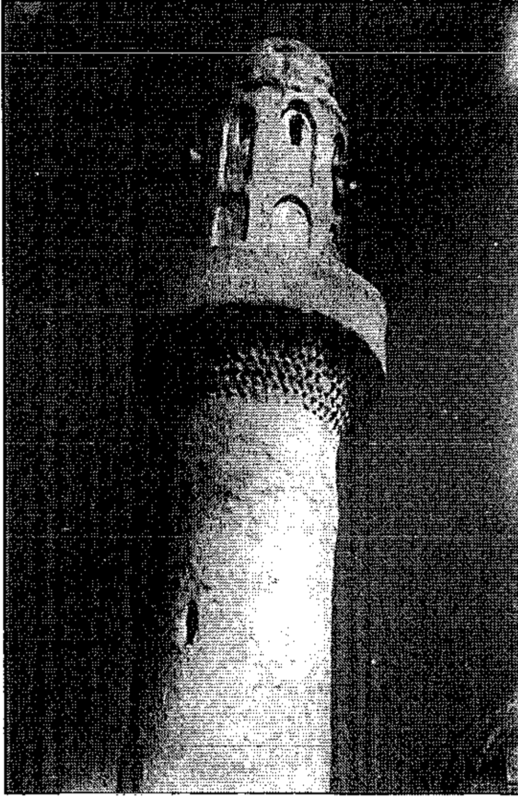
(٢) محمد، غازي رجب، المصدر السابق ص٣٧٥.

(٣) الرازي، ص٢٢٣ ـ ٢٢٥ والحجري ص٨٩.

(٤) الحجري، المصدر السابق ٨٩.



شكل [٨]: مئذنة مسجد الفليحي/ مقياس الرسم ١ ـ ١٠٠


لوحة [٢١] توضح مئذنة مسجد فروة بن مسيك بمدينة صنعاء

لقبّة والمنارة قد استغرق ثلاث سنوات إذ يذكر أن قاعدة المنارة كان مدوّناً عليها تأريخ (٩٩٧هـ)[١]. أما تاريخ المنارة فيشير أحد المؤرّخين إلى أنه في سنة (٩٩٤هـ) رفع حول تلك القبّة والمسجد منارة سامقة الارتفاع[٢]. وعند زيارتي لهذا المسجد وجدت أن المسجد قد أتت عليه عادية الزمن ألا وهو الإنسان بهدف التحسين وهو التخريب بعينه فقد هدمت أجزاء كثيرة من المسجد وقبّته مما يؤثر على صمود المئذنة وربما تسقط في فترة قريبة ولذلك لم أستطع أخذ مقاسات لها واكتفيت بأخذ صورة لها، وهذه المئذنة تقع إلى الجنوب الشرقي من القبّة عمّرها الوزير حسن باشا وهي بارزة إلى الخارج وتتكوّن من قاعدة مربّعة قصيرة وبدن طويل إسطواني الشكل لا يتناسب وارتفاع القاعدة حيث يميل إلى النحافة كلما ارتفع وغطّي بطبقة سميكة من الجصّ تتخلّله نوافذ صغيرة للإضاءة والتهوية، يقوم عليه شرفة مستديرة تستند على ٧ حطات من المقرنصات المثلّثة الشكل.

ويقوم عليها جوسق مثمّن زيّنت أضلاعه بحنايا ذات مستويين الأدنى حنايا مصمتة والعليا فتح بداخلها نوافذ للإضاءة والحنايا ذات عقود مدبّبة، كما يلاحظ أن البدن كان ينتهي بزخرفة مسنّنة إلا أن الجصّ غطّاها فلم يعد يشاهد إلا بعضها، ويتوّج المئذنة قبّة اتّخذت شكل القباب المخروطية وهو بسيط، إذ شوهدت القباب المتدرّجة في مدينة زبيد في مئذنة الجامع الكبير

(١) Sergeant, opcit, P 351.

(٢) ابن داعر، المصدر السابق، ص ٦٥.

فيها (٥٨٢هـ) وهذا النوع من القباب شاع في العراق في المشاهد العراقية كمشهد زمرد خاتون والشيخ السهروردي إلا أن قمّة مئذنتنا لا تصل إلى تلك الجمالية في مشاهد العراق، اللوحة (٢١).

وهذه المئذنة تتشابه تماماً مع مئذنة قبّة المرادية (٩٨٤هـ) في قصر صنعاء وكذلك مئذنة مسجد الفليحي (٩٩٤هـ) كما تتشابه تلك المآذن جميعها مع مآذن الجامع الكبير بصنعاء التي ترجع إلى سنة (٦٠٣هـ) ثم تبعتها مئذنة أخرى شبيهة لها هي مئذنة مسجد الأبهر.

المبحث الثالث

مآذن القرن الحادي عشر

أ ـ مئذنة مسجد صلاح الدين

مسجد صلاح الدين من المساجد العامرة تقع في علوّ صنعاء في الجهة الشرقية بالقرب من الميدان (ميدان اللقية) عمّره الإمام صلاح الدين محمد بن الإمام المهدي علي (ت٨٤٠هـ) في النصف الآخر من القرن (٨هـ ١٤م)[١] وحدث لهذا المسجد زيادات وتجديدات فكان ممن زاد فيه حسن محمد الشاطبي سنة (١١٢٨هـ) وذلك كما هو مثبت في الإزار الجصّي داخل جدار المسجد وأرّخ له بعض الأدباء في جملة أبيات مكتوبة في الإزار تنتهي بالقول: «قد نلت ربحك في صلاح الدين» وتؤرّخ هذه الجملة سنة (١١٢٨هـ)، وفي القرن (١٣هـ) أضيف إليه سقيفة فوق الصوح غربي المسجد[٢].

أما مئذنته فترجع إلى سنة ١٠٠٣هـ وذلك بناء على ما هو مذكور في اللوح الأبيض المنصوب أعلى مدخل المئذنة في الجهة الجنوبية منها (انظر اللوحة/ ٢٢).

ويشير أحد المؤرّخين بقوله: «وفي اليوم الخامس من شهر صفر سنة ثلاث بعد الألف كان الابتداء في عمارة منارة الإمام صلاح بن علي بالأمر الوزيري بعد استكمال نقضها إذ كانت فيما مضى من الزمان وسلف معمورة على أساس مشترك أضعف وارتفع عليه سمكها نحو مئة ذراع فلم تقو

---

(١) الحجري، المصدر السابق ص٦١. (٢) الحجري، المصدر السابق ص٦١.

قواعدها على ثقل ذلك السموّ والارتفاع فانحنت المنارة من نحو نصف ارتفاعها انحناءً فاحشاً ولم يزل الناس من خوف وقوعها يقاسون رعباً مدهشاً، ولبثت على اعوجاجها زمناً طويلًا ومهما مرّ عليها الزمن تصدّعت من أسفلها وزاد ذلك التصدّع طيال طيلًا فلما تيقّن أنها ستقع سريعاً وتنهدم على ما حولها من الدور انهداماً شنيعاً أمر حضرة الوزير بنقضها من أعلاها إلى منتهى قرارها، وتستأنف عمارتها على أثبت قاعدة وأكمل تقدير، ولما تمّ نقضها وجدت قواعدها القديمة لا تقوم على تثبيت أعلاها من ارتفاع تلك المنارة العظيمة، فاستوجب لها أساس أكيد على مثله يرتفع البنيان المشيد(١). وهي تقع بين بيت الصلاة وقبّة الضريح فهي إلى غرب بيت الصلاة وشرق الضريح وشمال الصوح وتتكوّن من قاعدة مربّعة بطول ضلع ٥,٦٠م وارتفاع ١٣,٦٥م وهي مبنيّة نصفها الأسفل من الحجر والعلوي من الآجر بفتح فيها باب بأبعاد ٨٥ × ١,٢٥م ذو عقد مدبّب، يعلو المدخل لوح أبيض كتب عليه نصّ عمارة المئذنة وهو يتكوّن من عدة قطع من الحجارة كتب عليها النصّ إذ يبلغ ١٦ سطراً، ويكتنف اللوح من الجانبين نافذة معقودة بعقد مدبّب تغطيهما أحجبة آجرية اتخذت أشكالاً هندسية، ويزيّن الجزء العلوي منها زخرفة كتابية تتكوّن من ثلاثة أشرطة منفّذة بالخطّ النسخي نصّها:



لوحة [٢٢] توضيح مئذنة
مسجد صلاح الدين بمدينة صنعاء

(١) ابن داعر، الفتوحات المرادية، مخطوط مجلد ٣ ص١٣٦ ب ـ نقلًا عن خليفة الأعمال المعمارية لحسن باشا ص١٧٥.

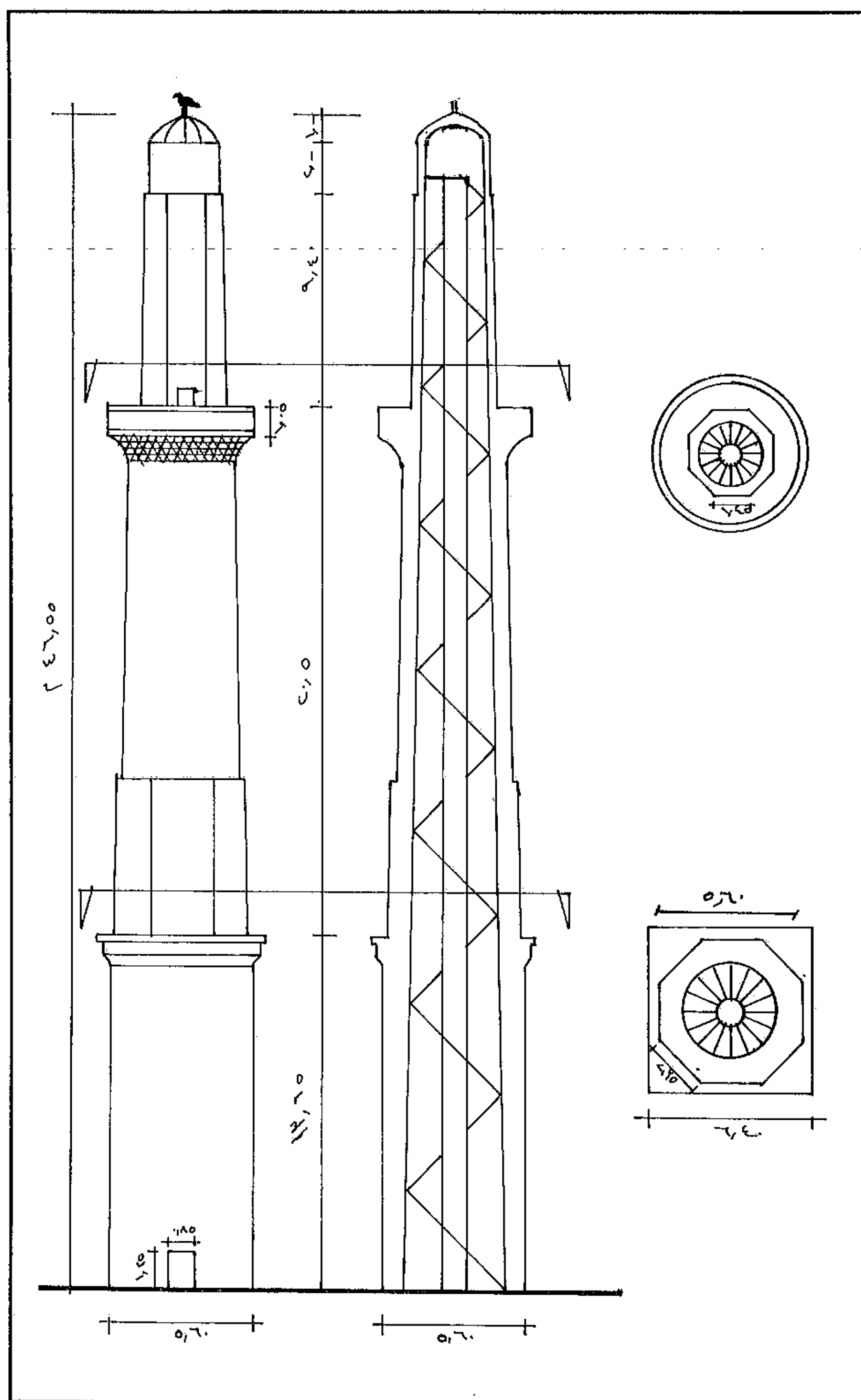
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، «لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه»، يدنو منها شريط من الزخرفة المجدولة، بينما تنتهي القاعدة من أعلى ببروز منشوري، ويعلو القاعدة بدن طويل قسم إلى قسمين الأدنى مثمّن الشكل بطول ضلع ٢,٣٥م وزيّنت أضلاعه بحنايا ذات عقود مدببة وبمعدل حنيّة في كل ضلع، ويلاحظ أن بواطن الحنايا محلّاة بوحدات زخرفية معينية تتألف الوحدة الزخرفية فيها من ثلاثة معينات متّصلة مشكلة من الآجرّ، وينتهي هذا القسم من أعلى بصفين من زخرفة التسيئن، يتبعه القسم الثاني وهو إسطواني الشكل شاهق الارتفاع مزدان بزخرفة هندسية عبارة عن أشرطة زجزاجية في الوسط يدنو منها ثلاثة صفوف من أشكال المعينات (معين معدول وآخر مقلوب) ويعلوه خمسة صفوف من المعينات المتصلة والمتتالية، ويعلو المعينات صفّ من المربّعات، ويصل ارتفاعه إلى ٢٠,٥م، تقوم على البدن شرفة تستند على خمس حطات من المقرنصات المثلّثة الشكل بقوالب الآجرّ واتّخذت شكلًا مستديراً يبلغ محطيها ١٨,١٠م تكوّن حوضاً سعته ٧٥ سم ويرتفع سياجها ١,٠٥م وسمك جدارها ٢٠سم.

الجوسق:

يعلو الشرفة جوسق مثمّن الأضلاع بطول ضلع ١,٤٥م يفتح فيه باب المؤذّن بأبعاد ٦٥ × ١,٦٥م يتّجه إلى الشمال الشرقي، ويبلغ ارتفاعه ١١,٤٠م، ويزيّن أضلاع البدن حنايا مكونة من مستويين الأدنى حنايا مصمتة ذات عقد مدبّب، أما الحنايا العليا فمعقودة بعقد نصف دائري ويفتح في الحنايا نوافذ ذات عقود نصف دائري.

ويتوّج المئذنة من على قبّة مضلّعة ذات تضليعات كبيرة إذ بلغت أخاديدها ثمانية ثم يزيّنها من أعلى بميل معدني، يشكل تمثالًا لطائر من البرونز يشبه الحمام يتجه برأسه إلى الكعبة المشرّفة[١] وبلغ ارتفاع هذه المئذنة ٤٦,٥٥م وهي تعتبر أعلى مئذنة في صنعاء. اللوحة (٢٢) شكل (٩).

(١) خليفة، الأعمال المعمارية لحسن باشا، ص١٨٥.



شكل [٩]: مئذنة مسجد صلاح الدين/ مقياس الرسم ١ ـ ٢٠٠

وللمئذنة سلّم يدور حول قطب المئذنة يتكوّن من ١٦٦ درجة متوسط ارتفاعها ٢٠سم. ويتّخذ القطب شكلًا إسطوانياً محيطه ٣م يصل بينه وبين جدار المئذنة عقوداً تحمل الدرج ويدور الدرج حوله بشكل حلزوني تاركاً ممرّاً سعته ٩٥سم.

والمئذنة أُقيمت على أَنقاض مئذنة قديمة لم نعرف تأريخ بنائها والتي قيل إنه كان ارتفاعها ١٠٠ ذراع[١]، أي أنها كانت بارتفاع المئذنة حالياً، وأما عن نمط بنائها فقد أشار بعض الباحثين إلى أن عظمة مسجد صلاح الدين تكمن في مئذنته التي تضارع مئذنة المدرسة وهي تتشابه معها في النمط تماماً مع أن مئذنة المدرسة بنيت قبلها بـ٦٥ سنة تقريباً، وبالتالي تعتبر مئذنة المدرسة النمط الذي اتّخذه معمار مئذنة صلاح الدين في هذا النمط، ونجد أن المعمار قد أفرط في استخدام العناصر الهندسية التي تكسو البدن وهي ميزة من مميّزات مآذن مدينة صنعاء.

ب ـ مئذنة القبّة البكيرية

القبّة البكيرية مسجد ومدرسة ما زالت عامرة تقع في الجهة الشرقية من صنعاء بالقرب من قصر السلاح[٢] عمّرها الوزير حسن باشا سنة ١٠٠٥هـ وقد أرّخ لذلك الأديب محمد بن عبد اللّه بن الإمام شرف الدين بقوله:
شاد الوزير جامعاً يلوح نوراً ساطعاً وقد أتى تأريخه لكل خير جامعاً[٣].

وعبارة لكل خير جامعاً تؤرّخ سنة ١٠٠٥هـ بحساب الجمل، وقد انفرد أحد المؤرّخين بذكر تأريخ لهذه القبّة فذكر سنة (٩٩٨هـ) بقوله: «من السنة المذكورة تمام ما أمر به الوزير من عمارة القبّة العالية ذات الأركان المشيدة، وشيدت لها منارة أنيقة البناء ظاهرة النور والسنا فكان الابتداء في عمارتها في ١٢ شهر ذي الحجة سنة (٩٩٧) في الجانب الشمالي من ميدان صنعاء[٤]»، بينما نجد أن مؤرّخي اليمن متّفقون على أن بنائها كان في سنة (١٠٠٥هـ)[٥]،

---

(١) Sergeant, opcit, P 3.
(٢) الحجري، المصدر السابق ص١٧.
(٣) الجرافي، المصدر السابق ص١٠٣ والحجري ص١٧.
(٤) ابن داعر، المصدر السابق ص١٠٧ و١٠٨.
(٥) الحجري، ص١٧ والجرافي ص١٠٣ وزيارة، أئمة الأمم ص١٤ وابن حسين، غاية ص٨٧٤ والأكوع، المدارس ص٢٨٢.

إلى جانب ذلك يوجد نقش كتابي مزبور على حنية المحراب يؤرّخ بحساب الجمل أيضاً ينصّ، وفي الفتح تأريخه تراهم ركعاً سجداً[١]. فجملة تراهم ركعاً سجداً تؤرّخ سنة (١٠٠٥هـ).

وقد أجري على هذه القبّة تجديدان كان أهمها في سنة (١٢٩٨هـ) في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وأرخ لها بنقش وضع في أعلى المدخل بقوله: نصر من اللّه بفتح قريب[٢]. وهذه الجملة يبلغ حسابها ١٢٩٨، وهذا التجديد كان عبارة عن تزويق القبّة وإضافة منبر لها وفرشه وترخيم صحن القبّة[٣] ولم يخرجها عن طابعها الأصلي، وكان آخر تجديد في السبعينات من هذا القرن[٤] ولم تأت هذه التجديدات على المئذنة.

أما المئذنة فباقية منذ زمن بنائها دون أن يشير إلى أي تجديد فيها من قبل المؤرّخين ولذا فقد اعتمدنا على تأريخ بناء القبّة لتؤرّخ بها المئذنة وهو سنة ١٠٠٥هـ وهي تقع قرب الركن الجنوبي الشرقي من السقيفة التي تتقدم بيت الصلاة وتبتعد عن القبّة بـ٢,٦م وتبرز إلى خارج الجدار بحيث يسير جدار قاعدتها الغربي مع جدار صحن المسجد، وتتكوّن من قاعدة ضخمة ذات قطاع مربّع بأبعاد ٦,٢٧م وبارتفاع ١١,٥٠م فتح في جدارها الغربي مدخل بأبعاد ٨٦ × ١,٥٠م، وقد بني نصفها السفلي من الحجر وأكمل بالآجرّ زيّن أدناه بجديلة كبيرة يعلوها في الضلع الجنوبي والغربي طاقات صمّاء معقودة بعقد نصف دائري زيّنت بكتابات نصّها (بسم اللّه الرحمن الرحيم لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه).

أما حنايا الضلع الجنوبي فتزيّنها كتابات وزخرفة هندسية عبارة عن نجمة سداسية ومعين في كل من الحنيتين الجانبيتين، بينما يزيّن القاعدة من أعلى بشريط كتابي نصّه: بسم اللّه الرحمن الرحيم «آية الكرسي» أدناها صف من زخرفة التنسين ويعلوه بروز منشوري عرضه ٧م يتوج نهاية القاعدة التي يزيّنها صفّ من زخرفة التنسين أسفلها زخرفة آجرية تشبه عظام السمك[٥].

(١) محمد، غازي، من روائع العمارة الإسلامية، القبة البكيرية بصنعاء ـ مجلة كلية الآداب ـ بغداد ص٤٥٨.
(٢) محمد، نفسه، ص٤٦٢ وشيحة، المصدر السابق ص١٠٥.
(٣) الحجري، المصدر السابق ص١٧.
(٤) محمد، غازي، نفسه ص٤٥٨.
(٥) محمد، غازي، المصدر السابق ص٤٧٩.

البــدن:

يقوم على القاعدة بدن طويل قسم إلى قسمين الأدنى مثمّن الأضلاع بعرض ٢,٣٦م فتح في أحد أضلاعه باب بأبعاد ٥٥ × ١,٣٥ بينما بقية الأضلاع زيّنت بحنايا ذات عقود نصف دائرية وبمعدل حينة واحدة بكل ضلع، ويلاحظ أن بواطن الحنايا مزيّنة بوحدات زخرفية معينية تتألف الوحدة الزخرفية من أربعة معينات متصلة ومتتالية منفذّة بالآجرّ، يتبعه القسم الثاني وهو بدن شاهق الارتفاع يزيّن وجوه أضلاعه الستة عشر في جزئه العلوي حنايا ذات أُطر مستطيلة بداخلها زخرفة معيّن مربّع موضوعة بالتبادل. ويتخلّل البدن نوافذ لغرض الإضاءة والتهوية ويصل ارتفاع البدن إلى ١٧,٠٥م ويتشابه مع بدن مئذنة الزمر ثم سار عليه من بعده معمار كل من موسى المهدي عباس وخضير.

الشرفة:

وتقوم على البدن شرفة وتستند على خمس حطات من المقرنصات المثلّثة المنفّذة بالآجرّ وهي مضلّعة الشكل ذات ١٦ ضلعاً ويبلغ محيطها ٢٠,٤٠م زيّنت أضلاعها بحنايا صمّاء بعقد نصف دائري بداخلها معين، وتكوّن حوضاً سعته ٨٠ سم ويرتفع سياجها ١,٠٥ وبسمك جدار ٣٠سم.

الجـوسـق:

يعلو الشرفة جوسق ذو ١٦ ضلعاً بطول ضلع ٨٥سم وبارتفاع ١٢م فتح فيه باب المؤذّن يتّجه إلى الشمال بأبعاد ٦٥ × ١,٦٥م بعقد مدبّب ويزيّن أضلاع البدن حنايا ذات مستويين الأدنى معقودة بعقد مدبّب بداخلها زخرفة هندسية في الوسط دائرية يعلوها ويقع أدناها معين. أما المستوى العلوي فمعقود بعقد نصف دائري فتحت فيها نوافذ بعقود مفصّصة بحيث تناوبت النوافذ بين المفتوحة والمغلقة يعلو هذه الحنايا شريط من زخرفة التسنين.

الـقـبّـة:

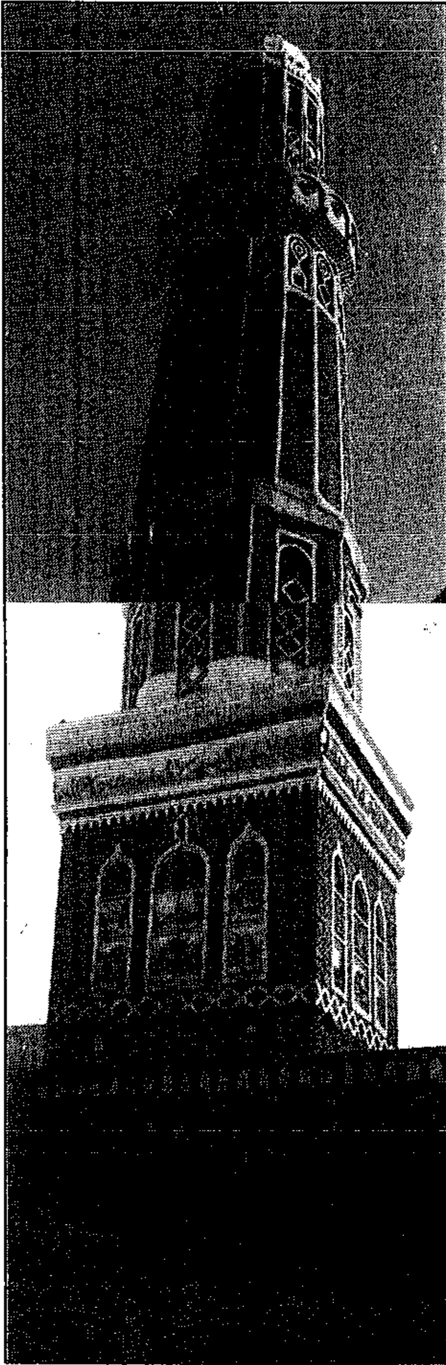
توجت المئذنة بقبّة مضلّعة ترتفع ١,٤٥م يزيّنها ميل معدني يتكوّن من

ثلاث جوزات وهلال. متّجه إلى الكعبة المشرّفة، ويصل ارتفاع هذه المئذنة إلى ٤٢م اللوحة (٢٣) الشكل (١٠).

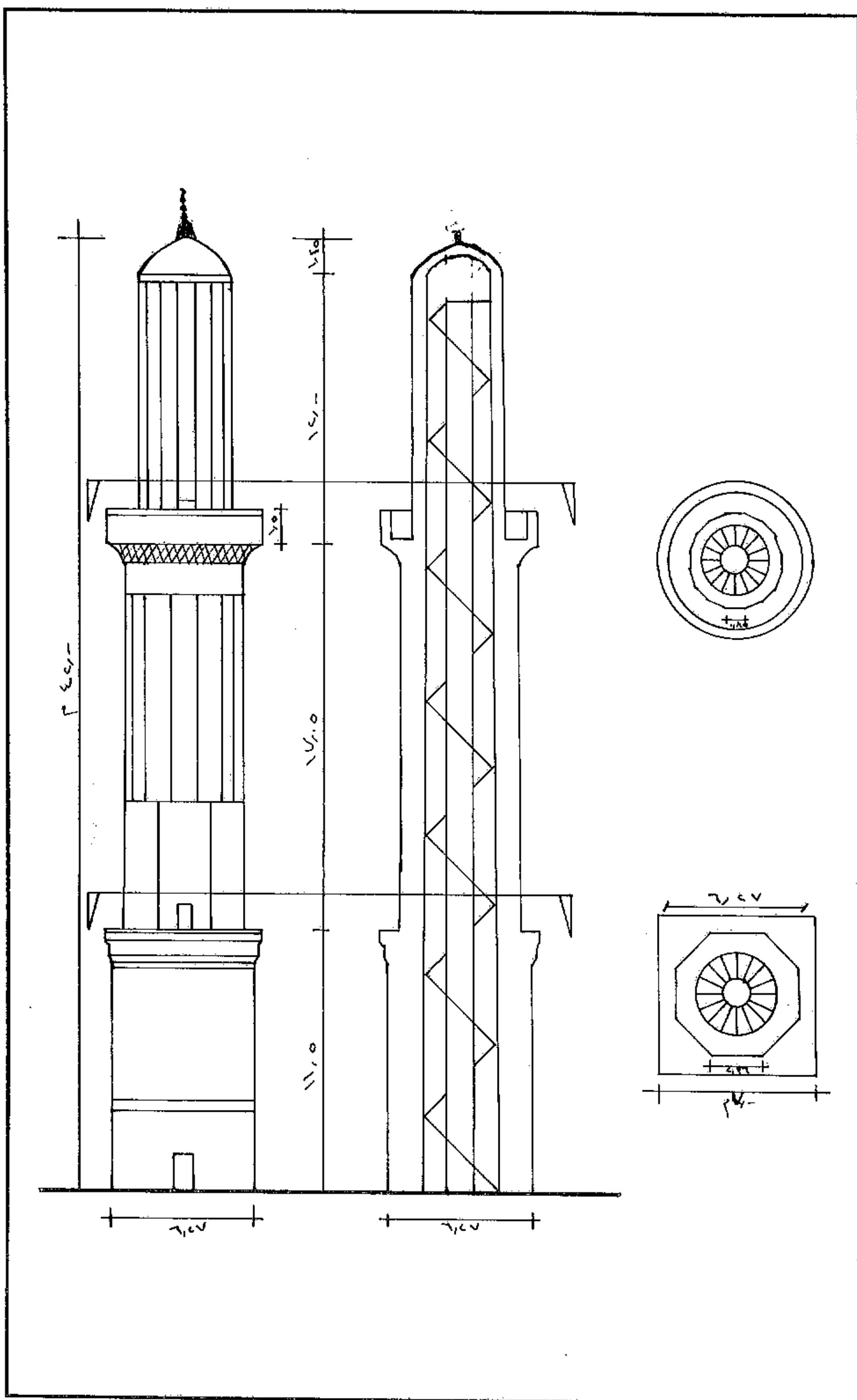
ويقوم في وسط المئذنة قطب يحمل السلالم حيث تقوم السلالم على عقود تصل بين القطب وجدار المئذنة تحمل السلّم التي بلغ عدد درجاته ١٧٦ درجة بمتوسط ارتفاع ٢٥سم، واتّخذ القطب عند القاعدة شكل مربّع بطول ضلع ١,٣٠ ويترك ممرًّا سعته ٨٥سم ثم يستدير هذا القطب مع بداية البدن ويبلغ محيطه ٤م ثم يصل تدريجياً حتى يصل وسع الممرّ إلى ١,٠٥م عند الشرفة.

ولقد استخدم المعمار في البناء عند القاعدة الحجر وكذلك استخدم الحجر عند بناء الجزء السفلي من القطب والدرج ثم أكمل بقية البناء بالآجرّ، كما يلاحظ على هذه المئذنة ميل وقد يكون سبب ذلك هو ارتفاعها، كما يشاهد ذلك الميل في مئذنة صلاح الدين والمدرسة، وميل هذه المآذن الثلاث طفيف.

وعلى الرغم من أن البكيرية بنيت على أيدي بناة عثمانيين وذات نمط عثماني يتكوّن من القبّة الكبيرة التي يتقدمها رواق مفتوح[1] عرف عند مؤرّخي العمارة الإسلامية بطراز


لوحة [٢٣] توضيح مئذنة القبة البكيرية بمدينة صنعاء

(١) محمد، غازي، المصدر السابق ص٤٨٤.

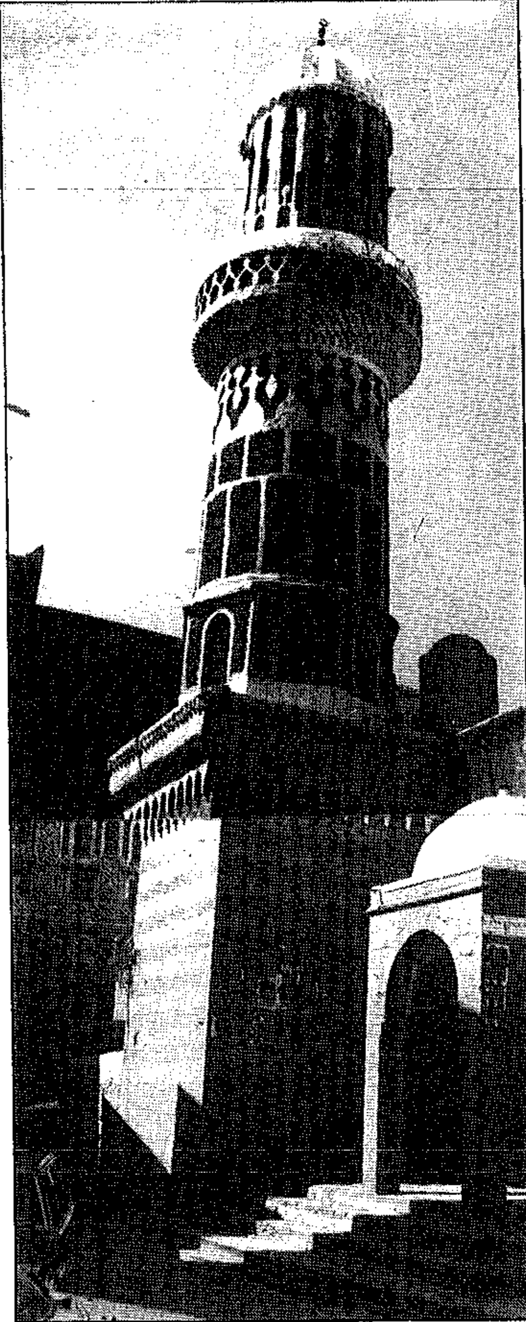


شكل [١٠]: مئذنة القبة البكيرية/ مقياس ١ ــ ٢٠٠

بورصة الأول[١]، وإن المآذن التركية العثمانية تمتاز برشاقتها وتدبّبها وساد هذا الطراز بعض الأقطار التي خضعت للعثمانيين، إلا أن مئذنة البكيرية اختلفت كلّيا عن هذا الطراز واحتفظت بالطابع المحلي اليمني[٢] وذلك من حيث مظهرها العام وأسلوب الزخرفة المتمثّل في الزخارف المجدولة وأشكال المربّعات والمعينات إلى جانب الزخارف الكتابية، وهذه المئذنة ذات فخامة واضحة وخطوط حادّة تميّزها عن غيرها من المآذن الأخرى.

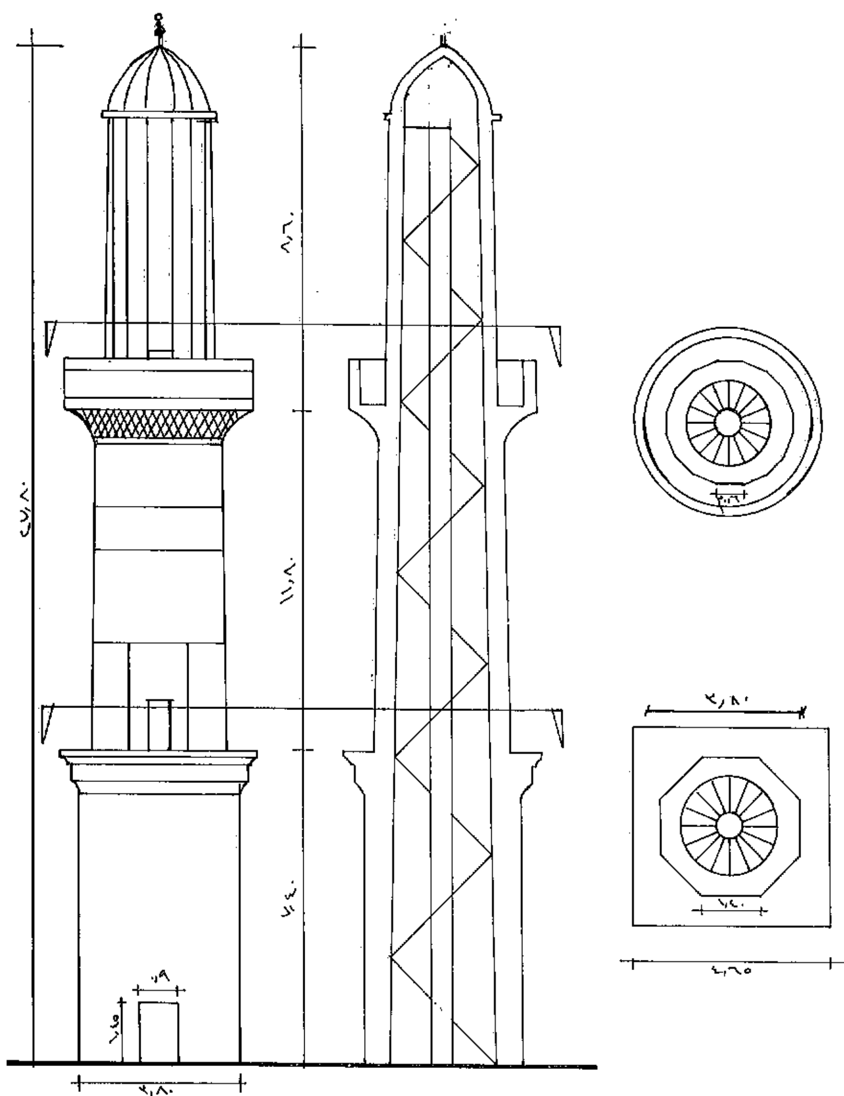
جـ ـ مئذنة قبّة طلحة

من المساجد العامرة بصنعاء وتقع جنوب الطريق النافذة من الخراز والطاووس وشمال الطريق النافذ من الوشلي وجمال الدين إلى جهة داود وسوق البقر[٣] وينسب بناء هذه القبّة إلى الوزير محمد باشا الذي حكم فيما بين (١٠٢٥ ـ ١٠٢٩هـ ـ ١٦١٦ ـ ١٦٢١م)[٤] وقد وصل الوزير محمد باشا إلى اليمن في أواخر شهر شعبان من سنة (١٠٢٥هـ)[٥].



لوحة [٢٤] توضح مئذنة قبة طلحة بمدينة صنعاء

(١) خليفة، مساجد صنعاء ص٧١ والبكرية، المسد والمدرسة، مجلة الإكليلة ص١٤٤.
(٢) محمد، غازي، المصدر السابق ص٤٨٤ و Sergeant, opcit, P 380.
(٣) الحجري، المصدر السابق ص٦٨. (٤) سالم، سيد مصطفى، المصدر السابق ص٤٨٣.
(٥) الموزعين، المصدر السابق ص١٤٠.



شكل [١١]: مئذنة قبة طلحة/ مقياس الرسم ١ ـ ٢٠٠

أما بالنسبة لتأريخ بناء المسجد فيذكر أحد المؤرّخين أنه في شهر شعبان من سنة (١٠٢٩هـ) أكمل الوزير محمد باشا عمارة مسجد طلحة وعمّر منارته وفرشه بالفراش النفيس وكم هجره قبل ذلك الأنيس[١].

وقد حدث للمسجد تجديد في سنة (١٢٤٧هـ) في عهد الإمام المهدي عبد اللّه حيث تشير إلى ذلك الكتابة الموجودة على جدار المسجد من الداخل وتنصّ: «إذا أردت أن تعرف تأريخها فختامها مسك»، وجملة «فختامها مسك» تؤرّخ سنة (١٢٤٧هـ) بحساب الجمل. إلّا أن هذا التجديد اقتصر على المسجد فقط ولم يمتّ بشيء إلى المئذنة، فالمئذنة باقية منذ زمن بنائها (١٠٢٩هـ) وهو ما أشار إليه المؤرّخ عيسى بن لطف اللّه والحجري[٢].

وللقبّة منارة تقع ملاصقة للركن الجنوبي الشرقي لبيت الصلاة وهي بارزة إلى الخارج وتتكوّن من قاعدة مربّعة بطول ضلع ٣,٨٠م وبارتفاع ٧,٤٠م وبناؤها منفّذ بالحجر الأبلق حيث بني صف من الحجارة السوداء وصف من الحجارة البيضاء، وفتح في جهتها الجنوبية مدخل بأبعاد ٩٠ × ١,٤٥م ويزيّن القاعدة من أعلى بصفّ من زخرفة العقود ثم تنتهي القاعدة من أعلى ببروز منشوري زيّن في جهته الشرقية بصفين من زخرفة التسنين والجهة الشمالية بصفّ منها وبلغت أبعادها من أعلى ٤,٦٥م ويتساوى ارتفاع قاعدة المئذنة بارتفاع بيت الصلاة.

البـــدن:

يقوم على القاعدة بدن طويل قسم إلى قسمين الأدنى مثمّن الشكل بطول ضلع ١,٤٠ فتح في أحد أضلاعه مدخل بأبعاد ٥٥ × ١,٢٠م، ويزيّن بقية الأضلاع حنية غائرة مصمتة متوّجة بعقد نصف دائري وينتهي هذا القسم ببروز خال من الزخرفة. أما القسم الثاني فهو إسطواني الشكل قسم بواسطة خطوط من الجصّ إلى أجزاء مستطيلة رأسية الوضع تنتهي من أعلى بصف من الزخرفة وهي عبارة عن زخرفة معينين متتاليين تتبادل مع زخرفة العلم، ويصل ارتفاع البدن إلى ١١,٨٠م.

---

(١) ابن لطف اللّه، عيسى، المصدر السابق ص١٠٣.

(٢) ابن لطف اللّه، المصدر السابق ص١٠٣ والحجري، ص٦٨ والعمري، حسين ـ مئة عام من تاريخ اليمن ص٢٢٩.

الشــرفـة:

تقوم على البدن شرفة تستند على ٩ حطات من المقرنصات المثلّثة الشكل المنفّذة من الآجرّ وهي مستديرة زيّنت بزخرفة معينة بلغ محيطها ١٤,١٠م كوّنت حوضاً بوسع ٦٥ سم وبارتفاع ١,٢٠م وسمك الجدار ٢٥سم.

ويعلو الشرفة جوسق ذو ١٦ ضلعاً بطول ضلع ٦٠ سم ومحيطه ١٠م وارتفاعه ٨,٦٠م فتح فيه باب المؤذّن بأبعاد ٥٥ × ١,٤م زخرف كل ضلع بحنية مصمتة معقودة بعقد نصف دائري يعلوها زخرفة معينية، ثم ينتهي هذا البدن من أعلى بفتحات نافذة في كل ضلع معقودة بعقود مدبّبة ويعلو الفتحات شريط من زخرفة التسنين.

ويتوّج المئذنة من أعلى بقبّة مضلّعة ذات ١٦ أخدوداً ينتهي من أعلى بميل معدني عبارة عن ثلاث جوزات تنتهي بحلقة، ويصل ارتفاع المئذنة الكلي إلى ٢٤,١٠م اللوحة ٢٤ الشكل ١١ ولها قطب في الوسط إسطواني الشكل يحمل الدرج بواسطة عقود تصل بينه وبين الجدار وتترك مجالًا سعته ٦٥سم للمرور، ويصل عدد درجاتها إلى ٧٠ درجة بمتوسط ارتفاع ٢٠سم.

ويلاحظ على هذه المئذنة التناسق التام في البناء إلى جانب الجدة في العمارة، كما يلاحظ أيضاً أن قاعدتها بنيت بطريقة البناء الأبلق وهو ما نشاهده في القصر الأبلق الذي أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون والذي انتهى العمل منه سنة (٧١٤هـ) والذي بني على غرار قصر بدمشق داخل القلعة وقد وصفه ابن فضل العمري بقوله: «القصر الأبلق بناه الملك الظاهر بيبرس سنة (٦٦٥هـ) وهو مبني بالحجر الأسود والأصفر مدماكاً من هذا ومدماكاً من هذا بتآلف غريب وإحكام عجيب»[1]، وهذا ما نشاهده في قاعدة مئذنتنا في صنعاء مئذنة قبّة طلحة.

مئذنة مسجد العلمي ١٢

من المساجد العامرة: تقع في الجهة الشمالية من صنعاء (شمال) الطريق النافذة من الفليحي إلى السائلة، ولعلّ نسبة العلمي هي إلى علم الدين ورد أسار أو علم الدين الشعبي وكلاهما ممن تولّى صنعاء في القرن السابع

(١) الباور، طلعت، العمارة الإسلامية في مصر، ص٤٠٧.

الهجري، وقد أعيدت عمارة هذا المسجد في القرن الحادي عشر الهجري[١].

وبالنسبة لتأريخ بناء المئذنة فلم نجد نصّاً صريحاً يحدّد تأريخها ولذا يرى الباحث أن تأريخ بنائها يرجع إلى القرن الحادي عشر وذلك بناء على تخطيط المئذنة العماري وعناصرها الزخرفية فهي تتشابه مع مئذنة مسجد صلاح الدين (١٠٠٣هـ) ومئذنة قبّة طلحة (١٠٢٩هـ)، وقد أشار أحد الباحثين إلى أنه لا يوجد اختلاف في الواجهة بينها وبين مئذنة البكيريه[٢] إلا أنه لم يحدّد تأريخ لها.

وتقع المئذنة إلى الجهة الجنوبية من بيت الصلاة يفصل بينهما الصحن، وهي تتكوّن من قاعدة مربّعة بطول ضلع ٤,٨٠م وبارتفاع ٨,٩٠م ويفتح في جدارها الشمالي باب بأبعاد ٦٨ × ١,٢٣م ويزيّن كل ضلع من أضلاع القاعدة حنية مصمتة بعقد نصف دائري وسار المعمار في طريقة البناء على غرار بناء المآذن في صنعاء بحيث بنى الجزء السفلي منها بالحجارة ثم أكمل بالآجرّ، ويزيّن الجزء العلوي للقاعدة بشريطين من الزخرفة الزجزاجية تحصر بينها أشكال مثلّثات، هذا وتنتهي القاعدة من أعلى ببروز منشوري.

البـــدن:

ويقوم فوق القاعدة بدن طويل قسم إلى قسمين الأدنى مثمّن الأضلاع بعرض ١,٦م فتح في أحد أضلاعه باب بأبعاد ٥٠ × ١,٣م بينما بقية الأضلاع محلّاة بحنايات ذات عقود مدبّبة وبمعدل حنية لكل ضلع ويلاحظ أن بواطن الحنايا مزيّنة بوحدات زخرفية معينية تتألف الوحدة الزخرفية من معين مفرغ ومصمت. يتبعه القسم الثاني وهو إسطواني الشكل غطّي بزخرفة معينية مصمتة بارزة ذات لون بني على أرضية بيضاء يتخلّلها معينات مفرغة، وينتهي البدن من أعلى بشريط من الزخرفة المجدلة، ويصل ارتفاع البدن إلى ١١,٢٠م.

ويقوم على البدن شرفة مستديرة الشكل تستند عليها حطات من المقرنصات المثلّثة الشكل محيطها ١٦م زيّن سياجها بزخرفة المعينات ولها حوض بسعة ٠,٧٥سم ويرتفع سياجها ٧٠سم وبسمك جدار ٠,٢٥سم.

ويعلو الشرفة جوسق ذو عشرة أضلاع وهي مقعّرة الشكل بعرض

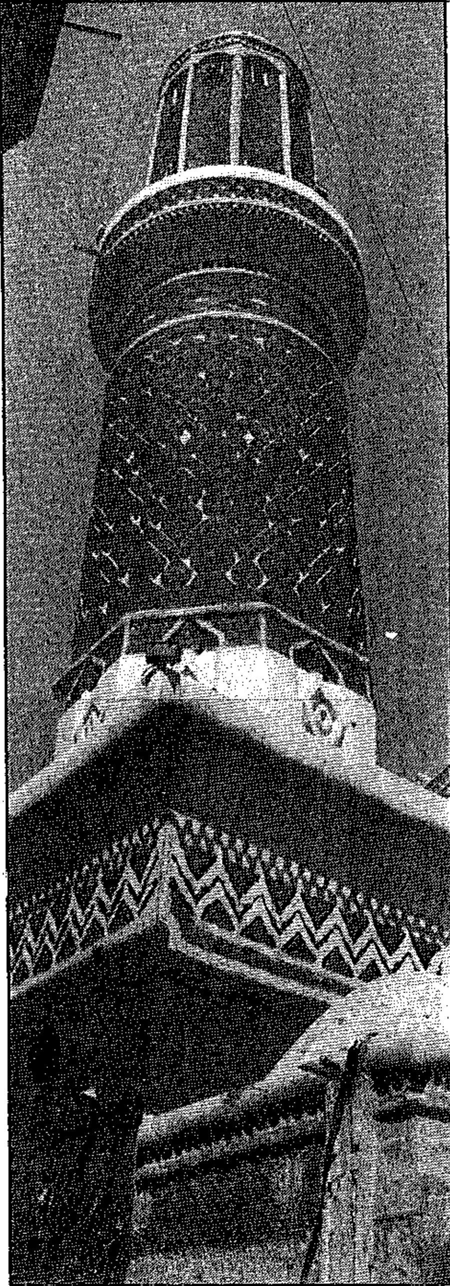
(١) الحجري، المصدر السابق ص٨٤ و٨٥.

(٢) Bonnenfant, opcit, P 28.

١,١٥م وعمق ١٥سم والضلع على شكل حنية بعقد مدبّب في نهاية كل ضلع نافذة ذات قطاع مستطيل ويصل ارتفاع هذا البدن إلى ٩,٦٠م وفتح فيه باب المؤذّن بأبعاد ٥٥ × ١م يزيّنه من أعلى شريط من زخرفة التنسيق، اللوحة (٢٥) شكل (١٢).

القبّة:

ويتوّج المئذنة من أعلى قبّة ذات قطاع نصف دائري فتحت فيه فتحات صغيرة لغرض الإضاءة، وللمئذنة قطب يبدأ عند القاعدة بمربّع طول ضلعه ٦٥سم ويترك ممرّاً سعته ٨٥سم ثم يستدير مع البدن ويكوّن ممرّاً سعته ٩٠سم وقد استخدم المعمار روابط خشبية لحمل الدرج تربط بين القطب وجدار المئذنة ونجد أن المعمار استخدم مادة الحجر في الجزء المربّع من القطب وأكمل بالآجرّ.

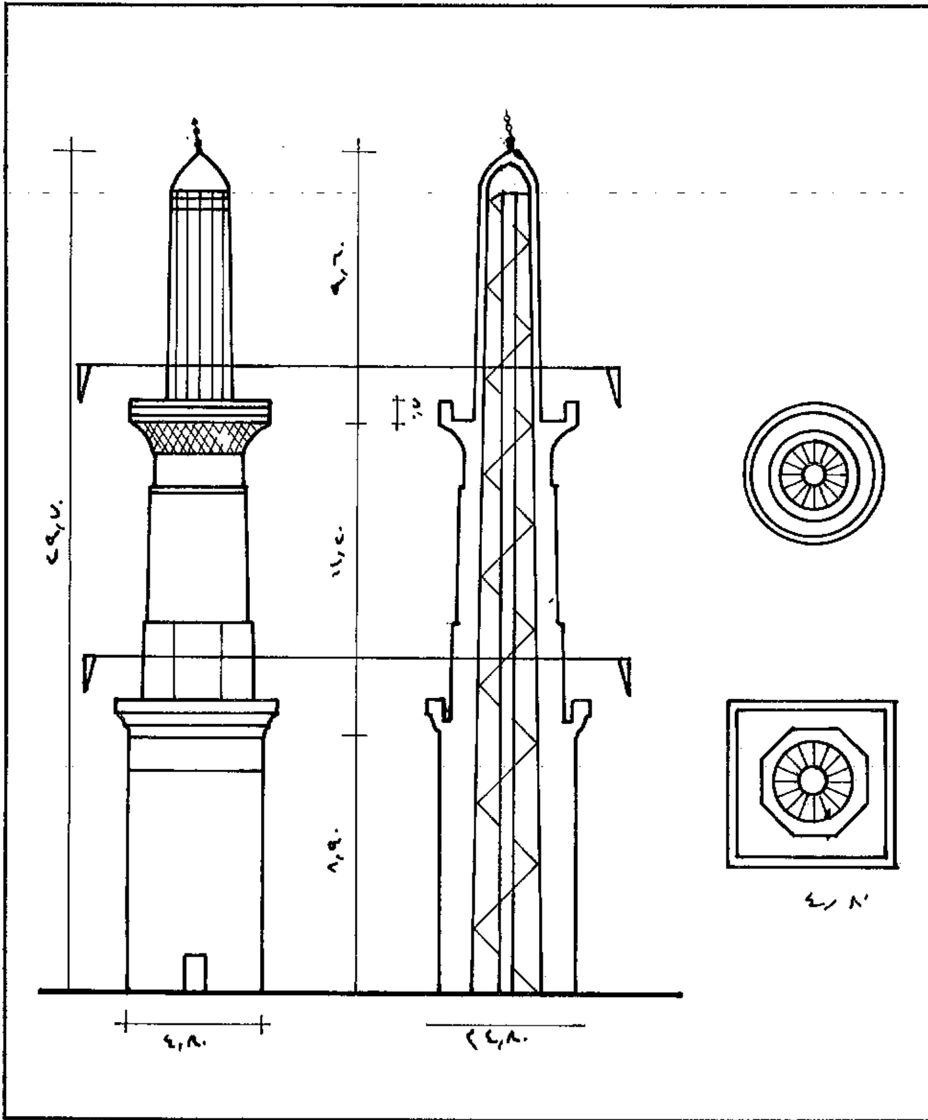


لوحة [٢٥] توضح مئذنة مسجد العلمي بمدينة صنعاء

هـ ـ مئذنة مسجد مذهب وجناح١٣

تنفرد هذه المئذنة عن جميع مآذن فترتنا وذلك من حيث موقعها وشكلها العام فمثلًا تقع بين مسجدين هما جناح والمذهب وتقوم على قاعدة مختلفة، وذلك عن طريق عمل عقدين نصف دائرين ربطا بين المسجدين بعرض ٢,٢٠م وبطول ٣م بينما بلغ عرض القاعدة عند نهاية جداري المسجد ٢,٥٠م ويلاحظ أن العقود مبنية بالحجر ثم أكمل البناء بواسطة الآجرّ.

ويزيّن واجهتي القاعدة الشمالية والجنوبية بزخارف من حنايا ثلاث



شكل [١٢]: مئذنة مسجد العلميمقياس ١ ـ ٢٠٠

مصمتة عقدت بعقد نصف دائري يعلوها صفّ من زخرفة التسنين ثم شريط من أشكال المثلّثات المقلوبة.

ويعلو القاعدة بدن مثمّن الأضلاع زيّن قسمه العلوي بحنايا غائرة معقودة بعقد نصف دائري تنتهي من أعلى بنوافذ معقودة بعقد مدبّب بينما ينتهي البدن من أعلى ببروز على شكل كورنيش ويتوّج المئذنة من أعلى بقبّة ذات قطاع نصف دائري.

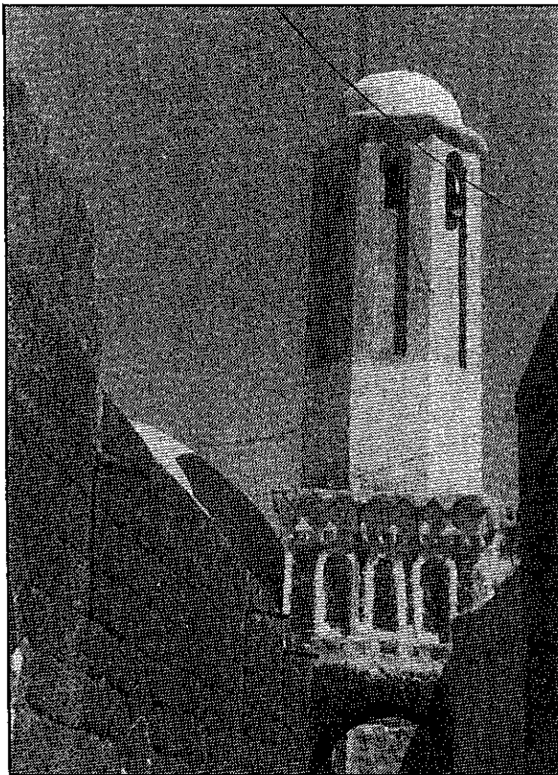
وليس لهذه المئذنة شرفة للمؤذّن ولها مدخل صغير وقد أشار بعض

الباحثين إلى أن المؤذّن يقوم بالأذان من خلال مقصورة داخلية تتخلّلها تلك النوافذ المشار إليها في نهاية بدن المئذنة(١).

ويرى الباحث أن المئذنة لم تكن لغرض الأذان، إذ أنه إذا أذّن من داخلها لم يتعدّ صوت المؤذّن بضعة أمتار لأن الجدار يحجب الصوت والنافذة لا تسمح بخروج الصوت كاملًا.

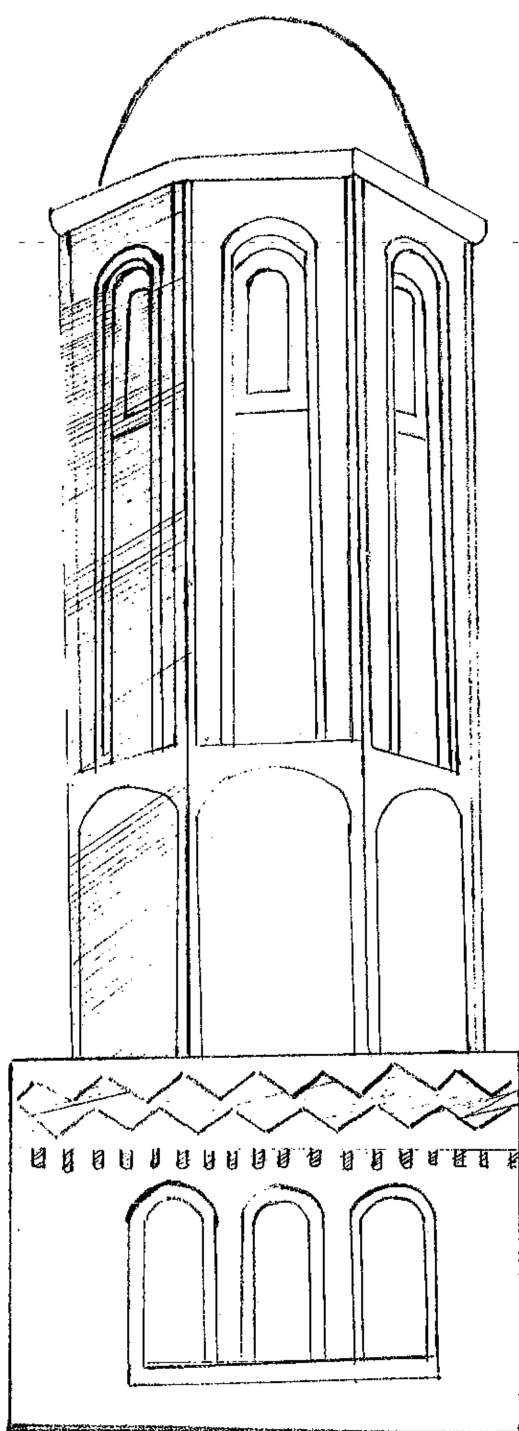
ولم تكن هذه المئذنة إلّا علامة دالّة على المسجدين، إلى جانب ذلك فالمسجدان واقعان بقرب سوق ويفتحان إلى ممرّ مما يحجب المارّين في السوق من مشاهدة مدخلي المسجدين وإنما يشاهد المئذنة الواقعة فوق الممرّ وقرب مدخل المسجدين، ومن ثم تدلّه المئذنة على المدخلين وهي بذلك تجسّد مهمة المئذنة كعلامة دالّة على المسجد.

أما بالنسبة لطرازها المعماري فقد انفردت بشكلها إذ لم نجد لها مثيلًا في صنعاء، وقد نجد مآذن ذات أبدان مثمّنة الشكل في بعض المناطق اليمنية كمدينة زبيد في مئذنة جامعها الكبير (٥٨٢هـ) وكمئذنة الجامع الكبير بجبن (٨٥٨ ـ ٨٨٣هـ) هذا بالنسبة للمآذن اليمنية ذات البدن المثمّن، أما بالنسبة إلى الوطن العربي فنجد هناك مئذنة عنه بالعراق ذات البدن المثمّن وغيره. اللوحة (٢٦) شكل (١٣).



لوحة [٢٦] توضح
مئذنة مسجد المذهب وجناح بمدينة صنعاء

(١) خليفة، مساجد صنعاء ص٣١.



شكل [١٣]: مئذنة مسجد المذهب والجناح/ نقلًا عن خليفة

أما بالنسبة لتأريخها فيرجع إلى زمن وجود الأتراك في اليمن أي في القرن الحادي عشر الهجري، ومع أنها بنيت في زمن الأتراك فلربما كان للعراق أثره الكبير في نقل بعض التأثيرات عن طريق الأمراء الترك وذلك للصلة الوثيقة بين العراق وتركيا مما جعل الأمراء الترك ينقلون التأثيرات العراقية إلى البلدان العربية.

المبحث الرابع

مآذن القرن الثاني عشر الهجري

أ ـ مئذنة مسجد موسى ١٤

من المساجد العامرة بصنعاء يقع في الجهة الجنوبية الشرقية وينسب إلى موسى بن الملكين في القرن (٨هـ) وقد أصلحه وعمّر منارته الإمام المنصور بالله الحسين بن المتوكل قاسم سنة (١١٦٠هـ) وأرّخ لذلك السيد الأديب قاسم بن يحيى الأمير بقوله:

يا حبذا منارة فاقت على كل بنا ... قد أكسبت من شادها
فخراً وأجراً وثنا ... أعني به المنصور مولانا الحسين
الحسنا من حمايا البيض والسمر ... العوالي اليمنا
فهنه مؤرّخاً قد حاز ذكراً حسنا[1]

ونجد أن جملة (قد حاز ذكراً حسنا) مجموع حروفها (١١٦٠) بحساب الجمل على الطريقة التالية: ق د ح ا ز ذ ك ر ا ح س ن ا
١٠٠ + ٤ + ٨ + ١ + ٧ + ١٨٠ + ٢٠ + ٢٠٠ + ١ + ٨ + ٦٠ + ٥٠ + ١ = ١١٦٠.

كما يؤرّخ لذلك نقش كتابي يقع على يمين المدخل إذ يشير إلى أن تأريخها سنة ستين ومائة وألف.

وهذه المئذنة تقع في الركن الجنوبي للمسجد وتبعد عن المسجد ١,٨٠م وهي تتكوّن من قاعدة مربّعة بعرض ٦,٠٥م وبارتفاع ١٣,٤٠م يفتح فيها مدخل يقع في جهتها الجنوبية بأبعاد ٩٥ × ١,٥٠م يصعد إليه

(١) الحجري، المصدر السابق ص١٢١.

بدرجتين ارتفاع السفلي ٢٩سم والعليا ٢٠سم ومقسم في بنائها إلى قسمين: الأدنى من الحجر وهو خال من الزخرفة، أما العلوي فمبنيّ بالآجرّ زيّن بشريط من الزخرفة المجدولة يعلوها شريط كتابي قوامه «بسم اللَّه الرحمن الرحيم» ما شاء اللَّه، يتبعه صفّ من زخرفة التسنين ثم شريط كتابي نصّه البسملة وآية الكرسي ثم يزيّن القاعدة من أعلى ببروز منشوري بأبعاد ١,٦٥م أدناه صفّ من زخرفة التسنين ويعلوه صفّ من الشرفات التي اتّخذت شكل الورقة الثلاثية عددها في كل ضلع ٦ عدا التي في الأركان.

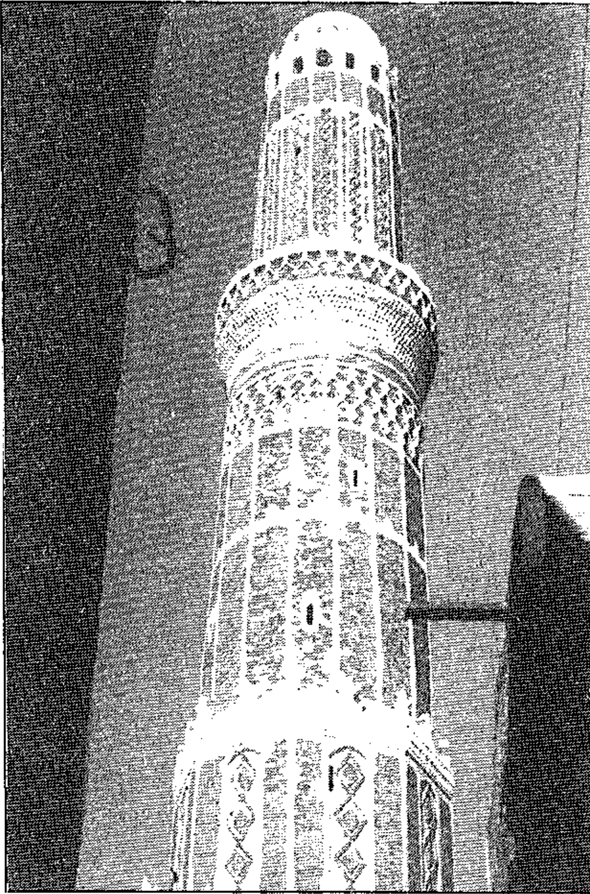
ويقوم على القاعدة بدن طويل قسم إلى قسمين: الأدنى مثمّن الشكل بعرض ٢,٢٠م فتح في أحد أضلاعه باب بأبعاد ٧٠ × ١,٤٠م معقود بعقد نصف دائري أما بقية الأضلاع فمحلّاة بحنايا ذات أطر مستطيلة بعقود مدببة وبمعدل حنية في كل ضلع، زيّنت بواطن الحنايا بوحدات زخرفية تتألف الواحدة من أربعة معينات متّصلة مفرغة بداخل كل معين مفرع معين مصمت، وينتهي هذا القسم من أعلى بثلاثة صفوف من زخرفة التنسين ويتوّجه من أعلى بصف من الشرفات عددها ١٦ وهي من الشكل ذي الورقة الثلاثية، ويتبعه القسم الثاني وهو بدن طويل زيّن وجوه أضلاعه الستة عشر في جزئه العلوي بثلاثة صفوف من المعينات ويتخلّل هذا البدن نوافذ لغرض الإضاءة والتهوية يصل ارتفاع البدن إلى ١٧,٤م.

وتقوم على البدن شرفة تستند على ١١ حطة من المقرنصات المثلّثة الشكل زيّنت من الخارج بصفّين من المعينات التي تصل بينها خطوط جصّية ويبلغ محيطها ١٨,٣٠م وتكوّن حوضاً بوسع ٦٥سم ويرتفع سياجها ١,١٥م وبسمك جدار ٢٠سم.

ويعلو الشرفة جوسق ذو ١٦ ضلعاً بعرض ٨٥سم وبارتفاع ١٣,٨٠م فتح في أحد أضلاعه باب بأبعاد ٧٥ × ١,٥٥م وزيّنت بقية أضلاعه بزخرفة المعينات وهي متتالية تحصر بداخلها معينات صغرى مصمتة ينتهي هذا البدن من أعلى بنوافذ عددها ١٦ ذوات عقود نصف دائرية كما زيّن من أعلى بصف من الشرفات المسنّنة.

القبّة:

يتوّج المئذنة من أعلى بقبّة ذات قطاع نصف دائري يصل ارتفاعها إلى ١م


لوحة [٢٧] توضح مئذنة موسى بمدينة صنعاء

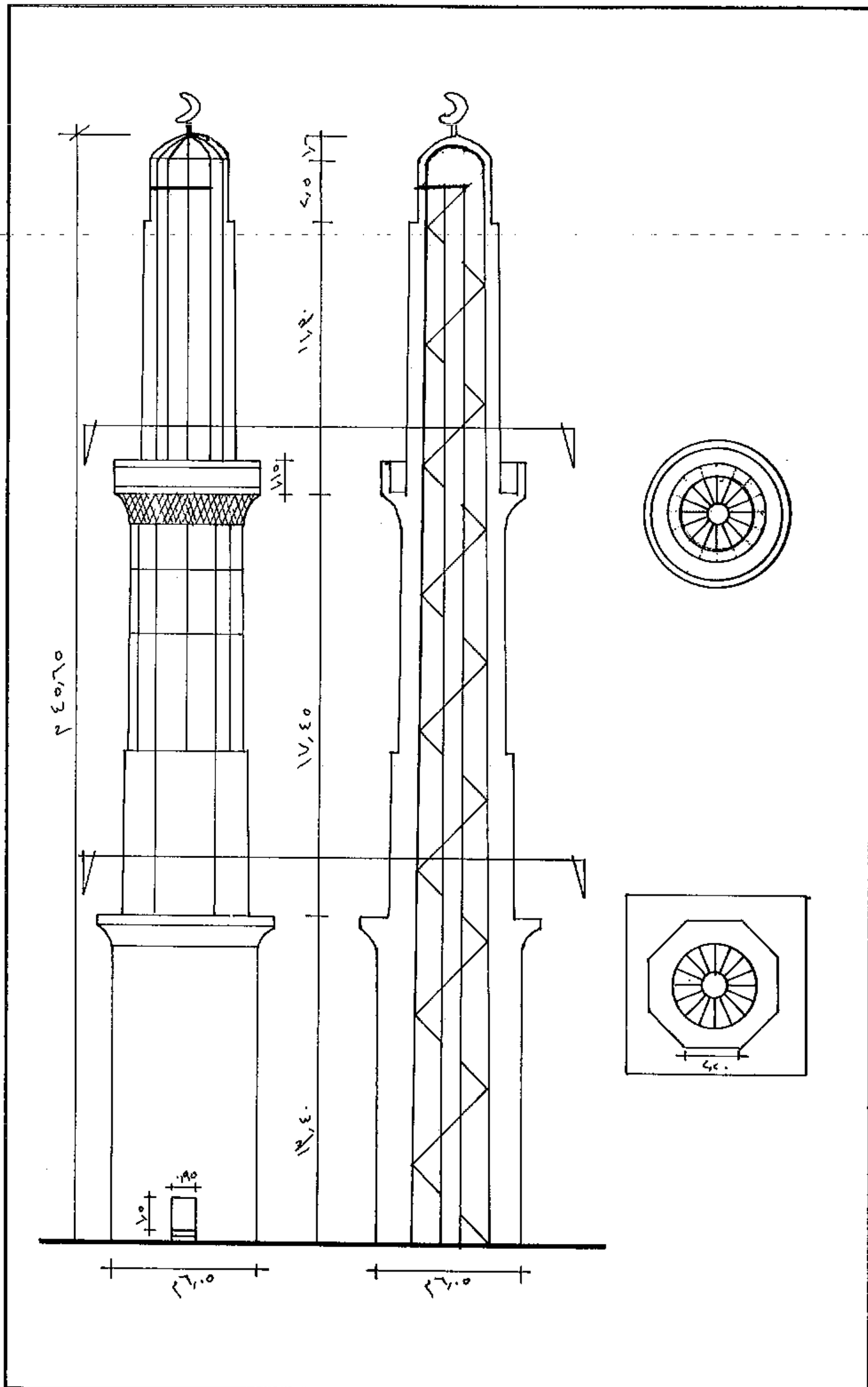
يزيّنها من أعلى بميل معدني يتكوّن من ثلاث جوزات اللوحة (٢٧) شكل (١٤).

هذا ولها قطب يبدأ مع القاعدة بمربّع طول ضلعه ١,١٨ يكون ممرّاً سعته ١,٠٨م ثم يستدير مع البدن ويبلغ محيطه ٣م ويكون وسع الممرّ ٩٥سم والقطب بني عند القاعدة من الحجر بينما أكمل بالآجرّ حيث حملت الدرج على عقود تصل بين القطب وجدار المئذنة وبلغ عدد الدرجات ١٦٢ درجة، ويلاحظ على هذه المئذنة الإجادة في النسب مع علوّها مما جعلها تتميز بالرشاقة والتناسق بين أجزائها.

ب ـ مئذنة مسجد الأبهر ١٥

يعرف قديماً بمسجد بنت الأمير وهو من المساجد العامرة في الجهة الجنوبية (جنوبي) الطريق النافذة من السائلة إلى جامع صنعاء، عمّرته السيدة فاطمة بنت الأمير الأسد بن إبراهيم بن حسين رأس أكراد ذمار في سنة (٧٧٦هـ) وقد زاد فيه المنصور بالله الحسين بن الإمام المتوكل قاسم المتوفى (١١٦١هـ) زيادة نافعة مثل الأصل(١).

(١) الحجري، المصدر السابق ص٥.



شكل [١٤]: مئذنة مسجد موسى/ مقياس الرسم ١ ـ ٢٠٠

وبالنسبة للمئذنة فيشير أحد الباحثين إلى أنها من ضمن الزيادة التي أضافها الإمام المنصور باللّه وقد وصفها بقوله: «والمئذنة عملت على غرار مئذنتي الجامع الكبير إلا أنها أعلى منهما وزيّنت قاعدتها بشريط زخرفي يتكوّن من حنيتين في كل ضلع من أضلاع القاعدة، ولها بدن إسطواني الشكل[(١)].

ولقد منعت من الصعود إليها لدراستها ولذا فقد اعتمد الباحث على الصور التي أخذها لها لوصفها مع مشاهدة رجل يقف بجانبها كمقياس رسم تقدير ارتفاعها وقد قدر ارتفاعها بـ ٢٧,٥م حسبما هو موضّح في الشكل (١٤).

وهي تقع بجوار المدخل الشمالي للمسجد وتبتعد عن بيت الصلاة إذ يوجد ممرّ أمامها يؤدّي إلى زقاق وهذه المئذنة تتكوّن من قاعدة مربّعة بعرض ٥,٤٠م فتح في واجهتها الغربية مدخل يؤدّي إلى سلّمها وبني جزؤها السفلي من الحجر والعلوي من الآجرّ زيّن بزخارف عبارة عن حنية بعقد مدبّب في الوسط مغطّاة بالزخرفة العربية المورقة يطوّقها عقد نصف دائري شكل بحره بزخرفة عربية مورقة أيضاً وزيّنت واجهة العقد بكتابة غير مقروءة نتيجة للتجصيص وبعدها عن مستوى سطح الأرض.

وهذه الحنايا تشبه المحاريب، بينما تنتهي القاعدة من أعلى بمجموعة من حنايا مدببة تشغل هذه الحنايا كل جدرانها الأربعة.

ويعلو القاعدة بدن قسم إلى قسمين الأدنى ذو ١٦ ضلعاً بأضلاع مقعّرة والجزء العلوي إسطواني الشكل تتخلّله فتحات صغيرة لغرض الإضاءة والتهوية، وهذا البدن يشبه بدن مئذنتي الجامع الكبير بصنعاء (٦٠٣هـ) وكذلك مئذنة قبّة المرادية (٩٨٤هـ)، ومئذنة الفليحي (٩٩٤هـ) ومئذنة فروة (٩٩٤هـ).

ويقوم على البدن شرفة تستند على ٩ حطات من المقرنصات المثلّثة الشكل.

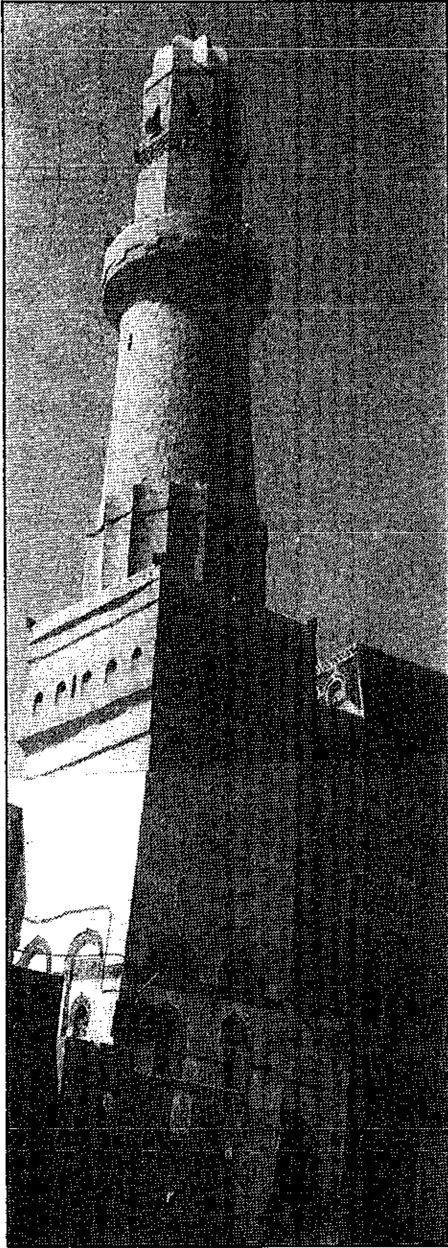
---

(١) Sergeant, opcit, P 370.

ويعلو الشرفة جوسق مثمّن الأضلاع زيّن منتصفه بشريط من الزخرفة الهندسية ينتهي هذا البدن بنوافذ ذات عقد نصف دائري.

ويتوّج المئذنة من أعلى قبّة مضلّعة ذات ثمانية أخاديد يزيّنها من أعلى ميل معدني تكوّن من ثلاث جوزات وتنتهي بحلقة معدنية اللوحة (٢٨) شكل (١٥).

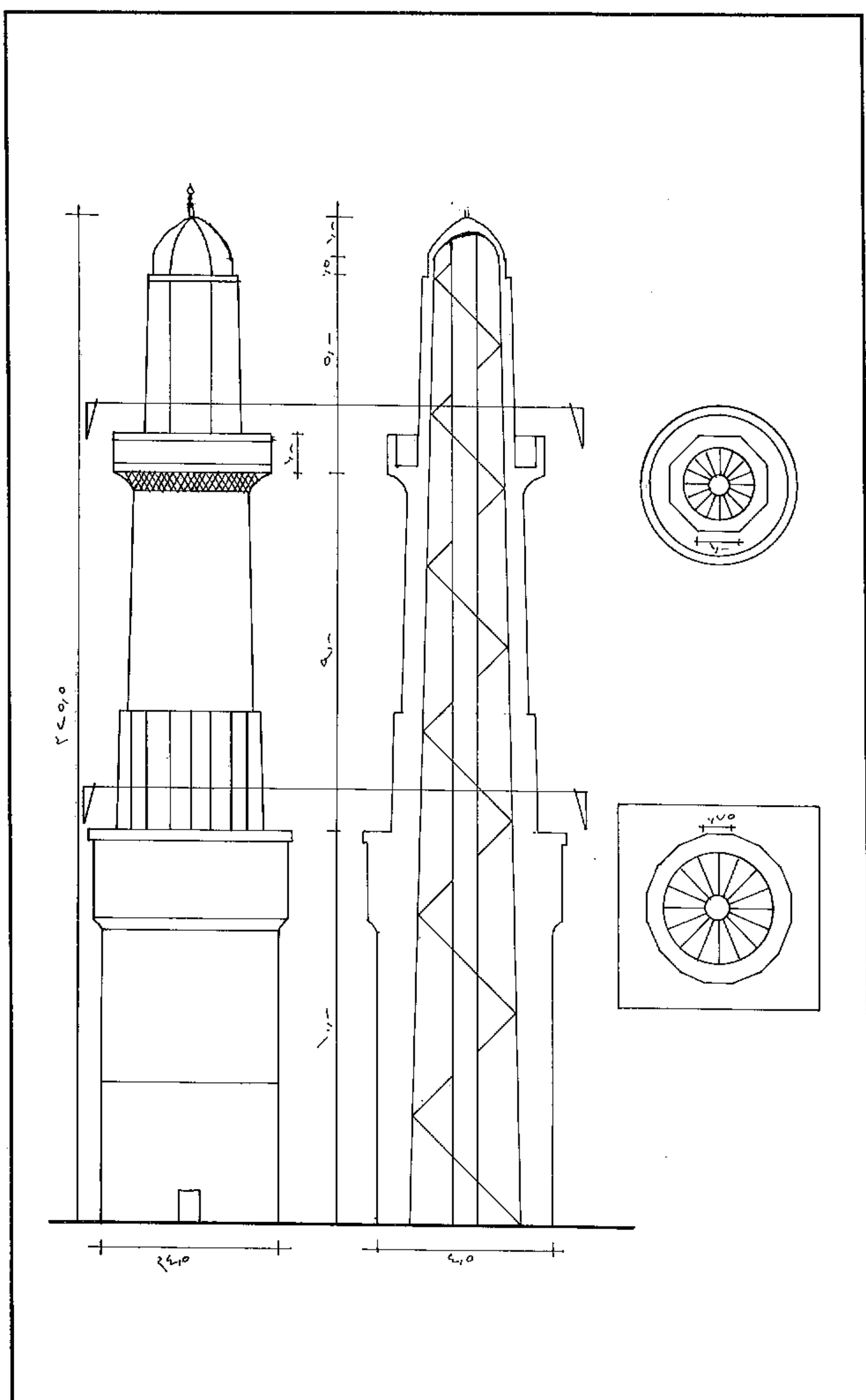
وتعتبر هذه المئذنة من أجمل مآذن صنعاء، وإن خلت من الزخرفة إذ يشاهد فيها التناسق التام بين أجزائها العمارية بالإضافة إلى الرشاقة والجمال الذي تتمتّع به، ولقد سار المعمار في بنائها على نسق مآذن صنعاء في القرن الحادي عشر الهجري مع انتمائها إلى القرن الثاني عشر الهجري الذي يتكوّن من قاعدة مرتفعة مربّعة وبدن مقسم إلى قسمين مضلّع وإسطواني ثم شرفة يعلوها الجوسق المثمّن ثم القبّة المضلّعة ذات التضليعات الكبيرة.



لوحة [٢٨] توضح
مئذنة مسجد الأبهر بمدينة صنعاء

ج ـ مئذنة قبّة المهدي عباس ١٦

يصفها الحجري بقوله: من أحسن المساجد العامرة وأنفسها وأتقنها عمارة حقيقة ومجازية وهي تقع عربي السائلة عدني (جنوب) الطريق النافذة من بستان السلطان، نسبة إلى السلطان سيف الإسلام طغتكين إلى جهة السائلة وعلو صنعاء عمّرها الإمام



شكل [١٥]: مئذنة مسجد الأبهر / مقياس الرسم ١ ـ ١٠٠

المهدي الدين اللّه العباس بن المنصور حسين[١] سنة (١١٦٤هـ)[٢].

وقد أرّخ لها أحد الأدباء بقوله: «تاريخها نادى بها حيّ على خير العمل سنة (١١٦٤هـ)[٣] وجملة نادى بها: حيّ على خير العمل تؤرّخ بحساب الجمل سنة (١١٦٤هـ)، وهي كالتالي:

ن ا د ا ب ه ا ح ي ع ل ا خ ي ر ا ل ع م ل

٥٠ + ١ + ٤ + ١ + ٢ + ٥ + ١ + ٨ + ١٠ + ٧٠ + ٣٠ + ٦٠٠ + ١٠ + ٢٠٠ + ١ + ٣٠ + ٧٠ + ٤٠ + ٣٠ = ١١٦٤.

ويعود تاريخ بناء المئذنة إلى نفس فترة بناء القبّة سنة (١٩٦٤هـ) ويشير أحد الباحثين إلى أن هذه المئذنة تشبه مئذنة القبّة البكيرية[٤] وهذا صحيح حيث نجد أن التشابه بينهما من حيث الشكل العام، وكذلك تتشابه مع مئذنة خضير التي تعود إلى نفس الفترة ومع مئذنة ابن الحسين وهي متأخرة إذ ترجع إلى سنة ١٣٥٥هـ.

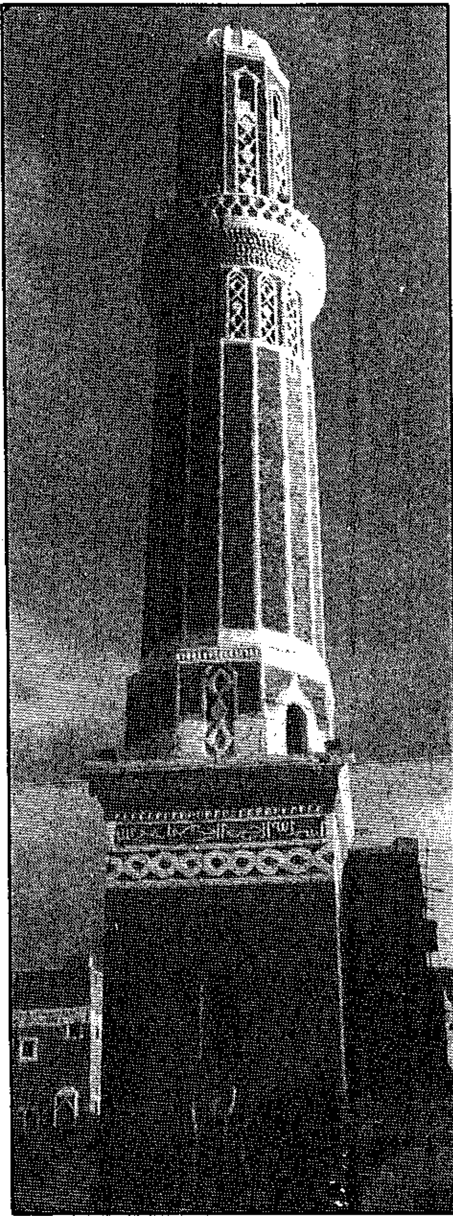
وهذه المئذنة تقع في الركن الجنوبي الغربي للقبّة (بيت الصلاة) يفصل بينهما الصحن وتتكوّن المئذنة من قاعدة مربّعة بطول ضلع ٥,٢١م وبارتفاع ١١,٤٠م يصعد إليها بواسطة درجتين ارتفاع السفلى ٢٠سم والعليا ٣٥سم ويفتح فيها باب إلى الجهة الشرقية بأبعاد ٦٦ × ١,٣٨م بني قسمها السفلي من الحجر زيّنت أضلاعها بحنايا ذات عقود نصف دائرية، أما القسم المبنيّ من الآجرّ فزيّن بشريط من الزخرفة المجدولة يعلوه شريط كتابي عبارة عن البسملة وسورة الإخلاص، ويعلوه صفّ من زخرفة التسنين وتنتهي القاعدة ببروز منشوري مربّع الشكل بأبعاد ٦م.

(١) المهدي لدينا للّه عباس، اسمه عباس ابن الإمام المنصور حسين ولد سنة ١١٣١ هجرية كان قوياً ذكياً بالغ الطموح لقّب نفسه بالمهدي لدين اللّه، العمري، المصدر السابق ص٢٠ ويصفه الشوكاني بالذكاء والفطنة وقوة التدبير وعلو الهمة، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ج١ ص٣١١.

(٢) الحجري، المصدر السابق ص٧٠ والعمري، القبة، الموسوعة ص٧٥٤ والمصدر السابق ص٢٢٩.

(٣) الحجري، المصدر السابق ص٧.

(٤) Sergeant, opcit, P 383.

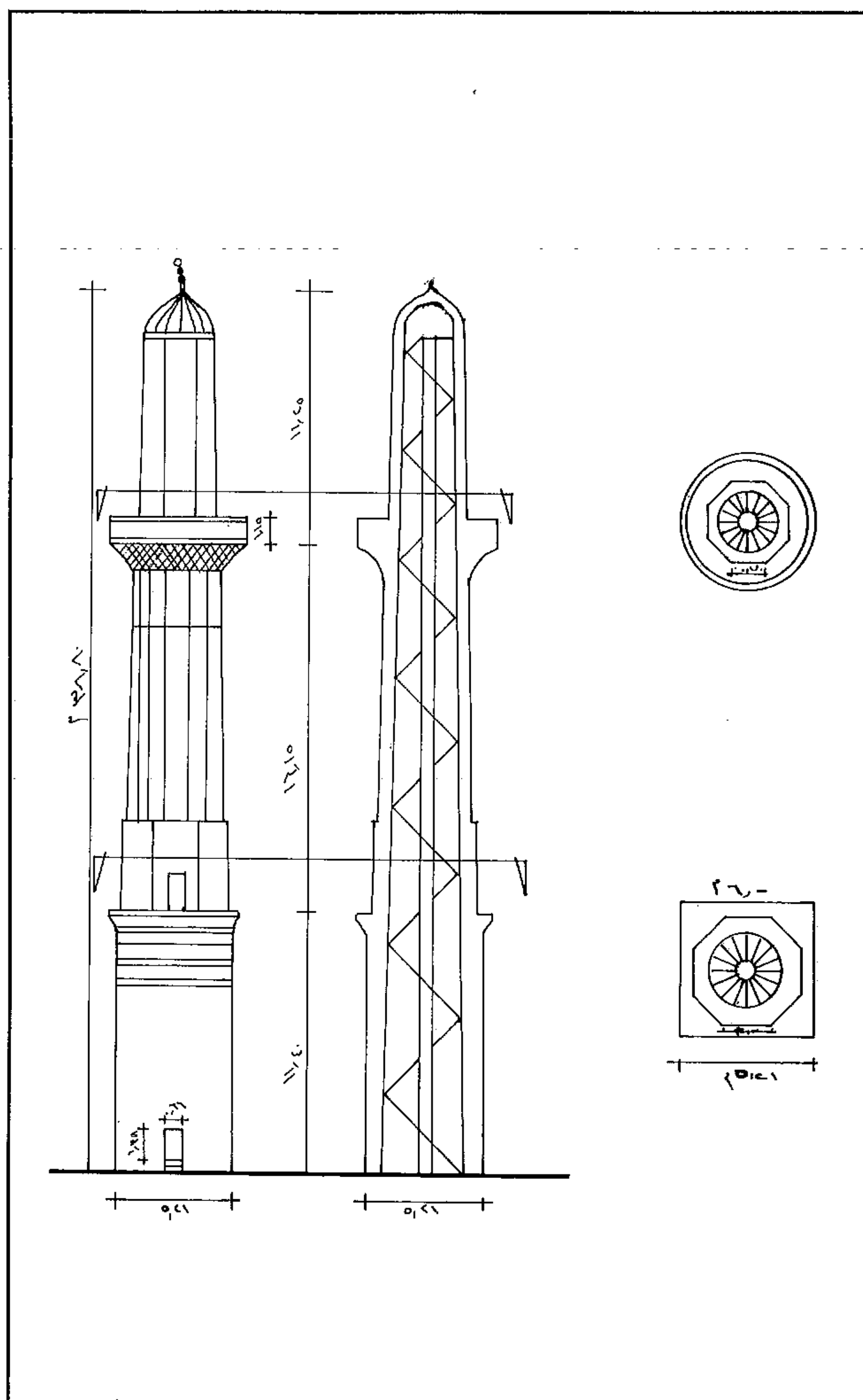


لوحة [٢٩] توضح
مئذنة قبة المهدي عباس بمدينة صنعاء

ويقوم على القاعدة بدن قسم إلى قسمين: الأدنى مثمّن الأضلاع بعرض ٢م فتح في أحد أضلاعه مدخل بأبعاد ٦٥ × ١,٧٠م بينما بقية الأضلاع محلّاة بحنايا ذوات عقود مدبّبة وبمعدل حنية واحدة في كل وجه ويلاحظ أن بواطن الحنايا مزيّنة بوحدات زخرفية معينية، تتألف الوحدة الزخرفية فيها من ثلاثة معينات متصلة، معينان مفرغان ومعين مصمت وينتهي هذا القسم بشريط ضيّق يزيّنه صفّ من زخرفة مسنّنة.

ويتبعه القسم الأعلى وهو بدن شاهق الارتفاع تزيّن وجوه أضلاعه الستة عشر في جزئه العلوي حنايا ذات أطر مستطيلة وعقود مدبّبة بداخلها معينات مصمتة ومفرغة، ويتخلّل البدن نوافذ لغرض الإضاءة والتهوية، ويصل ارتفاع هذا البدن إلى ١٦,١٥م.

الشرفة: تستند على ٩ حطات من المقرنصات المثلّثة وهي مستديرة زيّنت من الخارج بصفّين من زخرفة المعينات يصل بينهما خطوط جصّية ويبلغ محيطها ١٦,٢٠م وكونت حوضاً سعته ٧٥ سم ويرتفع سياجها إلى ١,١٥م بسمك جدار ٢٠سم.



شكل [١٦]: مئذنة قبة المهدي عباس/ مقياس الرسم ١ ــ ٢٠٠

ويعلو الشرفة جوسق مثمّن الأضلاع بعرض ٧٠سم وبارتفاع ١١,٢٥م فتح في أحد أضلاعه باب المؤذّن بأبعاد ٦٥ × ١,٦٠م بينما يزيّن بقية الأضلاع حنايا ذات أطر مستطيلة بعقود نصف دائرية وهي بصفين: القسم الأسفل زيّنت أضلاعه بحنايا بواقع حنية لكل ضلع مستطيلة بعقد مدبّب زيّنت بأشكال مصمتة ومفرغة بالتبادل بينما نشاهد زخرفة النجمة السداسية في كل ضلع.

أما القسم الأعلى ففتحت فيه نوافذ ذات عقود نصف دائرية أطّرت بإطار جصّي من الخارج، مهمة النوافذ الإضاءة والتهوية، بينما يعلو النوافذ شريط من زخرفة التسنين، هذا ويتوّج المئذنة من أعلى بقبّة مضلّعة الشكل ذات ١٦ أخدوداً يزيّنها من أعلى ميل معدني يتكوّن من ثلاث جوزات تنتهي من أعلى بحلقة معدنية، وتعتبر هذه المئذنة من أنماط المآذن الصنعانية، ووصل ارتفاعها إلى ٣٨,٨٠م اللوحة (٢٩) شكل (١٦).

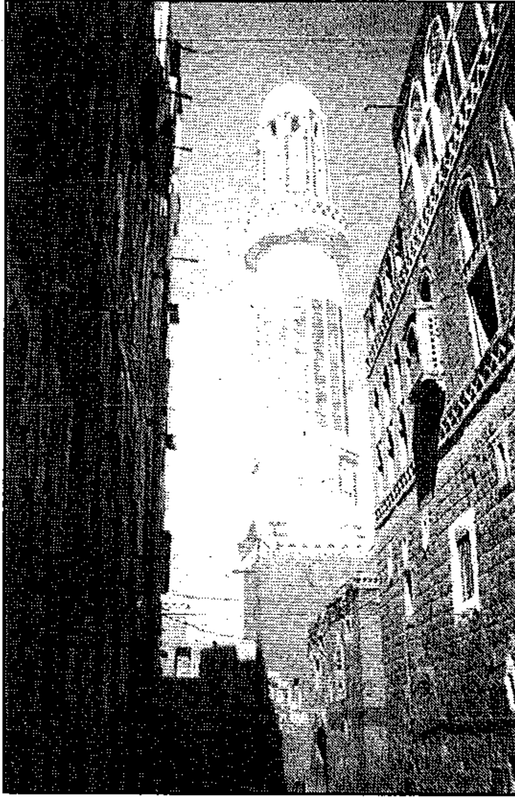
وللمئذنة قطب في الوسط يبدأ من الأرض مع القاعدة مربّع الشكل بطول ضلع ٨٥سم ويكوّن ممرّاً بوسع ٩٠سم وهذا لقطب مبني عند القاعدة من الحجر ثم يستدير بعد ذلك مع البدن فيبلغ محيطه ٣,٥٠م فيكون الممرّ ٨٥سم، ويدور حول القطب السلّم الذي عمل من الآجرّ فوق روابط خشبية تصل بين القطب وجدار المئذنة ويحمل السلّم الذي بلغ عدد درجاته ١٤٨ درجة بمتوسط ارتفاع ٢٠سم للدرجة.

د ـ مئذنة مسجد خضير

ولمئذنة المهدي عباس مئذنة شبيه لها تكاد تطابق معها إلّا في بعض التفاصيل الزخرفية البسيطة وهي مئذنة مسجد خضير الذي يقع في الجهة الشمالية الشرقية بالقرب من باب شعوب شرقي الطريق النافذة، من شعوب إلى جهة الزمر وكان يسمّى مسجد الأخضر وهو قديم العمارة، وقد زاد فيه الإمام المهدي عباس وعمر الصوح والمطاهير والمنارة[١] ومع أنها تتشابه مع

(١) الحجري، مساجد صنعاء ص٩.

مئذنة المهدي عباس فقد اعتمدنا في الدراسة على مئذنة المهدي وللأمانة العلمية أشرنا إليها اللوحة (٣٠).



لوحة [٣٠] توضح مئذنة مسجد خضير بمدينة صنعاء

العناصر المعمارية والزخرفة

المبحث الأول

العناصر المعمارية للمئذنة

للمئذنة عناصر معمارية تتمثل في تلك الأجزاء التي تشكل المئذنة كالآتي:

القاعدة ـ البدن ـ المقرنص ـ الشرفة ـ الحوض ـ المظلة ـ الجوسق ـ القبّة ـ القطب ـ السلّم ـ الميل (الجوزات) وسيتم الحديث عنها متسلسلًا حسب الأهمية المعمارية للمئذنة.

أولًا ـ القاعدة:

هي ذلك البناء الذي يقوم عليه جسم المئذنة، ولا بد أن تكون متناسبة مع الارتفاع حتى تستطيع امتصاص الضغط الناجم عن ثقل الكتلة البنائية لجسم المئذنة على الأرض، كما لا بد أن يكون المعمار قد وضع بحسبانه ذلك الثقل المتنامي عن الارتفاع، فعمد إلى تعميق الأسس نزولًا بها إلى الأراضي الصلدة والعمل على تماسك التربة وشدّها وتوزيع الثقل[1] بحيث تصبح الأساسات قادرة على تحمل البناء، وقد أُشير إلى ذلك عند بناء المئذنة الغربية للجامع الكبير بصنعاء (٦٠٣هـ) «ثم عُمِل أساسها على الصحيح من الأرض وجعل فيها أحجاراً منجورة صحناً وفيه النورة والجصّ طبقة حتى أحكم ثم بنيت بالأحجار قليلًا ثم اطلع بناؤها بالآجرّ والجصّ وفرغ عمارتها إلى قريب من السقف»[2].

وتكاد تكون قواعد المآذن مربّعة الشكل وإن وجدت مضلّعة فهي قليلة تتمثّل في قاعدة المئذنة الغربية للجامع الكبير «بجبلة» (٤٨٠هـ) وهي مثمّنة

---

(١) العاني، المآذن ص١٠٣.

(٢) العرشاني، الاختصاص ذيل تاريخ مدينة صنعاء للرازي ص٥٢١ و٥٢٢.

الشكل ثم قاعدة مئذنة جامع العيدروسي بعدن مثمّنة أيضاً (٨٩٠هـ)، ثم نجد قاعدة إسطوانية واحدة وهي في جامع الجند التي ترجع إلى زمن السلطان عامر بن عبد الوهاب (ت ٨٢٣هـ) ولذلك فهي متفرّدة بالشكل الإسطواني.

أما مآذن صنعاء فجميعها ذات قواعد مربّعة، بنيت على الصحيح من الأرض بالأحجار المنجورة والنورة والجصّ طبقة طبقة حتى أحكم وقد عمد المعمار إلى أن يبني نصفها السفلي من الحجر ونصفها العلوي وبقية أجزاء المئذنة من الآجرّ، وذلك لما يتمتّع به الآجرّ من الخفّة في الوزن، بينما الحجارة استخدمت في القواعد لثقلها، ولذا فقد استخدمت فيها أحجار بازلتية فقاعية سوداء (الحبش).

كما نجد أن هناك بعض القواعد بنيت كلها من الحجارة كقاعدة مئذنة طلحة ١٠٢٩، المهدي عباس (١١٦٤هـ) خضير (١١٦٤هـ)، وقد انفردت مئذنة طلحة حيث بنيت بطريقة الأبلق وذلك بعمل مدماك من الحجارة السوداء وآخر من الحجارة الصفراء وهو نوع من العمارة شاع في اليمن قبل الإسلام ولكن بطريقة اختلفت بعض الشيء حيث بُني أحد الأوجه للمبنى بلون مغاير للأوجه الأخرى كقصر عمدان فكانت كل واجهة بلون معين من الحجر كالأبيض والأسود والأخضر والأحمر[1].

بينما نجد أن الأبلق وجد في سوريا في قصر داخل القلعة ثم في قصر الأبلق الذي أنشأه الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧١٤هـ)[2].

وقد عمد المعمار اليمني في صنعاء إلى تزيين القاعدة وخاصة بالحنايا والزخرفة المجدولة ثم أنهى القاعدة ببروز منشوري يكون أعرض من جسم القاعدة حتى يكون مجالاً حول بدن المئذنة، وأما عن الشكل المربّع للمئذنة فقد أشار مؤرّخ يمني إلى أنه في سنة (٢٩هـ) أمر عثمان بن عفان رضي اللّه عنه ببناء المنارات للأذان في مسجد الرسول وكانت مربّعة الشكل[3].

---

(١) الحداد، عبد الرحمن ـ صنعاء القديمة، المضامين التاريخية والحضارية، مؤسسة العفيف ١٩٩٢ ص٥٤ والهمداني، الإكليل ج٨ ص٢٤.

(٢) الباور، طلعت رشاد ـ العمارة الإسلامية في مصر ص٤٥٧.

(٣) ابن الحسين، غاية ج١ ص٨٨.

مما يدلّ على أن القواعد الأولى للمآذن في اليمن كانت مربّعة الشكل وليس أصلها بلاد الشام[١]. وربما كان تقليداً لأبراج المراقبة المنتشرة في الجزيرة العربية ثم جسّدت هذه الأبراج في بلاد الشام في كنائسها ومعابدها وبعد أن حوّل معبدها إلى المسجد الأموي أصبحت ذات أشكال مربّعة ثم انتقلت إلى بلاد المغرب فتجسّدت في مئذنة سيدي عقبة في القيروان التي ترجع إلى سنة (١٠٥هـ).

وقد اعتمد المعمار العراقي التربيع في قواعد مآذنه إلا أنه تعدّاه إلى التضليع في بعض الأحيان وعلى ما يبدو أن القاعدة المربّعة أخذت طريقها من منارة موجدة وملوية سامراء وأبي دلف[٢].

وفي مصر اعتمدت القاعدة المربّعة في مآذنها ونجد أقدم مثل لذلك يرجع إلى العصر الفاطمي سنة (٣٨٠هـ) في مئذنتي الحاكم، وفي زمن الأيوبيين الذين حكموا اليمن فيما بين (٥٦٩ ـ ٦٢٦هـ) أنشأ وردسار مئذنتي جامع صنعاء وبنى قواعدهما مربّعة وأشار إلى ذلك المؤرّخ العرشاني بقوله: «إن وردسار قد شاهد لا شك في الشام جنسها»[٣] مما يوحي أن هناك بعضاً من الاقتباسات المعمارية. حيث لم يحدّد العرشاني كيف كان جنس المئذنة في الشام.

وقد اعتمد المعمار في صنعاء القاعدة المربّعة في جميع المآذن، وقد أشار «بتلر» إلى أن المآذن التي يتعاقب فيها الطابق المربّع فالمثمّن فالمستدير هي أندر أنواع المآذن وأول مئذنة تمثّل هذه الظاهرة هي مئذنة سلار وسنجر الجاولي في مصر التي لم تبن قبل عام (٧٠٣هـ)[٤].

البدن:

تعدّدت أنواع الأبدان وتنوّعت أشكالها واختلفت الآراء في أصلها ونسبتها، فقد قيل في البدن المربّع أنه انتقل من بلاد الشام إلى المغرب العربي متمثّلًا في مئذنة القيروان ومن ثم كانت مصر خير مثل له وخاصة في مئذنتي الحاكم في العصر الفاطمي.

---

(١) ابن الحسين، غاية ج١ ص٨١.
(٢) العاني، المآذن ص١٥٨.
(٣) العرشاني، المصدر السابق ص٥٢١.
(٤) بتلر، المصدر السابق ص٣٤٥ وسالم المآذن ص٨.

وبالنسبة للأبدان الإسطوانية فقد كان العراق هو رائد هذا الطراز ومنه انتشر إلى شرق العالم الإسلامي كفارس وآسيا الصغرى والهند، ويبدو أن المعمار العراقي أُغرم بهذا الشكل وذلك لما شاهده في الأبراج الدفاعية السائدة الصلدة والمجوفة[١] ويبدو أنه أخذ طريقه بعد ذلك من منارة موجدة وأبراج الدفاع ثم انتقل التأثير العراقي إلى بلاد المغرب حيث يشاهد في مئذنة مسجد مدينة القصر القديم القريبة من القيروان والتي اختطّها إبراهيم بن الأغلب سنة (١٨٤هـ) واحتوى مسجدها على صومعة مستديرة[٢] وفي رباط سوسة اعتمدت الأبراج الإسطوانية كما احتوى رباط المنستير على منار إسطواني الشكل يقوم على برج مربّع[٣].

أما مآذن الصعيد فهي ذات صلة بمآذن العراق وهي ذات قاعدة مربّعة وبدن إسطواني وهذه المآذن ترجع إلى القرن (٣هـ ٩م) متمثّلًا في مئذنة الطابية والمشهد البحري[٤].

وأبدان مآذننا في اليمن اختلفت وتميّزت عن تلك الأنواع من أبدان مآذن العراق وبلاد الشام فقد اتخذت أبدان المآذن في اليمن عامة وصنعاء خاصة أنواعاً مختلفة، فمنها البدن المثمّن والذي نشاهده في مآذن كل من الجامع الكبير بزبيد (٥٨٢هـ) والجامع المظفري بالمهجم (٦٤٧ ـ ٦٩٤هـ) ومئذنتي الأشرفية (٨٠٠هـ) ومئذنة جامع الجند (٨٢٣هـ) وجامع جبن (٨٥٨ ـ ٨٨٣هـ) ومئذنة جامع العيدروس (٨٩٠هـ) وفي صنعاء اتّخذ الشكل المثمّن في مئذنة جناح والمذّهب والتي ترجع إلى فترة الوجود العثماني الأول.

وقد نجد أن هناك تشابهاً كبيراً بين بعض مآذن اليمن ومآذن العراق متمثلًا في مئذنة جامع جبن والجامع الكبير بزبيد وجامع المهجم ومئذنة عنه بالعراق وذلك من حيث الشكل والزخرفة والإفراط في الاستخدام الكبير للحنايا.

أما البدن الإسطواني فإن شيوعه في اليمن قليل فنشاهده في أجزاء من بدن المئذنة الغربية في جامع جبلة (٤٨٠هـ) غير أن أجمل تجسيد لهذا

---

(١) شافعي، المصدر السابق ج١ ص١٧٠ والعاني، المآذن ص١٦٤.
(٢) التلمساني، أحمد ـ المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص٢٨.
(٣) العميد، طاهر ـ آثار المغرب والأندلس ص١٣٤.
(٤) شافعي، المصدر السابق ج١ ص٦٤٧.

البدن نشاهده في مئذنتي الجامع الكبير بصنعاء (٦٠٣هـ) ثم في مئذنة المدرسة وعقيل والفليحي وفروة والمرادية وصلاح الدين والأبهر وطلحة.

إن استخدام الأبدان ذات الأضلاع المتعدّدة تكاد صنعاء تنفرد بها حيث ظهرت بأعداد وأشكال كثيرة وإن وجد قبل مآذن صنعاء فقليل وتمثله المئذنة الشرقية لجامع جبلة وهي ترجع إلى سنة (٧٤٧هـ) وفي صنعاء نشاهد هذا النوع في مئذنة الزمر (٩٥٦ ـ ٩٦٣هـ) ـ والبكيرية ١٠٠٥ وموسى والمهدي وخضير، وقد تميزت مآذن صنعاء عن غيرها من مآذن العالم الإسلامي وذلك بأن قسّم المعمار البدن إلى قسمين الأدنى غلب عليه الشكل المثمّن يعلوه إما شكل إسطواني أو متعدّد الأضلاع وقد انفردت مئذنة الأبهر بأن الجزء الأدنى من البدن ذو ١٦ ضلعاً مقعّراً يتبعه شكل إسطواني وتخلّل الأبدان نوافذ صغيرة لغرض الإضاءة والتهوية وهي تشبه المزاغل الحربية تضيق من الخارج وتتّسع من الداخل وقد وجدت هذه المزاغل في اليمن على البوابات وأبراج الأسوار في عصور ما قبل الإسلام كما في بوابة براقش، وفي العصر الإسلامي يتمثل في حصن الأخيضر بالعراق وباب زويلة وباب النصر والفتوح بالقاهرة.

المقرنص:

من الخصائص البنائية والزخرفية التي انتشرت في العمارة العربية الإسلامية هو استخدام المقرنص في الأبنية.

والمقرنصات وسيلة تتبع في تحويل المربّع إلى دائرة في بناء القباب حيث كانت جزءاً مهماً في تشييد القباب في الأبنية الدينية وتشارك معظم العمائر العربية الإسلامية في تقديم نماذج من المقرنصات حيث شكّلت أساساً مشتركاً لما بلغه الفن المعماري من ازدهار وخاصة في العصر العباسي في العراق والمغرب وفي مصر[١].

إن نشأة المقرنص قد بدأ معمارياً ومن ثم تطوّر مع مرور الزمن حيث لم يقتصر استخدامه للأغراض المعمارية فقط بل استخدم وبشكل واسع لأغراض زخرفية، وقد أدّت دوراً مهماً في زخرفة العمائر الإسلامية حيث لا يكاد يخلو أي بناء إسلامي منها سواء في واجهاته الخارجية أم الداخلية

(١) الياور، طلعت ـ المقرنص في العمارة العربية الإسلامية، بحث غير منشور ص١.

وسواء كانت تستعمل كعنصر زخرفي بحت أم تجمع بين الفائدة المعمارية والغرض الزخرفي معاً.

إن المقرنصات لم تستخدم فقط في الأركان المربّعة للقبّة وإنما ظهرت في المآذن ذات البدن الإسطواني وغيره حيث ترتفع شرفاتها فوق صفوف من المقرنصات حيث رتبت في نظام زخرفي قوامه التكرار والتدرج كما أنها استخدمت في تزيين فتحات الأبواب والنوافذ وتزيين العقود[١].

والمقرنصات في الأصل نوعان:

١ ـ النوع الأول المثلثات الكروية التي يرجع الفضل في ابتكارها وإنضاجها للعرب الشاميين منذ القرن الرابع الميلادي[٢].

٢ ـ النوع الثاني وهو حنية في الأركان عبارة عن أنصاف قباب كامنة في أركان المربّع حيث كان للعرب العراقيين الفضل في ابتكار هذا النوع من المقرنصات[٣].

ويشير أحد الباحثين إلى أن الكلمة مأخوذة من الكلمة العربية مقرفص أي جالس القرفصاء[٤] وهو ظاهرة عمارية عرفتها العمارة الساسانية قبل الإسلام وهي على شكل حنايا ركنية وأقدم حنية ركنية هي التي تظهر في القصر المنسوب لارد بشير الأول بفيروزآباد[٥].

وأما أقدم أمثلة الحنايا الركنية في العمارة الإسلامية فهي في قصر الأخيضر الذي يعود إلى النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة يعقب هذه الحنية مقرنصات قصر المعتصم (٢٢١هـ) في باب العامة الذي اتّخذ شكلًا عربياً إسلامياً خالصاً وذلك من ناحية تجويفها نصف المستدير وطاقيتها التي على هيئة نصف قبّة مدبّبة[٦]، ثم ظهرت في المغرب العربي في محراب القيروان[٧] الذي يرجّح أن بُناته عراقيون خاصة المحراب الذي زُيّن بالقرميد

---

(١) شافعي، المصدر السابق ج١ ص١٤٣.
(٢) الياور، طلعت، نفسه ص١١ وحيدر، كامل المقرنص في العمارة العراقية ص١٤٣.
(٣) شافعي، المصدر السابق ج١ ص١٠٠.
(٤) مرزوق، محمد عبد العزيز ـ الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه ص١٨٥.
(٥) العاني، المشاهد ص١٢٧ و١٢٨.
(٦) شافعي، المصدر السابق ج١ ص١٤٣.
(٧) فكري، المسجد لجامع القيروان ص١٠٢.

المجلوب من العراق، ثم ظهر أول مرة بصفّين متتابعين في حمّام إحدى بيوت سامراء[1] ونتيجة لانتشار تأثير سامراء إلى أقطار العالم الإسلامي وخاصة مصر نجد أن تأثير سامراء غلب على أكثر النواحي العمارية والفنية.

أما إذا ألقينا نظرة على مآذن اليمن فنجد هناك ثلاثة أشكال للمقرنص:

الشكل الأول: وهو عبارة عن حنية ذات عقد نصف دائري تطول فيه رجل العقد واتّخذ صفاً واحداً في كل من مئذنة جامع جبلة الغربية (٤٨٠هـ) ومئذنة جامع إب (٦٨٥هـ) بينما نجد صفوف هذا الشكل من المقرنصات تزداد في مئذنة جامع الجند بحيث أصبحت ثلاثة صفوف بدأت من الأسفل بصف ذي حنية كبيرة يعلوه صف كثرت فيه الحنايا ثم الصف الأعلى أكثر من البقية وهذه المقرنصات تتشابه جميعها في الحنية واستطالة رجل العقد وإن صغرت الحنية.

وقد جمعت هذه المقرنصات بين الفائدة العمارية لإقامة الشرفة والغرض الزخرفي ونجد تشابهاً لهذه المقرنصات مع بعض مآذن العراق كمئذنة الخفافين (٥٨٠هـ) ومئذنة جامع الخلفاء (٦٧٨هـ) ومئذنة الأصفية (١٢٤٢هـ) وإن وجدت اختلافات فبسيطة.

الشكل الثاني: اتّخذ المقرنص شكل التسنين بحيث اتّخذ شكل مثلّث يتكوّن من صفّ واحد وقد غلب هذا الشكل من القرنص على مآذن بني رسول فقد وجد في مئذنة المظفرية بتعز، والتي سقطت عام ١٩٦٢م ويشاهد في مئذنتي المدرسة الأشرفية بتعز، وكذا في عصر بني طاهر في مئذنة المدرسة المنصورية بجبن ويمكن أن نعتبرها سمة عمارية لمآذن بني رسول الذين ساروا على هداهم بنو طاهر من بعدهم.

الشكل الثالث: وقد اتّخذ شكل المثلّثات المشكلة بواسطة قطع الآجرّ وخير ما يمثل هذا الشكل من المقرنصات مآذن مدينة صنعاء وقد عمد المعمار فيها إلى تكثيف حطّات المقرنصات بحيث اتّخذت شكل المعينات وذلك نتيجة لتلاعب المعمار في عمل المقرنصات فتعدّدت حطاته حتى أصبحت في بعض المآذن تربو على عشر حطات حتى غدت تجمع بين الفائدة العمارية بإقامة الشرفة فوقها والغرض الجمالي بحيث أصبحت عنصراً

(١) القاضي، صباح ـ بيوت سامراء في ضوء التنقيبات الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب ـ بغداد ١٩٨٨ ص٢٩.

جمالياً أضيف إلى جمال المئذنة وقد شذّ عن ذلك المئذنة الغربية لجامع صنعاء الكبير وذلك أن شرفتها لا تقوم على مقرنصات وإنما أُقيمت على كوابيل خشبية ساندة(١).

الشرفة/ الحوض = الدوار.

هي ذلك البروز الناتج عن تعدّد حطات المقرنصات ويكون حوضاً لكي يستطيع الوقوف فيه المؤذّن لأداء الأذان، وتُسمى في العراق حوضاً(٢) وفي صنعاء اليمن يسمّونها بالدائر لأنه يدور حول بدن المئذنة، وعرف أيضاً «بالدوار» دائرة المئذنة(٣) كما سمّي بالمطاف مطاف المؤذّن(٤) استناداً إلى الطواف حول الكعبة وهو الدوران. وتلك التسميات ترجع إلى أن المؤذّن عندما يرفع الأذان لا بد أن يدور حول الجوسق حتى يصل صوته إلى كل الجهات المحيطة بالمئذنة.

وقد أطلق عليه أحد المؤرّخين اليمنيين اسم الدرابزين فيشير عند حديثه عن بناء مئذنتي جامع صنعاء حتى إذا وصلت العمارة إلى موضع الدرابزين فأمر ـ أي علم الدين وردسار ـ بعمل الدرابزين فيها من ألواح جيدة حسنة مزرقة وسمّرت بالمسامير البليغة الغليظة وجعل الدرابزين من الساج وسمّرت بالمسامير وأحكمت صنعته(٥) ولفظة شرفة نجدها شائعة في مصر واليمن.

أما بالنسبة لشكلها فنجد أن شكلها قد سار على غرار شكل البدن في بعض الأحيان وشذّ البعض الآخر عن ذلك وهو ما يمثّل في مآذن الزمر ذات الشرفة المضلّعة وينتهي هذا التضليع ببروز إلى الأعلى والشرفة في المئذنة الغربية للجامع الكبير بصنعاء مثمّنة الشكل معمولة من الخشب بينما البدن إسطواني الشكل، وقد خرجت الشرفة عن سمت البدن لكي تترك مجالاً لحركة المؤذّن.

وبالنسبة لزخارف واجهة الشرفة فقد نفذت على غرار زخرفة البدن وإن اختلفت في بعض التفاصيل البسيطة إلا أنه لم يخرج الفنان عن النسق المعروف في زخرفة البدن.

---

(١) انظر مئذنة الجامع الكبير بصنعاء الغربية.
(٢) العاني، المآذن ص١١٦.
(٣) ابن منظور، ، المصدر السابق م٩ ص١٧٠.
(٤) أصلان، أقطاي، فنون الترك وعمائرهم، أستانبول ١٩٨٧ ص١٥٠.
(٥) العرشاني، المصدر السابق ص٥٢٠.

وغلب عليها الزخرفة الهندسية التي شكلت معينات متّصلة بخطوط صغيرة.

هذا وقد اعتمدت مآذننا في اليمن الشرفة الواحدة وإن شذّت عنها مئذنة جامع العيدروس بأن عمل لها ثلاث شرفات من الخشب وهذه الشرفات تتشابه مع شرفات كل من مئذنة أبي الغضنفر (٥٥٣هـ) والجيوشي[١] والصالح نجم الدين (٦٩٨هـ)[٢].

وفي صنعاء اعتمدت المئذنة ذات الشرفة الواحدة وعمد العمّار إلى تغطية سياجها بمادة القضاض التي لا تسمح بدخول الماء إلى أجزاء المبنى، كما عمد إلى عمل ميازيب لتصريف مياه الأمطار إلى خارج المئذنة.

الظلّة:

خلت جميع مآذننا إلّا ما ندر فنشاهد في أنحاء اليمن مئذنتين تحملان ظلّات وهما مئذنة الجامع الكبير بإب (٦٨٥هـ)، ومئذنة جامع العيدروسي بعدن (٨٢٣هـ)، ويُعزى السبب في ذلك إلى مناخ اليمن المعتدل صيفاً وشتاءً، مما دعا المعمار اليمني إلى عدم استخدام الظلّات.

وبالنسبة إلى المآذن التي اعتمدت الظلّات، فقد استخدم فيها الخشب في عمل الظلّات وذلك للكيفية التي يتمتّع بها الخشب من خاصية التشكيل.

ونجد أن أقدم ظهور الظلّات غير معروف تاريخياً إذ يبدو أن بلاد الشام أول من استخدم الظلّات في المآذن، إذ يشير إلى ذلك ابن كثير، عند حديثه عن احتراق مئذنة جامع دمشق الأموي فيقول: ثم احترقت أعلى هذه المنارة وجُدّدت وكان أعلاها من الخشب فبنيت بالحجار، في آخر سنة سبعين وسبعمائة فصارت كلها مبنية من الحجارة[٣].

وفي العراق استخدمت الظلّات وخاصة في العتبات المقدّسة، فيرى أحد الباحثين أن هذا النوع في العراق يعطي انطباعاً بانتقالها من إيران أثناء الاحتلال الصفوي للعراق وتبعيّته لإيران[٤].

---

(١) فكري، المصدر السابق ج١ ص٣٧. (٢) فكري، المصدر السابق ج٢ ص٦٦.
(٣) ابن كثير، البداية والنهاية ج٩ ص١٥٠ وج١٣ ص١٧٥.
(٤) العاني، المآذن ص١٢٣.

ويذكر ابن الجوزي «أنه وقع حريق في سوق النجّارين بباب الشام فاحترقت السوق بأهلها ووقعت شرارة في منارة الجامع بالمدينة»[(١)] والمقصود بجامع المدينة جامع المنصور بمدينة السلام وربما كانت هذه المئذنة هي التي احترقت سنة (٣٠٣هـ) وكان لها ظلّة من الخشب[(٢)].

وقد يضفى المعدن على الظلّة، ثم انتقلت الظلّات سواء من الشام أو العراق إلى بقية الأقاليم التي اعتمدت في مآذنها ظلّات ومنها اليمن.

ونجد أن أول مئذنة في اليمن اتّخذت ظلّة هي مئذنة الجامع الكبير بإب (٦٥٨هـ)، وأما مئذنة جامع العيدروس فاختلفت فيه نوع الظلّة إذ عملت نوافذ حجبت بمشربيات (شناشيل) خشبية غير أننا لم نجد بعد ذلك ولا قبل ذلك مئذنة في اليمن لها ظلّة ومنها مآذننا في صنعاء، ويعود سبب ذلك إلى اعتدال جو اليمن ومناخه صيفاً وشتاءً كما لم نجد إشارة تاريخية تتحدث عن ذلك.

الجوسق (الفحل):

يعتبر الجوسق امتداداً طبيعياً للبدن ولكن نشاهد أن قطره يقلّ دائماً عن البدن وفيه يفتح باب المؤذّن، واتّخذ تقريباً من حيث الشكل المعماري والزخرفي نمط البدن، فقد اتّخذ الجوسق في مآذننا أشكالاً متعدّدة حيث نجد ومن خلال الأثر الشاخص للمئذنة الغربية للجامع الكبير (٦٠٣هـ) إشارة تاريخية تقول: «وعمل باقيها مسدّساً[(٣)] وفي المئذنة الشرقية مثمّن» كما أشارت إلى ذلك الإشارة التاريخية التي تقول: ثم بنيت المنارة من الدرابزين إلى موضع القبّة مثمّنة[(٤)]، ونشاهد الشكل المثمن في جوسق مئذنة المدرسة (٩٤١هـ) وعقيل (٩٦٧هـ) والمرادية (٩٨٤)، والفليحي (٩٩٤هـ) وصلاح الدين (١٠٠٣هـ) والأبهر (١١٦١هـ) والمهدي عباس (١١٦٤هـ).

ثم نجد مئذنة جوسقها ذو عشرة أضلاع وهذه الأضلاع مقعّرة وهي مئذنة العلمي التي ترجع إلى القرن (١١هـ).

ثم اتّخذ المعمار جوسقاً آخر ذا ١٦ ضلعاً وهو ما نشاهده في مآذن

(١) ابن الجوزي، المنتظم ج٦ ص١٣٠.
(٢) العاني، المآذن ص١٢٢.
(٣) العرشاني، المصدر السابق ص٥٢٢.
(٤) العرشاني، المصدر السابق ص٥٢١.

كل من الزمر (٩٥٦ ـ ٩٦٣هـ) والبكيرية (١٠٠٥هـ) وطلحة (١٠٢٩هـ) وموسى (١١٦١هـ).

وإذا ألقينا نظرة عامة على مآذن اليمن وجدناها لا تخرج عن ذلك النسق لجواسق مآذن صنعاء مما يوحي لنا بأن المعمار اليمني سار على هدى واحد في البناء وإن اختلفت الظروف البيئية في مناطق اليمن فمثلًا نشاهد في جبلة الجوسق مثمّن الأضلاع كذلك في جوسق مئذنة جامع زبيد أما مآذن صنعاء فتميّزت من غيرها من المآذن اليمنية إذ أصبح الجوسق أحياناً ذا ١٦ ضلعاً وأصبح بذلك ميزة عمارية لمآذن صنعاء إلى جانب تزيّنه بالزخارف الهندسية التي غلب عليها المعين وزخرفة الحنايا.

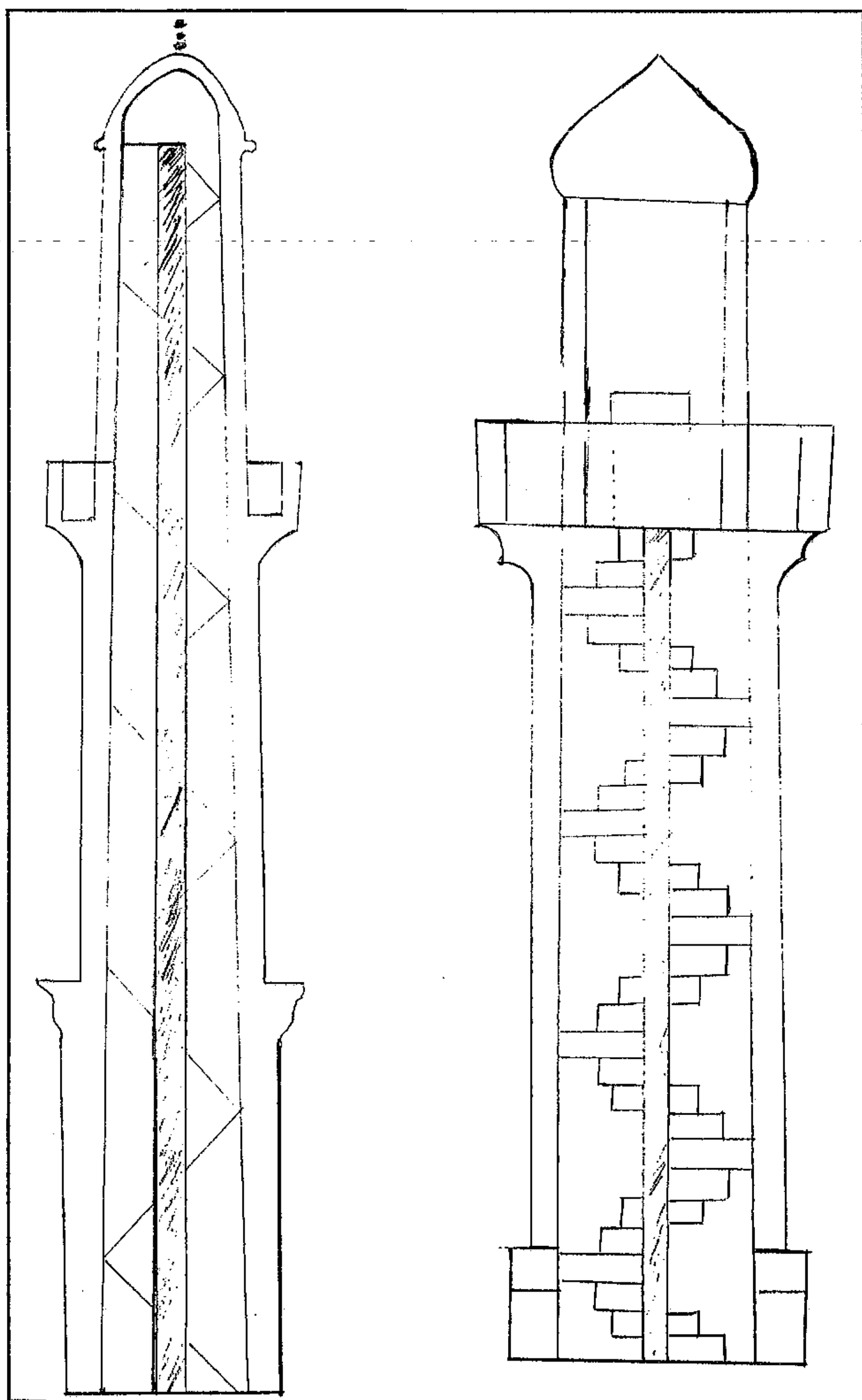
وبذلك تختلف عن مآذن العراق ومصر ففي العراق جعل الجوسق إسطوانياً ولا يصعد إليه اللّب إلا ما ندر أي يتوقف اللّب عند أرضية الحوص[1]، بينما في صنعاء يستمر اللّب في جميع مآذنها حتى يقترب من رقبة القبّة، وقد قصر ارتفاع الجوسق في العراق بينما طال في صنعاء حتى وصل في بعض المآذن إلى ١٢م، كما في الشكل التوضيحي لكل من مئذنة النعمانية في العراق ومئذنة طلحة في صنعاء شكل رقم (١٧)، هذا وتنتهي جميع الجواسق في مآذننا بنوافذ في كل ضلع سواء المثمّن منها أو ذي ١٦ ضلعاً، ففي المثمّن فتح نافذة في كل ضلع، أما في الستة عشر ضلعاً فنجد نافذة مفرغة وأخرى مصمتة بالتبادل وعقدت هذه النوافذ بنوعين من العقود المدبّبة والنصف الدائرية وقد أشرنا إلى ذلك عند الحديث عن كل مئذنة. وأما إذا ألقينا نظرة على جواسق مآذن مصر فقد جاد فيها المعمار واتخذ شكل الأعمدة التي تحمل القبّة وهو ما لا نلاحظه في مآذن اليمن والعراق وهو ابتكار المعمار العربي في مصر في العصر المملوكي إذ أقام الجوسق على أعمدة وهو النوع الذي ظهر في مئذنة المارداني (٧٣٩هـ) والسلطان حسن (٧٦٤هـ)[2] وربما كان هذا الجوسق هو تطوير لجوسق ملوية سامراء إذ تشاهد فيها الأعمدة تكتنف النوافذ[3].

---

(١) العاني، المآذن ص١٢٠.

(٢) سالم، المآذن ص٢٦.

(٣) سليمان، وآخرون، المصدر السابق (لوح ١٥) مئذنة جامع المتوكل.



شكل [١٧]: قطاع عمودي لمئذنتي النعمانية بالعراق وطلحة بصنعاء

(القباب):

تعتبر القبّة من العناصر المعمارية التي عرفها الإنسان منذ فتراته الأولى، ونظراً لوجود نماذج قديمة في أماكن متباعدة فإن من الصعوبة بمكان التعرّف على كيفية ظهورها[١] ويعزى ابتكارها إلى العراقيين القدماء لأن هناك عوامل طبيعية وبيئية تحكّمت في أساليب البناء نتيجة لندرة المواد الإنشائية المهمة كالحجر والخشب والمعدن[٢] لذا اتجه المعمار العراقي إلى استخدام الطين فعمد إلى ابتكار فنون عمارية جديدة في التسقيف وذلك باستخدام القباب والأقبية[٣] ويسمّى هذا التسقيف بالأزج[٤] واستخدم المعمار المسلم القبّة في مبانيه واقتبس ذلك ممن سبقه من ذوي الحضارات القديمة في الشرق غير أنه طوّر تلك القبّة ولم يقف عند الشكل الذي اقتبسه بالقبّة نصف الكروية التي ورثها عن أسلافه فقد طوّرها بحيث أحدث القبّة المضلّعة.

أما في اليمن فلم نجد لها دليلًا أثرياً يرجعها إلى ما قبل الإسلام إذ أن المعمار اليمني القديم سقف مبانيه بالخشب والحجر وهاتان المادتان متوفّرتان في اليمن.

وفي العصور الإسلامية الأولى سار المعمار اليمني أيضاً على هدى أسلافه فسقف بالمواد المتوفرة دون الاتجاه إلى القبّة غير أننا نشاهد أن هناك بقايا قبّة أعلى بلاطة المحراب في الجامع الكبير بصنعاء والذي يرجع إلى سنة (٢٦٥هـ) وربما كانت قد استخدمت للإضاءة وسقطت في فترة متأخرة.

وأما أقدم القباب فنجدها في جامع ذي جبلة تعلو بلاطة المحراب مطلّة على الصحن (٤٨٠هـ).

وقد شاع استخدام القباب في عصر بني رسول (٦٢٦هـ) فقد أغرم المعمار في هذا العصر بالقبّة سواء النوع الكبير منها أو الصغير والنصف

---

(١) العاني، المشاهد ص٨٠.

(٢) عبو، عادل نجم، الأصل العماري للقبة، مجلة بين النهرين ع١٧ س١٩٧٧ ص٢٢.

(٣) الحديثي، عطاء وآخرون، المصدر السابق ص٩.

(٤) الفيروزآبادي، القاموس المحيط ج١ ص١٧٧ والبستاني، بطرس ـ محيط المحيط ج١ ص١٦.

الدائرية والمضلّعة فنشاهد ذلك في الجامع المظفري بتعز (٦٤٧ ـ ٦٩٤هـ) والمدرسة الأسدية بإب والأشرفية بتعز وغيرها ثم في عصر بني طاهر وتبعهم بعد ذلك العثمانيون أثناء احتلالهم لليمن.

وبالنسبة لقباب مآذننا فنجد أن المعمار اتّخذ نوعين من القباب هما:

أ ـ القبّة نصف الكروية فشاعت هذه القبّة في أقدم المآذن اليمنية منها مآذن جامع جبلة (٤٨٠هـ) والمدرسة الأشرفية بتعز (٨٠٠هـ) ثم في صنعاء نجد أن أول المآذن التي توّجت بقبّة نصف كروية هي مآذن الجامع الكبير (٦٠٣هـ) ثم مسجد عقيل والقبّة المرادية.

ب ـ القبّة المضلّعة، تعتبر القبّة من ابتكار المعمار العربي المسلم فكان أول ظهورها في العراق في قصر الأخيضر[1] وقد اقتصر التضليع على باطنها، بينما نجد أن أقدم مثل للقبّة المضلّعة من الخارج والداخل في جامع القيروان التي ترجع إلى النصف الأول من (ق٣ هـ)[2].

وفي مآذننا نجد أن قبابها المضلّعة أغلبها ذات تضليع من الخارج والبعض من الداخل والخارج فهي بذلك إما تتشابه مع قباب قصر الأخيضر من ناحية أو قبّة جامع القيروان من ناحية، وهو تضليع غير بارز.

وبالنسبة للقبّة المضلّعة في اليمن فقد كان أول ظهورها في عصر بني رسول وخاصة في الجامع المظفري بتعز[3] ثم في عصر بني طاهر في المدرسة العامرية برداع[4] ومعمار صنعاء أخذ ممن سبقه فاتخذ نوعاً من التضليع ذات الضلع الكبير، وهو ما نلاحظه في مئذنة صلاح الدين وطلحة والأبهر.

الـمـيـل:

زيّنت مآذننا بأميال من نحاس أو حديد، ويقوم الميل على القبّة التي تتوّج المئذنة وقد تعدّدت هذه الأميال، وهي في الغالب تتكوّن من ثلاث

---

(١) عبو، القباب العباسية في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة كليلة الآداب ـ بغداد ١٩٦٧ ص٣٥.

(٢) فكري، المسجد الجامع بالقيروان ص٨٨ والتأثيرات الفنية الإسلامية على الفنون الأوروبية ـ مجلة سومر ١٩٦٧ ص٧٦.

(٣) Lewcock, opcic P 3.

(٤) Porter opcit P 116.

جوزات يعلوها هلال غير أن البعض اتّخذ أشكال طيور، فيتّجه الهلال والطير مشيراً إلى الكعبة المشرّفة ليدلّل على أن الوجهة التي ارتضاها اللّه لرسوله والمؤمنين هي الكعبة فيقول عزّ من قائل: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤] وأحياناً يترك الميل غفلًا من الطير أو الهلال.

ويعتبر الهلال أو ما يُسمّى في اليمن بالشهر علماً للمواقيت وفي هذا يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة: ١٨٩].

ولا نعرف متى بدأ المعمار يزيّن المآذن بهذه الأميال وفي هذا يشير ابن الفقيه، إلى «أن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه بعث إلى البيت بهلالين كبيرين فعلّقا في الكعبة»[١]، وقد ذكر الميل مؤرّخو المغرب العربي وذلك ما يستشفّ من وصف ابن عذاري لمئذنة قرطبة وفي أعلى ذروتها ثلاث شمسات يسمّونها رمّانات ملصقة في السفود البارز في أعلاها هلال من نحاس[٢].

وفي مئذنة إشبيلية المسمّاة الجيرالدا بعد تحويلها إلى كنيسة عمل على برجها تمثال من البرونز سمي جيرالدا أو دوارة الهواء[٣].

وأما بالنسبة لأميال مآذننا في صنعاء فنجد أن المؤرّخ العرشاني هو الذي أشار إلى ذلك عند حديثه عن بناء مئذنتي الجامع الكبير بصنعاء ففي المئذنة الشرقية يقول: «عُمل في رأسها ثلاث جوزات من نحاس ورأسها هلال من نحاس وأُلصق إلى القبّة وجُصّص أسفله وأُحكم[٤]»، وأما بالنسبة للمئذنة الغربية فقد اختلف الأمر فلم نجد جوزات وهلالاً وإنما قال: «وركب في رأسها على صورة السفينة من النحاس وعمل له عمود من حديد»[٥].

وأما بقية مآذننا فنجد أن هناك مئذنة اتّخذت ميلًا بثلاث جوزات

---

(١) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد ـ مختصر كتاب البلدان ص٢٠ ليدن بريل بدون تاريخ.
(٢) ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج١ ص٢٢٨ والتلمسان، المصدر السابق ج٢ ص٩٩ وسالم.
(٣) سالم، المساجد ص٦٦.
(٤) و (٥) العرشاني، المصدر السابق ص٥٢١ ـ ٥٢٢.

يعلوها طير ونشاهده في مئذنة المدرسة (٩٤١هـ)، وعقيل (٩٦٧هـ)، وصلاح الدين (١٠٠٣هـ) وهذا الطير هو طير الحمام يتجه برأسه إلى الكعبة ويطلق أهل صنعاء على مئذنة صلاح الدين أبو طير.

أما بقية أميال المآذن فقد أخذت شكل ثلاث جوزات يعلوها حلقة معدنية أو هلال وهذا النوع يشمل بقية المآذن في صنعاء.

وهذه الأميال نشاهدها أيضاً على القباب وكذلك على التوابيت التي تعلو الأضرحة منها الخشبية أو الحجرية كما استخدمت في الأعلام رايات للجيش الإسلامي.

القطب: (اللّب)

«القطب» اللّب أو ما يسمى اصطلاحاً بالفحل[١] وهو عماد المئذنة تتمحور حوله وتقوم عليه وتميل إليه في قطبها كلما تقدمت في الارتفاع مسانداً إياها من خلال[٢] عوارض خشبية أو عقود تربط بين جدار المئذنة وقطبها. بحيث تشدّ بعضها بعضاً، ونظراً لارتباط السلّم بالقطب فإن البداية فيها واحدة حيث تبدأ من الأرض. انظر الشكل (١٦).

وقد اعتمد القطب شكل القاعدة في بعض الأحيان كما في قطب مئذنة الجامع الكبير وعقيل والزمر والبكيرية وموسى والمهدي عباس. بينما اتخذ في بقية المئذنة الشكل الإسطواني عدا مئذنة الزمر التي انفرد قطبها بالتضليع وذلك من مستوى حوض الشرفة حتى قمّتها بينما البدن إسطواني الشكل.

وقد اتّخذت بقية المآذن في صنعاء القطب الإسطواني من مستوى سطح الأرض حتى قرب قمّتها وقد وصل قطب المئذنة في صنعاء إلى مرحلة تكاد تكون واحدة في جميع المآذن وهو وصوله إلى رقبة القبّة، أما عن مادة بنائه فقد بني بالحجر وذلك مع مستوى القاعدة ثم أُكمل بالآجر بشكل المئذنة وتنفرد مئذنة الفليحي بشكل يكاد يكون متميزاً ليس في اليمن فحسب، فمن خلال معلوماتي المتواضعة لم أطّلع على مثله، ويرجع إلى نضج المعمار اليمني في صنعاء الذي عرف كيف يتعامل مع الحجر وعرف خصائصه ونتيجة لاستعمال اليمانيين للحجر على مرّ العصور فاستطاع معمار

---

(١) الجنابي، مئذنة سوق الغزل ص٤.

(٢) العاني، المآذن ص١٠٥.

مئذنة الفليحي التوصّل إلى هذا الشكل، وهو أنه بنى السلّمة مع بدن القطب من حجرة واحدة وبذلك تكون السلّمة مع جزء من القطب. ووضع الواحدة فوق الأخرى حتى كوّن شكلًا مروحياً ربط به بين جدار المئذنة والقطب، وميزة ذلك أنها تكون أكثر تماسكاً من غيرها إذ لو حدثت هزة أرضية أو ميل فتميل المئذنة بكاملها لأنها متماسكة من أسس البناء حتى قمّتها، انظر اللوحة رقم (٢).

السُّلَّم:

هو الدرج التي بواسطتها يتم الانتقال من الأدنى إلى الأعلى وبالعكس، وهو يعتبر قديماً منذ أن بدأ الإنسان يستقرّ في السهل، وقد استوحى فكرته في بناء السلالم من التدرّجات الطبيعية للجبال والتي كان يستخدمها أثناء الصعود والهبوط وبدأ بتهذيبها حتى وصل إلى ذلك السلّم.

واليمن مليئة بالسلالم الجبلية يسمّى (نقيل) ولمآذننا سلالم شكّلت بطريقتين أولاً المحمولة على عقود تربط بين القطب وجدار المئذنة وقد استخدمت هذه الطريقة في كل من مئذنة الزمر، وصلاح الدين والبكيرية، وموسى.

الثانية اعتمدت بقية مآذن صنعاء على الروابط الخشبية التي تصل بين القطب وجدار المئذنة، ولم نجد في مآذننا سلالم خارجية كما هو مشاهد في مئذنة ملوية سامراء وأبي دلف وابن طولون، وكذلك لم نجد مآذن في صنعاء بسلّمين ولا في اليمن وهذا النوع من المآذن شاع في العراق في مئذنة جامع الخلفاء ببغداد وجامع النوري بالموصل وفي الأندلس بجامع قرطبة وفي مصر في مئذنة قوصون بالقرافة والأزبك اليوسفي والغوري بالأزهر.

غير أننا نجد إشارة تاريخية تشير إلى أنه كان في اليمن مآذن بسلّمين وذلك في مئذنة المدرسة الظاهرية بتعز (٨٣٥هـ) التي أمر ببنائها الملك الظاهر الغساني «فعمل للمدرسة منارتين إحداهما بدرجتين ليس لها في اليمن نظير إلّا في صنعاء كما قيل»[١] ولكن الدراسة الميدانية لمآذن صنعاء أثبتت عدم وجود مئذنة بسلّمين.

وقد حملت السلالم درجاً اختلف عددها من مئذنة إلى أخرى ونتيجة الارتفاع مآذن صنعاء كان عدد درجاتها كثيراً إذا قورن بالمآذن الأقلّ ارتفاعاً.

(١) ابن الديبع، بغية ص١١٠ والفضل ص١١٢.

وقد عمد المعمار في صنعاء إلى عمل الدرج عند القاعدة من الحجر وعند البدن من الآجرّ سواء حملت الدرج على عقود أو روابط خشبية، وقد انفردت مئذنة الفليحي بأن درجها كله من الحجر.

ويبدأ الدرج من مستوى سطح الأرض لأن جميع قواعد مآذننا مجوّفة بخلاف بعض قواعد مآذن العراق الصلدة المتمثلة في مئذنة الشيخ عبد القادر الجيلي المضلّعة ومئذنة الخلفاء، إلّا أنه لا يوجد في مآذن الفترة العثمانية في العراق سوى مئذنتين بقاعدة مجوّفة هما مئذنة مشهد الإمام أبي حنيفة ومئذنة مسجد النعمانية.

وجميع مآذن اليمن وصنعاء مجوّفة دون استثناء وهذه ميزة للمآذن اليمنية.

ومن العناصر العمارية التي ظهرت في المآذن:

١ ـ العقود:

فمنها النصف دائري، المدبّب، العقد المفصّص والمستقيم. والعقد هو ذلك البناء الرابط لطرفي البناء(١) ويعمل العقد بواسطة سقالة، تكون على هيئة العقد ثم ترصّ صنجان العقد الحجرية أو الآجرية متتالية يميل حتى الوصول إلى مركز العقد (أو ما يسمّى بالمفتاح) وبعد عمل المركز وقبل نزع السقالة يوضع على جانبي العقد كتل حجرية داعمة حتى لا يحدث ما يسمى (برفس العقد) وبذلك تصبح قوة تحمل العقد كبيرة.

هذا وقد عرفت العقود قبل الإسلام وخاصة النصف دائري(٢) وتطوّرت العقود مع تطوّر التكوين المعماري فظهرت بأشكال مختلفة تميّزت بقابليتها على الضغط والثقل التي تعمل على توزيعه على البناء الذي ترتكز عليه(٣).

وفي العمارة الإسلامية ظهر العقد المدبّب الذي أصبح ميزة من مميزات العمارة الإسلامية وكان هذا النوع من العقود قد شاع في العراق وأقدم مثل له يوجد في قصر الأخيضر الذي يرجع إلى سنة (١٦١هـ) ثم عمّ استعماله بعد ذلك فنلقاه في الجوسق الخاقاني بسامراء من عهد المعتصم

---

(١) ابن منظور، المصدر السابق ج٣ ص٢٩٦ ـ ٣٠٠ والزبيدي، المصدر السابق ج٨ ص٣٩٤ ـ ٤٠٤.
(٢) محمد، غازي رجب ـ العمارة العربية الإسلامية في العراق في العصر الإسلامي ص٢٨.
(٣) عثمان، محمد ـ المدرسة في زبيد، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب ـ بغداد ١٩٩٢ ص١٢٤.

سنة (٢٢١هـ) وفي المسجد الجامع بالقيروان، ثم انتشر بعد ذلك انتشاراً واسعاً في العمارة الإسلامية[(١)]، وعمل هذا العقد لم يكن عفواً أو لانعدام الدقّة في طريقة البناء بل كان عملها مقصوداً[(٢)] بحيث يعمل على إيجاد ارتفاع أكبر، وقد استخدم في مآذننا العقد المدبب وهو ما نشاهده في كل من مئذنة الزمر (أزدمر) والفليحي وطلحة.

العقد المفصّص:

هو عبارة عن سلسلة من عقود صغيرة متتالية متّصلة بعضها ببعض[(٣)]، أو هي عقود قصّت حوافّها الداخلية على هيئة سلسلة من أنصاف دوائر، ولعلّ هذا العقد قد اشتقّ من شكل حافّة المحارة غير أنه اتّخذ في العمارة الإسلامية المظهر الهندسي البحت وأصبحت فيها ابتكاراً[(٤)]. وأصبح هذا العقد ذو الطبيعة الجمالية من أكثر العقود شيوعاً في العمارة الإسلامية وهذا يعني عدم استخدامه لأغراض عمارية إلّا أن الغالب عليه الطابع الزخرفي[(٥)]، وأول ما ظهر هذا العقد فيما تبقّى من آثار قصر المشتئ أوائل القرن الثاني للهجرة وفي قصر الحلابات وقصر حران وقصر الطوبة[(٦)]، بينما يرى أحد الباحثين أن أول مثل لهذا العقد ظهر في حصن الأخيضر في مسجده[(٧)].

وقد شاع هذا العقد في مآذننا خاصة في النوافذ العليا للجوسق وهو ما نشاهده في مئذنة المدرسة، ومئذنة البكيرية، وهذا العقد الذي يزيّن هذه المآذن ثلاثي الفصوص.

العقد المستقيم:

شاع هذا العقد في اليمن القديم وهو عبارة عن حجر واحد يوضع على الأبواب أو النوافذ وأمثلته في مئذنة العلمي ويسمّى (العتب).

---

(١) فكري، التأثيرات الفنية الإسلامية العربية على الفنون الأوروبية، سومر ١٩٦٧ ص٧٥.

(٢) شافعي، المصدر السابق ج١ ص١٧٣ والعزاوي، عبد الستار ـ العقود والأقبية في العصور الإسلامية في العراق، رسالة ماجستير كلية الآداب بغداد ١٩٦٩ غير منشورة ص١٦٢.

(٣) محمد، غازي، المصدر السابق ص٢٨.

(٤) فكري، المصدر السابق س١٩٦٧ ص٧٣.

(٥) العاني، المشاهد ص١٠٦.

(٦) فكري، المصدر السابق ١٩٦٧ ص٧٣.

(٧) العزاوي، نفسه ص١٦٣.

٢ ـ النوافذ :

استخدمت النوافذ في المآذن لعدة أغراض منها التهوية أو الإضاءة أو لتخفيف الثقل، وقد عملت هذه النوافذ في أبدان المآذن وهي بشكل إسطواني تشبه المزاعل الحربية التي تضيق من الخارج وتتّسع من الداخل وتعدّ مزاعل قصر الأخيضر من أقدم الأمثلة على ذلك.

وأما بالنسبة للنوافذ التي تكون عند نهاية جوسق المئذنة فهي أكبر اتساعاً من سابقتها وعددها أكثر إذ تفتح في كل ضلع نافذة إذا كان الجوسق مثمّناً، وإذا كان ذا ١٦ ضلعاً فتفتح فيه نافذة في ضلع ومصمتة في ضلع آخر بالتبادل، وقد اتّخذت لتغطيتها إما عقوب نصف دائرية كمئذنة عقيل وصلاح الدين والمهدي عباس أو مدبّبة كمئذنة الزمر أو طلحة أو مفصّصة كمئذنة المدرسة أو البكيرية أو مستقيمة كمئذنة العلمي.

ومن النوافذ ما أُطّرت بحنايا طولية تكون النافذة في باطنها وهو ما نشاهده في مئذنة المدرسة وصلاح الدين.

٣ ـ المداخل :

المدخل = هو المنفذ الذي يؤدّي إلى رأس المئذنة لكي يسمح للمؤذّن بالصعود فيه والهبوط أثناء تأديته للآذان، وهو عنصر عماري مهمّ.

وقد اختلفت اتجاهات المداخل وذلك باختلاف موقع المئذنة وغالباً ما تفتح إلى الجهة الجنوبية بسبب تيار الهواء الجنوبي الدافئ يعكس التيار الشمالي البارد، ومع ذلك فلم تكن مداخل المآذن متّجهة إلى الجنوب، وقد اتّخذ المدخل شكلاً مستطيلاً أُطّر من أعلى بعقد مستقيم (من حجرة واحدة) تسمّى عتب يعلوه أحياناً حنية ذات عقد نصف دائري أو مدبّب، أو يكون المدخل معقوداً بعقد إما نصف دائري أو مدبّب، وغلب على المدخل السفلي البناء بالحجر.

أما بالنسبة لأبواب المؤذن التي ينفذ إلى الشرفة فجميعها ذات عقود إما نصف دائرية أو مدبّبة عملت من الآجرّ، هذا وجميع المداخل بسيطة في تكوينها المعماري ليس فيها أية تعقيدات عمارية ولا زخرفية، تُغلق بأبواب خشبية استبدل البعض منها حالياً بأبواب حديدية وتسمّى ردفة الباب فرد[١] .

---

(١) الآلوسي، محمود ـ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج٣ المطبعة الرحمانية ـ مصر ١٩٢٤ ص١٩٦.

٤ ـ الشرفات:

الشرفة أعلى الشيء ويشرف كالشرفة، ويجمع أشراف قال: «الأخطل» وقد أكل الكبران أشرافها العلا وأُبقيت الألواح والعصب السمر.

والشرف كل نشز من الأرض قد أشرف على ما حوله(١).

والشرفات هي ذلك البناء الذي يزيّن به أعلى المباني وبأشكال مختلفة، وهذه الشرفات لم تكن وليدة عصرنا إذ نشاهدها في عصور ما قبل الإسلام فتزيّن بوابة عشتار في مدينة بابل(٢) كما أنه من المحتمل أنها كانت تزيّن أعالي جدران المعابد اليمنية(٣) ثم تطوّرت في العمارة وصولاً إلى العمارة الإسلامية فعمد المعمار المسلم إلى تزيين المساجد والأسوار بالشرفات فيذكر لنا المؤرّخون أن السور الأعظم في مدينة بغداد كان ارتفاعه مع الشرفات ٣٠م وقيل ٣٥ ذراعاً(٤).

وفي مصر نجد أن المعمار المصري قد أقبل على تزيين مبانيه بشرفات فنشاهدها في كل من جامع ابن طولون والحاكم وبوابة الفتوح بالقاهرة وغيرهما(٥).

وفي اليمن أغرم المعمار اليمني بهذا النوع من العمارة فنجد ذلك على الكثير من المباني سواء الدينية أو المدنية فتشاهد على جامع شبام (٢٦٥هـ) والجند وجامع السيدة بجيلة وزبيد وعلى المدارس كالمظفرية والأشرفية بتعز والعامرية برداع وعلى مدخل البكيرية بصنعاء (١٠٠٥هـ) وكما شاعت على المباني الدينية كعنصر زخرفي نجدها تشيد كعنصر معماري على الأسوار والأبراج حيث استخدمت كمتاريس للجند وليس أدل على ذلك مما كان على أسوار بغداد وما نراه في حصن الأخيضر.

وللشرفات أهمية كبيرة إذ أنها تستخدم كزينة زخرفية، فقد عمد المعمار إلى تشكيلها بأنواع مختلفة منها ذات الشكل المسنّن أو المتدرّج

---

(١) ابن منظور، المصدر السابق م٩ ص١٧٠.

(٢) يوسف، شريف ـ تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور شكل ٥٩ و٦٠.

(٣) بريتون، معبد عثتر في مدينة المنصور المدورة، المكتبة الأهلية ـ بغداد ١٩٦٧ ص٢٣٥.

(٤) العميد، طاهر ـ بغداد ـ مدينة المنصور المدورة، المكتبة الأهلية ـ بغداد ١٩٦٧ ص٢٣٥.

(٥) شافعي، فريد ـ العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها شكل ٨٨ والألفي، لوحة (٨).

تنتهي من الأعلى بدرجة واحدة أو على شكل الورقة ثلاثية البتلات.

وقد انتشرت الشرفات على مآذننا فنشاهدها تزيّن القسم الأدنى من بدن مئذنة المدرسة وتعلو قاعدة مئذنة عقيل، بينما أخذت الشرفات في مئذنة الزمر طريقة تكاد تختلف عن البقية وذلك بسبب التضليع الحاصل في سياج الشرفة وتنتهي من الأعلى ببروز على شكل ورقة ثلاثية منحنية، وتزيّن الشرفة وأعلى المئذنة.

وتعتبر الشرفات من مميّزات العمارة اليمنية فقد أُغرم المعمار اليمني باستخدام هذا النوع من العنصر المعماري فزيّن به مبانيه كالمساجد والقصور والأسوار.

المبحث الثاني

العناصر الزخرفية (الهندسة والكتابة)

امتازت مآذن صنعاء بزخارفها الهندسية عن غيرها من مآذن العالم الإسلامي فأصبحت بها تعرف ومن خلالها يستدلّ عليها.

والزخرفة قديمة قدم الإنسان فعندما كان الإنسان يعيش في الكهوف بدأ يزيّن كهوفه بمختلف الرسومات وخاصة منها الحيوانية المفترسة التي كانت تخوّفه فرسمها رغبة ورهبة، رغبة في رسمها ورهبة منها حتى خيّل له أنه برسمها يستطيع أن يسيطر عليها، ثم اتجه إلى الرسم الهندسي وخاصة على الأواني الفخارية التي بدأ يستخدمها ويرسم عليها في بلاد الرافدين في عصر العبيد، وجمدة نصر وحلف[1] ثم تطوّر الفنّ بعد ذلك في العصور التاريخية فقد أبدع الإنسان في رسم أغلب العناصر الزخرفية من نباتية وهندسية وكتابية وحيوانية وأجاد في ذلك إجادة تامة وليس أدلّ على ذلك ما خلّفه لنا أولئك الأقوام الذين عاشوا في بلاد الرافدين وبلاد النيل وبلاد الشام واليمن وبلاد اليونان والرومان حتى وصل الفنّ إلى قمّته في تلك الفترات التاريخية مروراً بفترات زمنية عبر آلاف السنين.

فمن اليمن القديم وصلت إلينا نماذج من الزخرفة الهندسية من معبد

(١) لويد، سيتون ـ آثار بلاد الرافدين، ترجمة سامي الأحمد، الجمهورية العراقية ١٩٨٠ ص٤٧ و٦٩ و٩١.

عثتر بمدينة السوداء بمنطقة الجوف وهي تعود إلى القرن الخامس ق. م[١].

كما عرفها الرومان وأقدم مثل لها في روما في Domus augustan on the palatine التي تعود إلى ٨١ ـ ٩٦م[٢] وهي زخارف منفّذة على الفسيفساء قوامها أشكال مسدّسات منتظمة، كما يعود إلى نفس الفترة زخرفة من بعلبك بلبنان[٣] وفيها نجد أشكالاً لمعينات هندسية محصورة بين مسدّسين كبير وصغير، ثم توالت الزخرفة بعد ذلك في شتّى أقطار الشرق القديم.

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الإسلامي فالزخارف الهندسية فيه تطوّرت تطوّراً كبيراً وشاع استعمالها وتنوّعت أشكالها حتى أصبح لها طابع إسلامي مميز حتى قيل: «ينفرد العربي بخيالة الهندسي الذي ينصبّ على الكتلة فيقسّمها ويجزّئها ويحوّلها إلى خطوط ومنحنيات تتكرّر وتتعاقب وتتبادل إلى ما لا نهاية به حتى لا يكاد الناظر إليها يجد بدايتها ونهايتها»[٤].

وكان السبب في حبّ الفنان المسلم لهذه الزخرفة يرجع إلى تحريم أو كراهية تصوير الكائنات الحيّة في الإسلام، وفي هذا وردت أحاديث عديدة منها ما رواه عبد اللّه بن عباس حينما جاء إليه رجل يصنع التصاوير ويكسب منها رزقه وسأله بعد إسلامه فيما إذا كان يستمرّ في مزاولة عمله هذا فأخبره ابن عباس أن النبيّ ﷺ قال: «إن كل مصوّر في النار يجعل له بكل صورة صوّرها نفس تعذّبه في جهنّم، فإن كنت الآن فاعلًا فاجعل الشجر وما لا نفس له»[٥]، والأحاديث كثيرة في هذا الموضوع، وكان لها أثر كبير في انصراف الفنان المسلم عن تصوير الكائنات الحيّة، فلما وجد بين يديه الأشكال الهندسية انصرف نحوها بشغف يطوّر ويبتكر فيها أشكالاً جديدة حتى احتلّت مكانة مرموقة وأصبحت ميزة امتاز بها الفن الإسلامي[٦].

---

(١) Grohmen, A. Kulturgeschichte Des Alten orients Germany 1963 P 160\163، وانظر بريتون، المصدر السابق صنعاء ١٩٩٠ ص٥ ـ ٧.

(٢) Creswell, opcit Vol P 202 Fig 110, 111.

(٣) Creswell, opcit Fig 114 - 117.

(٤) فكري، أحمد ـ عوامل الوحدة في الآثار الإسلامية بالبلاد العربية، المؤتمر الثالث للآثار فاس ١٩٥٩ ص٢٧٢.

(٥) مسلم، صحيح مسلم ج٤ ص٩٣ والبخاري، صحيح البخاري ج٣ كتاب البيوع ص٤٠ و٤١.

(٦) الأعظمي، خالد خليل ـ الزخارف الجدارية في آثار بغداد، منشورات وزارة الثقافة ـ الجمهورية العراقية ـ ١٩٨٠ ص١٣٠.

ومن العصر الأموي وصلت إلينا زخارف هندسية عبارة عن أطباق نجمية تشاهد في النوافذ المشبكة الموجودة في الجامع الأموي بدمشق ٨ ـ ٥٩٦[١].

ومن العصر العباسي وصلت زخارف هندسية على الجصّ بسيطة التكوين اكتشفت في أطلال سامراء بعضها مربّع وآخر مسدّس[٢].

وفي مصر بدأت منذ العصر الطولوني (٢٦٥هـ) بأمثلة متنوعة من الزخرفة الهندسية نراها في بواطن عقود جامع ابن طولون منها الدوائر والحلقات والمضلّعات والمعينات والمسدسات[٣]. ويشاهد على غرارها في بغداد في المدرسة المستنصرية ثم تطوّرت الأشكال النجمية في مصر في العصر الفاطمي في مسجد الأزهر والأقمر والحاكم[٤].

ومن بغداد وصلت زخارف هندسية عبارة عن نجوم رباعية وخماسية وسداسية. . . إلخ وهي تعتمد في أساسها على الدائرة التي تقطعها خطط، وهو ما نشاهده في الأبنية الأثرية القائمة إلى الآن وبصورة خاصة في القصر العباسي والمدرسة المستنصرية[٥].

وأما بالنسبة لليمن فلم يصل إلينا من العصر الأموي أثر باق حتى نستدلّ منه على وجود زخرفة من عدمه ولكن وصل إلينا من العصر العباسي زخارف كثيرة متنوعة على الخشب وهو ما نراه على الأسقف الخشبية لكل من جامع صنعاء وشبام ٢٦٥، وجامع السيدة بذي جبلة (٤٨٠هـ)، وكذلك نشاهدها على الجصّ، وهو ما نراه في جامع جبلة وجامع زبيد، والمدرسة المظفرية بتعز (٦٤٧ ـ ٦٩٤هـ) والأشرفية (٨٠٠هـ) وغيرها من المباني الإسلامية. وعناصرنا الزخرفية لا تخرج عن ما أنتجه أجدادنا من موروث حضاري تغنّى به العالم اليوم لما أبدعه فيه الفنان العربي المسلم في دقّة المقاييس واختيار العناصر الزخرفية.

وحتى لا نخرج عن موضوعنا فقد عمد المعمار في صنعاء إلى تحلية مآذنه بزخارف شتى أهمها الزخرفة الهندسية والكتابية.

الزخرفة الهندسية: لقد برع الفنان اليمني في صنعاء بإجادة هذا النوع

---

(١) Creswell, opcit Fig 117, 118.
(٢) الأعظمي، المصدر السابق ص١٣٠.
(٣) فكري، المدخل ص١٣٢.
(٤) فكري، المصدر السابق ج١ لوحات ١٣، ١٧، ٦٦، ٧٦.
(٥) الأعظمي، المصدر السابق أشكال ٧٧، ٨٦، ٩٧، ١١٦.

من الزخرفة وفي مقدمتها الزخرفة المجدولة والزجزاجية وزخرفة المعينات.

وكان ذلك الإخراج الفني نتيجة لرواسب فنية توارثها المعمار اليمني عن آبائه وأجداده وصولاً إلى اليمن قبل الإسلام فقد كانت اليمن تتمتع بمركز حضاري شهد لها القرآن الكريم وهو خير شاهد ودليل، وسنقوم بتقسيم الزخرفة كالتالي:

أ ـ **الزخرفة المجدولة**: لقد أُغرم المعمار في صنعاء باستخدام هذا العنصر الزخرفي بكثرة في مآذننا وتوجد هذه الزخرفة عند نهاية القاعدة أو في منتصفها، وهذه الزخرفة لم تكن وليدة العصر فقد وجدنا أشكالاً ونماذج لها في حضارة اليمن القديم حيث تشاهد تلك الزخرفة على أعمدة في معبد عثتر بمدينة السوداء، ويرجع هذا المعبد إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وهذه الزخرفة عبارة عن ثعبانين يلتفّان أحدهما حول الآخر مكوّنين أشكالاً بيضية[(١)] الشكل (١٨).

وخير ما يمثل هذه الزخرفة التي شكلت من التفات خطّين أحدهما حول الآخر مكونة أشكال بيضية على قاعدة مئذنة مسجد المدرسة والزمر وصلاح الدين والبكيرية وموسى، والمهدي عباس[(٢)] الشكل (١٨)، كما شاعت هذه الزخرفة أيضاً لتحلية جدران منازل صنعاء من الخارج[(٣)]، وهكذا نجد الفنان اليمني أقبل على هذه الزخرفة ليس على المآذن فحسب بل على المنازل مما يوحي لنا بالإقبال الشديد على الزخرفة المجدولة التي أصبحت ميزة فنية في صنعاء.

ب ـ **الزخرفة الزجزاجية**: لقد بدأت هذه الزخرفة في الظهور في عصر الوركاء ببلاد الرافدين حيث شكلت من مخاريط فخارية حلّت محل الغلاف الحصير[(٤)]، وفي اليمن نجدها على العمارة اليمنية القديمة فقد شوهدت على أعمدة معبد عثتر إلّا أنها شكلت أُطراً للزخرفة المجدولة السالفة الذكر وكذلك أطراً لحيوانات الوعول.

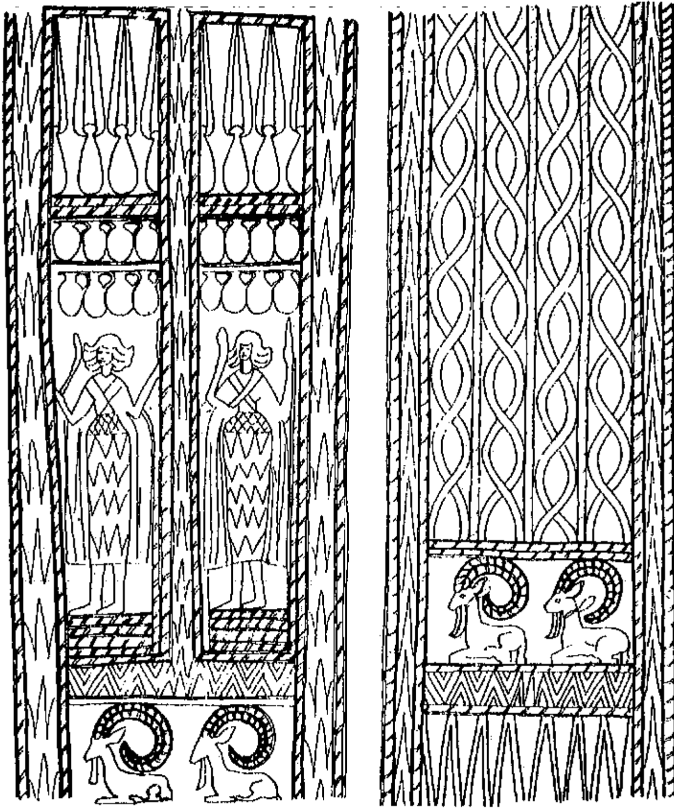
---

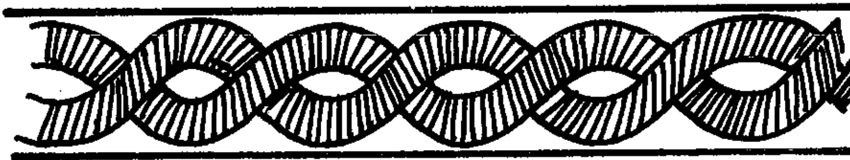
(١) Grohman, opcit P 160 - 163، وانظر بريتون المصدر السابق ص٥ و٧.

(٢) Bonnenfant, paul, Les, Maisons tours De, Sana'a 1989 P 27 - 28 and Suzan La Arshicecture au Yemen 1983 p 23.

(٣) Jenner, Michal, Yemen rediscovred Ingland p 68.

(٤) مورتكات، أنطوان ـ الفن العراقي القديم، ترجمة عيسى سليمان وسليم طه التكريتي لوح (٢) ص٢٤.





شكل [١٨]: تفصيل زخرفي للزخرفة المجدولة/ نقلًا عن جروهمن

وقد شاعت هذه الزخرفة على منازل صنعاء بشكل لافت للنظر بحيث عملت كأحزمة تفصل بين الطوابق في المبنى الواحد كما زيّنت قمّة المنزل.

وقد أبدع المعمار اليمني في إجادة هذا النوع من الزخرفة بحيث عمل مسافة الخط الصاعد تساوي مسافة الخط النازل مما يدلّ على مهارة الفنان وحذقه ومعرفته بعلم الهندسة، وقد انتشرت هذه الزخرفة على أغلب العمائر سواء المدنية أم الدينية، ففي المدنية شاعت على المنازل[١]، وعلى المباني الدينية شاعت على المساجد ومآذنها، فقد انتشرت على كل من مئذنة المدرسة وصلاح الدين والعلمي[٢].

جـ ـ زخرفة المعينات: إلى جانب تلك الزخرفة فقد أقبل الفنان اليمني بإسراف على زخرفة المعينات التي أخذ يشكّلها بالجصّ أو قطع الآجرّ سواء بارزة أو غائرة، كما عمل على تشابك الخطوط الغائرة ليجعل منها معيناً معدولاً وآخر مقلوباً وهو ما نراه في مئذنتي المدرسة وصلاح الدين، الشكل (١٩).

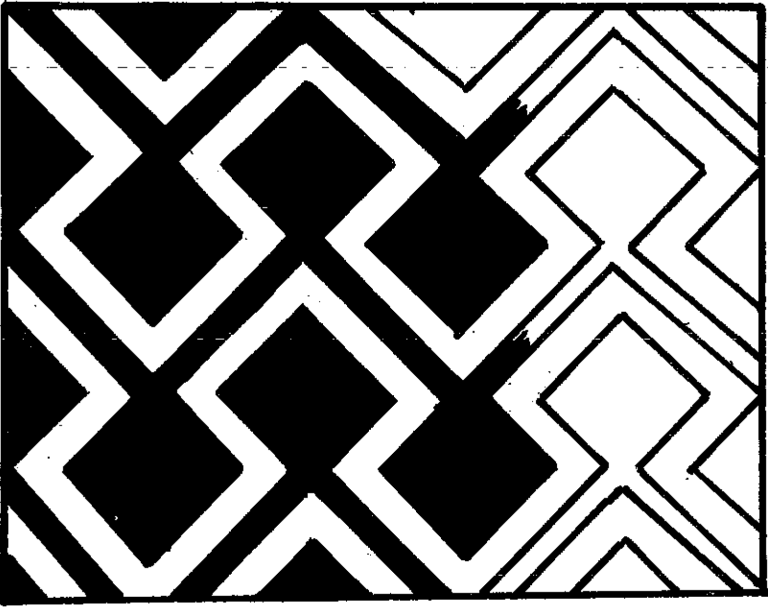
ولذا فقد استطاع المعمار اليمني أن يفرغ حذقه الفني في هاتين المئذنتين بشكل يدعو إلى الإعجاب، فظهرت المعينات بطريقة متقنة متناسقة ورصينة.

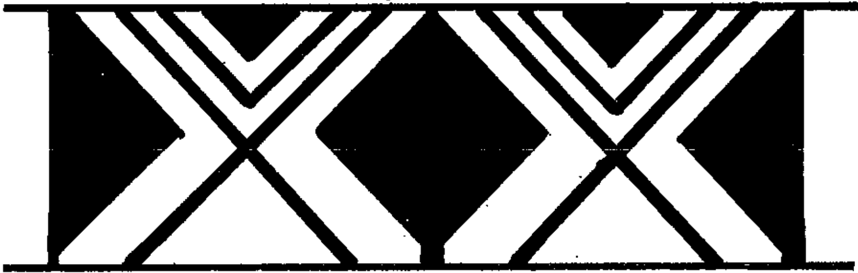
وشغلت القاعدة والبدن بتشكيلة من معينات متصلة تكون أشكالًا متداخلة، ومعينات هاتين المئذنتين متقنة في تكوينها وجميلة في مظهرها صيغت بدقّة وعناية تتكرّر على نطاق البدن وتحوّله إلى لوحة فنية تنمّ عن الذوق وعن الجهود المبذولة في تكوينها.

ولا تخلو مئذنة في صنعاء من زخرفة لمعين، وقد انتشرت هذه الزخرفة على البدن وسياج الشرفة والجوسق بشكل لافت للنظر، غير أنه اتخذ في مئذنة الزمر طريقة تدلّ على مدى تفهّم المعمار اليمني للخصائص الفنية للمعين ففيه يوجد معين صغير في الوسط أحاط به معينان مزدوجان ويحيط بهما شريط يتفرّع يميناً ويساراً ليشكّل بذلك إطاراً لمعينات أخر، وقد شكّلت هذه المعينات وأطرها من الآجرّ وهذا يدلّ على تفهّم المعمار اليمني لسرّ هذه الزخرفة الشكل (٢٠) وهذه الزخرفة من المعينات لم تكن وليدة عصر بناء المآذن في صنعاء بل سبقته حيث ترجع وجود هذه الزخرفة

(١) Jenner, opcit P 68.

(٢) Bonnengant, opcit P 28.





شكل [١٩]: تفصيل زخرفي لزخرفة المعينات المنفذة بالجص

إلى ما قبل الإسلام حيث نراها على أعمدة معبد عثتر[1] الشكل (٢١)، شكل [٢٢ و٢٣ و٢٤]: تفصيل زخرفي لزخرفة المعينات المنفذة بالآجر وزخرفة النجمة السداسية وزخرفة الرايات

ثم تواصلت في العصور الإسلامية حيث نشاهد أمثلة له في جامع صنعاء وشبام على مآذن زبيد كمئذنة الجامع الكبير ٥٨٢ ومئذنة الجامع المظفري بالمهجم ثم تطوّرت وصولاً إلى قمة جمالها وروعتها التي زينت بها مآذننا في صنعاء بمختلف أشكالها سواء المصمتة أم المفرغة المعدولة أم المقلوبة البيضاء على أرض بنية اللون منفّذة بالجصّ.

هذه الزخرفة التي تعتبر ميزة مهمة من مميزات الفن اليمني في صنعاء سواء على المآذن أو المنازل[2].

وتعتبر زخرفة المعين أكثر أنواع الزخارف الهندسية انتشاراً على الأعمال المعمارية اليمنية فنشاهدها كذلك على منازل مدينة زبيد، وأما بالنسبة للمعينات المشكّلة من الآجرّ فنشاهدها تزيّن أضلاع القسم الأدنى من بداية كل من مئذنة المدرسة وصلاح الدين والبكيرية وموسى الشكل (٢٢) كما زينت جوسق مئذنة الزمر الشكل (٢٠) إلى جانب تلك الزخرفة فقد وصلت إلينا زخرفة المربّعات والمثلّثات وهي ما عملت كزخرفة مثلّث أو ما نتج عن التقاء معينين وهو ما نرى أمثلته في صلاح الدين والمدرسة، ثم زخرفة النجمة السداسية وهي من نوع الزخارف التي انتشرت على الآثار اليمنية فشوهدت على التوابيت الخشبية كتابوت الأبهر وعلى مآذننا في جوسق كل من مئذنتي المهدي عباس وخضير الشكل (٢٣) ثم نجد زخرفة أخرى تشبه الرايات (الأعلام) وهذه الزخرفة لم نجد لها إلا مثلًا واحداً على بدن مئذنة طلحة ١٠٢٩ الشكل (٢٤).

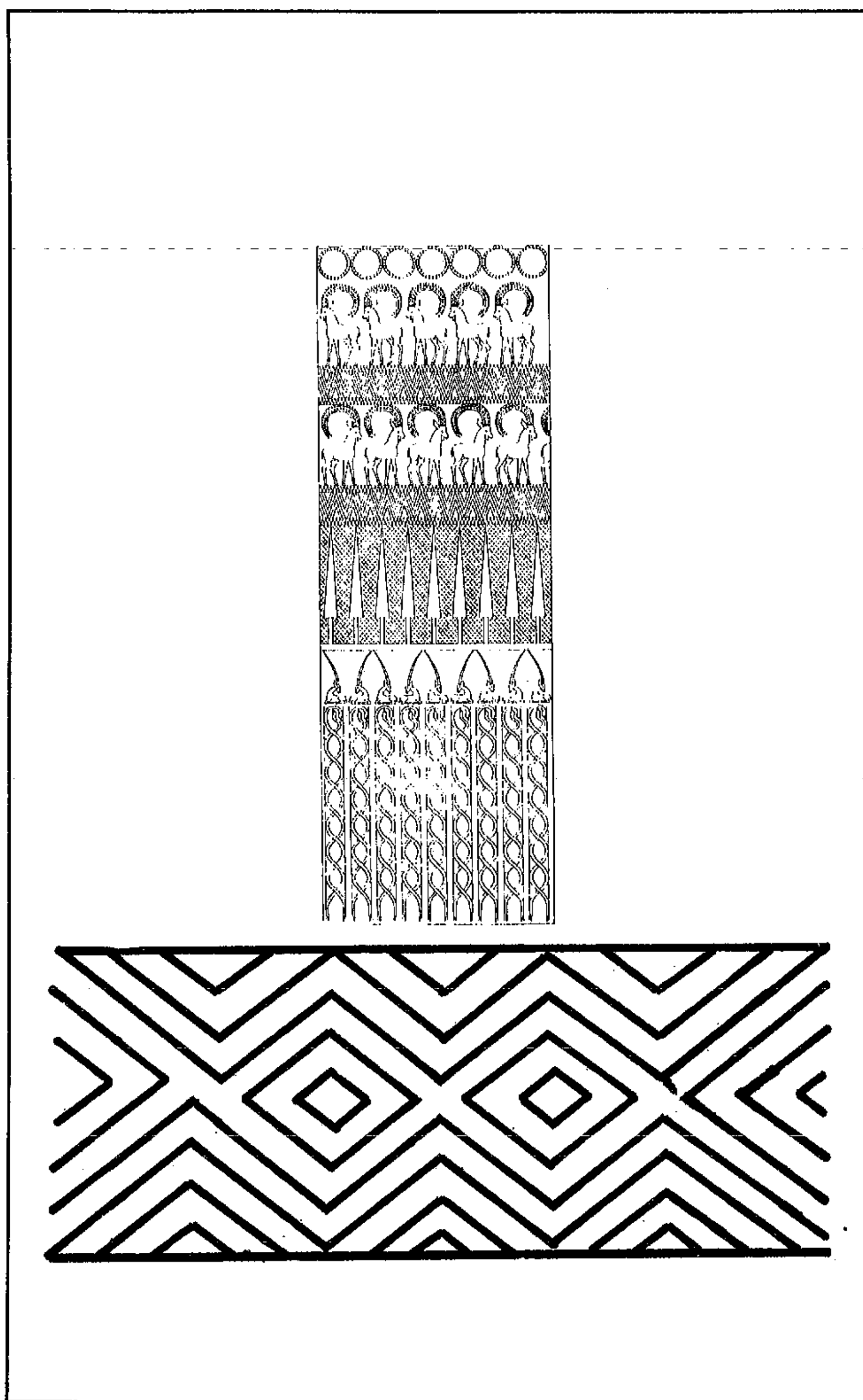
الزخرفة الكتابية:

انتشرت هذه الزخرفة على الآثار الإسلامية بشكل كبير فقد شاعت هذه الزخرفة مع بداية الإسلام حين حثّ على العلم والتعليم فكان أن طلب الرسول ﷺ من أسرى بدر أن يعلّم كل واحد منهم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة لقاء إطلاق سراحهم، مما يدلّ على حثّ الإسلام على الكتابة، وقد تطوّرت الكتابة تطوّراً كبيراً في مدينة الكوفة حيث نُسب إليها نوع من الخطّ سُمّي بالخطّ الكوفي بأنواعه.

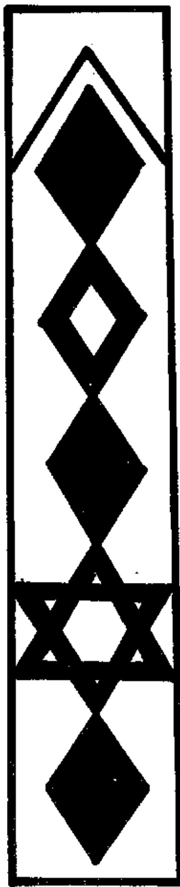
---

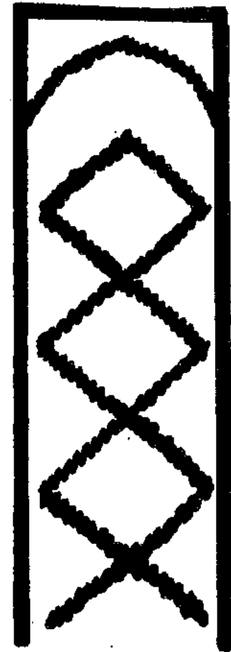
(١) Grohman, opcit P 160.

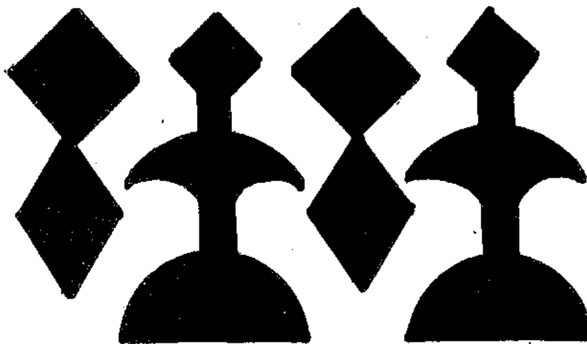
(٢) Jenner, opcit P 65 - 66.



شكل [٢٠، ٢١]: تفصيل زخرفي لزخرفة معينات/ نقلًا عن جروهمن







شكل [٢٢، ٢٣، ٢٤]: تفصيل زخرفي لزخرفة
المعينات المنفذة بالآجر وزخرفة النجمة السداسية وزخرفة الرايات

وانتشر هذا الخط إلى جميع الأقاليم الإسلامية وبقي حتى القرن الخامس الهجري حين بدأ الخط النسخي يأخذ مكانه، وذلك لما يتمتّع به الحرف النسخي من ليونة ومطاوعة وقابلية للتشكيل، ثم جاء خط المثلث، وهو ما نراه بكثرة منفّذاً على مآذننا سواء منه الحفر الغائر على الحجر وخير ما تمثّله لوحة تأسيس مئذنتي الجامع الكبير بصنعاء ٦٠٣ وكذلك لوحة مئذنة جامع المدرسة (٩٤١هـ) ومئذنة صلاح الدين (١٠٠٣هـ) وموسى (١١٦١هـ) ومنها ما هو معمول بالآجرّ أو الجصّ وما نراه على كل من قواعد مئذنة المدرسة وصلاح الدين والمهدي عباس.

هذه فكرة بسيطة عن الزخرفة المنفّذة على مآذننا وهي تحتاج إلى دراسة قائمة بذاتها حتى يستطيع الباحث الوقوف على أصولها ومجالها ليس هنا.

مواد البناء

ولما كان البحث يدور حول العمارة في مآذن صنعاء فلا بد أن نتطرّق بشكل موجز لمواد البناء المستخدمة في مآذننا وهي الحجر والآجرّ إلى جانب الملاط، وهي الطين والجصّ والقضاض.

وهذه المواد استعملت في بناء مدينة صنعاء عبر تاريخها الطويل منذ ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر مما يدلّ على أن للبيئة أثرها في التكوين المعماري لمدينة صنعاء، وسنبدأ بدراسة المواد حسب أهميتها وهي:

أولًا ـ المواد الإنشائية

أ ـ الحجر:

تعدّ مادة الحجر من أقدم المواد المستعملة في إقامة المباني، وقد استخدم الإنسان الحجر، حتى سمّي أحد العصور بالعصر الحجري نسبة إلى استخدام الإنسان للحجر.

ولما كانت المنطقة المحيطة بمدينة صنعاء مناطق جبلية بركانية، فقد استخدم المعمار فيها الحجر في تشييد الطوابق السفلية من البناء وكذلك بالنسبة للمآذن.

وبالرغم من توافر أنواع عديدة من الأحجار واستعمالاتها في البناء فقد اقتصر البناء في تشييد قواعد المآذن على نوع من الأحجار، وهو حجر البازلت (حبشي فقاعي) Vesicular basal وقد استخدم هذا النوع من الحجارة على نطاق واسع بشكل كبير فلا يكاد يخلو مبنى في صنعاء من استخدام هذا النوع من الأحجار وخاصة في الطوابق السفلية من المبنى.

إلى جانب ذلك فقد استخدم المعمار في صنعاء نوعاً آخر من الحجر في بناء قواعد المآذن ألا وهو حجر الطفّ Lapilli Tuff. وهذا النوع من الحجارة نشاهده في قاعدة مئذنة طلحة فقط ولذا وجب علينا إثباته كنوع من الحجارة المستخدمة في البناء والسبب في هذه الدراسة لمعرفة مدى مقاومة هذه الأنواع للضغط ومقاومة عوامل التعرية وقوة التحمّل الميكانيكي لهذه

الأحجار، وقد أخذت عينة بمقياس ١٠ × ١٠ × ١٠ وقمنا بدراسة الخواص الطبيعية للأحجار، واشتملت الدراسة على الفحص البصري والثقل النوعي = الكثافة، والمسامية، النفاذية الخاصية الشعرية ومقاومة الضغط وعوامل التعرية، ووفقاً لذلك كانت النتائج كما يأتي:

أولاً ـ الفحص البصري

يعتبر من الاختبارات المهمة، وذلك في تعيين لون الحجر ومدى ما يحتويه من فراغات، وحجر البازلت لونه رصاصي مائل للسواد يحتوي على نسبة عالية من الفراغات ويوجد على سطحه بقع بيضاء، وأما حجر الطفّ فلونه وردي فاتح مائل قليلًا للإصفرار(١).

ثانياً ـ الكثافة أو الثقل النوعي Fic Grauity Denisty or Speci

والكثافة تعبّر عن كتلة المادة في وحدة الحجوم فإذا عبّر عن الكتلة بالغرام والحجم بالسنتيمتر فإنه يعبر عن الكثافة بالغرام سنتيمتر مكعب وهي تعتمد بشكل أساسي على تركيبه الكيميائي البلّلوري حيث تتغير كثافة المادة بتغيير درجة الحرارة والضغط وبذلك تدوّن كثافة المادة عند درجة حرارة ١٨°م وضغط ٧٦سم زئبق(٢) وعند تعيين كثافة حجر البازلت تبين أن كثافته = ١,٨٢ حم/سم٣ والطفّ٢ غم/سم٣

ثانياً ـ المسامية Porosity

وتعبّر المسامية عن النسبة المئوية لوزن الفراغات الموجودة بين حبيبات الحجر بالنسبة لوزن الكتلة الحجرية، ولتعيين المسامية تتبع الطريقة الآتية:

المسامية = كثافة الجر × وزن الماء اللازم لملء الفراغات على وزن الحجر جافاً × ١٠٠، وتبيّن بعد إجراء تعيين المسامية أن حجر البازلت وصلت مساميته إلى ٣ و٪ أما الطفّ فمساميته تتراوح فيما بين ٣٣,٩ ـ ٣٧,٧٪(٣).

---

(١) الديري، زياد ـ دراسة تصنيف أحجار البناء في الجمهورية اليمنية، مجلة دراسات يمنية ع٤٣ س١٩٩١ ص٣١٠.

(٢) صالح، أحمد صالح ـ محاضرات في ترميم مباني حجرية سنة ١٩٩١ قسم الآثار جامعة صنعاء.

(٣) أجرى الباحث حساب الكثافة والمسامية والنفاذية للأحجار السابقة بمعمل قسم الآثار بإشراف د. صالح أحمد صالح.

ثالثاً ـ النفاذية أو الخاصية الشعرية Premeability

وهي تعتمد على الكثير من الخواص الطبيعية للحجر من أهمها المسامية وحجم حبيباته وهي تتناسب طردياً مع المسامية وعكسياً مع قوة الحجر(١) وهي من الخواص المهمة التي يجب أن يتعرف عليها البنّاء لمعرفة مدى تأثّر الأجزاء السفلية من المباني بالمياه الجوفية أو مياه الرشح وهذه الخاصية في حجر البازلت ضعيفة تماماً وذلك لكثرة الفراغات بين حبيبات الحجر وكبرها فقد وصلت نفاذية هذا الحجر إلى ٦٠٧ و٪ دقيقة وفي الطف إلى٠٩٢,٠/ دقيقة، وطريقة حساب النفاذية، وذلك بعمل قطعة الحجر في ماء ملون ثم يتمّ حساب صعود الماء في الساعة أو الدقيقة.

رابعاً ـ مقاومة الضغط Com Pressive Stemgth

تعطي مقاومة الضغط فكرة عن سلوك الأحجار المختلفة تحت تأثير قوة الضغط وتحديداً أجهاد التشرّخ والتهشّم وقد تمّ الاختبار بواسطة آلة الضغط U B R 2500 حيث كانت قيمة الضغط ترفع تدريجياً وببطء حتى تمّ الحصول على إجهاد التشرّخ وقوة التهشّم ومن المعادلة الآتية:

$$\text{الحمل المسوح} = \frac{\text{قوة التهشّم}}{\text{معامل الأمان}} \times \text{معامل القياس حيث أن معامل الأمان} = ١٠$$

حسب المواصفات القياسية الروسية ومعامل قوة التهشّم = ٠,٨٥ وبذلك نجد أنه في حجر البازلت كان كالآتي:

متوسّط وزن العيّنة = ١,٨٣٤ كغم ومتوسط محمل التشرّخ KN ٢٣٣,٣ ومتوسط التهشّم KN ٢٥٦ ومتوسط إجهاد التشرّخ ٢٣٨ كم/ سم^{٣} وإجهاد التشرّخ ٢٦١,٨ كغم/ سم^{٣} والحمل المسموح به ٢٢,٢٥٣ كغم.

أما بالنسبة للطف فمتوسط وزن العينة ١,٦٢٥ كغم ومتوسط تحمل التشرّخ ١٥٣,٣ ومتوسط التهشّم ١٧٩,٣ ومتوسط إجهاد التشرّخ ١٥٦,٤ كغم/ سم^{٣} وإجهاد التشرّخ ١٨٢,٩٢/ سم^{٣} والحمل المسموح به ١٥,٥٤٨ كغم.

---

(١) الديري، المصدر السابق ص٣١٣ ـ ٣١٥.

خامساً ـ عوامل التعرية

يعطي هذا النوع فكرة عن تآكل الحجر نتيجة لتعرّضه لعوامل التعرية والرطوبة المحمّلة بالكبريتات والمواد الكيماوية الناتجة عن تلوّث البيئة، وتمّ اختبار عوامل التعرية وذلك بأخذ عينة مقاس ٤ × ٤ × ٤سم وغمرها في كبريتات الصوديوم بتركيز ١٤٪ لمدة ساعتين وبعدها جففت العينة في فرن درجة حرارته ١٠٠° م ووزنت وسجّل الفرق وكرّرت العملية ٦ مرات ولكي يكون الحجر ذا مقاومة عالية لعوامل التعرية يجب أن تكون نسبة الفرق بين الوزن الأول والنهائي قليلة جداً وفي حجر البازلت كان وزن العينة قبل الغمر ٢٠٦,١ غرام، وبعد الاختبارات الستة كان الوزن ١٩٩,٩ غرام، وحجر الطفّ كان وزن العينة قبل الغمر ٣٤٩,٢ غرام وبعد الاختبارات الستة كان الوزن ١٧٠,٦ غرام[١].

تلك هي نتائج دراسة الخواص الطبيعية للحجر والتي كان من الضروري معرفتها وذلك لمعرفة اختيار نوعية الحجر الذي استخدمه الآباء في تشييد مبانيهم ومدى مقاومته لعوامل الزمن.

وبعد تلك الدراسة علينا أن نشير إلى كيفية استخراج القطع الحجرية من محاجرها فكانت تتمّ عن طريق عمل أخاديد في الحجر ويوضع في تلك الأخاديد نفط وخشب ثم تشعل وتترك وبعد فترة نجد أن ذلك الأخدود قد انشقّ فتخرج قطعة الحجر وتهذّب ويسوّى سطحها بآلات حديدية، هذه طريقة استخدمها القدماء، أما الآن فيعمل حفيرة طويلة تصل إلى متر ويوضع بداخلها ديناميت «أو بارود» ثم تشعل فيحدث انفجار ويتشقّق الجبل فتخرج قطع حجرية تهذّب وتسوّى وتجهّز للمعمار.

وطريقة البناء بالحجر في اليمن قديمة فقد استخدمها اليمانيون عبر تاريخهم الطويل فأنشأوا من الحجر سدّ مأرب ومدن عديدة كمأرب ومعين وكقصر غمدان في صنعاء، وكانت طريقة البناء بأن تحضر

(١) الديري، المصدر السابق ص٣١٦ و٣١٧.

الحجارة وتصفّ إلى جوار بعضها من الداخل والخارج وتشكّل بذلك جداراً مزدوجاً ويوضع بينهما (ما يسمّى بالدبش) وهو كسر من الحجارة الصغيرة والطين بينما توضع بعض الأحجار عرضية للربط بين الجدار المزدوج ثم يوضع المدماك الثاني فوقه وهكذا.

إلا أنه لا بد أن يدخل المدماك الثاني قليلًا عن الأسفل حتى لا تكون حوافها على استقامة واحدة وذلك ليكسب المداميك السفلية قوة تحمل أكبر وهذا ما نشاهده في جميع مباني صنعاء في الطوابق السفلية وفي المساجد كالجامع الكبير وفي قواعد مآذننا مآذن صنعاء.

الآجرّ ـ الطابوق

الآجرّ كلمة فارسية معربة(١) وهي من مواد البناء التي عرفها الإنسان منذ القدم بسبب وفرة المادة الطينية في الطبيعة بالإضافة إلى سهولة استعمالها في البناء، فقد استخدمها سكان الرافدين منذ الألف الرابع ق. م فقد عثر في الوركاء على بعض الأبنية المشيّدة من الحجر والآجرّ والكلس وفي جمدة نصر ثم استعمل الآجرّ المشويّ على نطاق واسع في بداية الألف الثالث ق. م(٢).

ويعدّ الآجرّ حتى الآن المادة التي لا تضاهيها أي مادة بنائية من حيث التكلفة أو القوة ومقاومة التغيرات الجوية(٣) وهي من المواد التي يسهل تقطيعها وتهذيبها والنقش عليها، أما صناعة الآجرّ فتمثل مرحلة حضارية متطوّرة لم يبلغها الإنسان إلا بعد تجارب عديدة(٤) وتتضمّن صناعة الآجرّ عمليتين: تحضير اللبن وحرقه واللبن عبارة عن خليط من الطفلة الطينية والمواد العضوية كالقش وفضلات الحيوانات والرمال وبعض الأكاسيد أهمها أوكسيد الحديد ومعدن الطفلة (الكاولين) وتترك

---

(١) ابن منظور، المصدر السابق ج٤ ص١١.

(٢) حسن، حميد محمد، مواد البناء في العمارة العراقية القديمة، مجلة التراث والحضارة ع١٠ و١١، ١٩٨٩ ص٩٨.

(٣) الدواف، يوسف ـ إنشاء المباني والمواد الإنشائي ص١١.

(٤) حسن، حميد محمد، البيت العراقي في العصر العثماني، عناصره العمارية والزخرفية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، بغداد ١٩٨٣، ص٣٨٢.

العجينة حتى تتبخّر وتتفكّك التربة وتتوزّع الرطوبة بين أجزائها لإعطائها الليونة اللازمة[١] وتتم العملية بواسطة قوالب مستطيلة الشكل معمولة من الخشب مفتوحة من أعلى وأسفل ويتم تعبئة القالب بالطين وتسوية سطحه ويتم نزع القالب ويترك ليجفّ تحت تأثير أشعة الشمس[٢]، وقد استخدم اللبن في البناء في اليمن وخير مثال مدينة شبام حضرموت فقد وصل البناء فيها إلى ٩ طوابق.

وبعد الجفاف يتمّ حرق اللبن في أفران عند درجة حرارة تتراوح بين ٥٠٠ ـ ٧٠٠°م[٣] بذلك يتحول اللبن إلى طابوق أحمر، وقبل عملية الحرق يوضع اللبن بشكل منتظم يتخلّلها فضلات الحيوانات وذلك لكي تساعد على الاشتعال ويتخلّل النار بين صفوف اللبن وبعد وضع اللبن وملء الفرن ووضع الخشب في أرضية الفرن تشعل هذه الأخشاب من فتحة سفلية للفرن ويستمر بقاء الآجرّ داخل الفرن لمدة ١٥ يوماً ثم تفتح الأبواب للتبريد[٤].

وقد استخدم الآجرّ في اليمن على نطاق واسع لتشييد المباني وخاصة الطوابق العليا من المبنى، وبالنظر إلى صنعاء نجد نوعين من الطابوق من حيث الحجم واللون فالحجم ١٦ × ١٦ × ٨ أو ١٦ × ١٦ × ٤ ويغلب على الآجرّ في صنعاء اللون الأصفر والرمادي والسبب في ذلك إما عدم الوصول إلى درجة الإحراق أو أن الطفلة المستخدمة لا تحمرّ بالإحراق أو الغبار المثار في صنعاء.

وطريقة البناء تتمّ بوضع الآجرّ بشكل مستطيل على حافة الجدران الحجرية في الطابق الأرضي وفي المآذن على القواعد وذلك بعمل جدار مزدوج يملأ بالوسط (بالدبش) مع إضافة الطين اللّين كما توضع أحياناً قطع خشبية بين بعض الطوابق وعلى مسافات معينة، ويوضع بين كل

---

(١) قزاز، مجيد، صناعة الطابوق في العراق، مجلة عالم الصناعة، ع٩ السنة الثانية آب ١٩٧٢ ص٨٥.

(٢) عثمان، محمد عبده، المدرسة في زبيد، ص١٣٣.

(٣) صالح، المصدر السابق.

(٤) عثمان، المصدر السابق ص١٣٣.

مدماك وآخر طبقة جصّية رابطة تساعد على قوة التماسك بين المداميك.

الخشب: استخدم الخشب كمادة إنشائية أساسية لعمل الأسقف والدعامات كما استخدمت في مآذننا كعوارض لحمل الدرج في بعض المآذن وذلك بعمل عوارض خشبية تصل بين قطب المئذنة وجدارها ويوصل بين العارضتين فروع خشبية أقلّ سمكاً من العوارض وتغطى بطبقة طينية توضع الدرجات عليها ومن أشهر الخشب المستخدم في اليمن العلب (السدر) والطنب والأثل[١].

ثانياً ـ الملاط

استخدم المعمار في بناء مآذن صنعاء طبقة ملاط كمادة رابطة بين مداميك البناء الحجري والآجرّ وهذا الملاط استخدم قديماً في جميع الحضارات القديمة، والملاط أنواع هي:

١ ـ الطفلة الطينية

استخدم هذا النوع من الملاط في أغلب المباني المشيّدة من الحجر والآجرّ وهي ما زالت تستخدم حتى وقتنا الحاضر، وذلك لصلاحيتها الكبيرة ولسهولة الحصول عليها ورخص تكلفتها، كما أنها لا تحتاج إلى خبرة، بل يمكن تحضيرها في نفس موقع المبنى، وذلك بتصفية الطفلة الطينية مما قد يظهر عليها من شوائب وأحجار ثم تعجن بالماء مع إضافة كمية مناسبة من القشّ والأعشاب الصغيرة ونسبة من الرماد ونسبة بسيطة من فضلات الحيوان ثم تخمّر وتكون بعدها جاهزة للاستخدام، واستخدمت أيضاً كطبقة غطّيت بها سطوح المبنى من الداخل وهو ما نشاهده في مآذننا بحيث أصبحت سطوح الجدران مقبولة.

٢ ـ الجصّ (الجبس)

هو كلمة فارسية معربة[٢] وهو من المواد المشهورة في مدينة

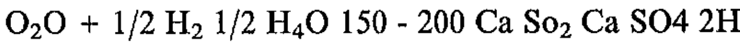
(١) أمين، أحمد محمد عبد الحميد ـ العمارة والبناء، الموسوعة اليمنية ج٢ ص٥٨٥.

(٢) ابن منظور، المصدر السابق ج٧ ص١٠.

صنعاء أكثر من غيرها من المدن اليمنية(١) ويسمّيه أهل الحجاز القصّة، أما بالنسبة لتعريفه العلمي، فهو معدن طبيعي متبلور وتركيبه الكيميائي كبريتات الكالسيوم المائية Ca SO4. sH20 ويوجد إما بصورة طبقات في جبال الحجر الجيري أو ما تذيبه مياه الأمطار وتحمله السيول، وبعد تبخّر الماء يترك طبقة شفّافة برّاقة من معدن الجبس(٢).

وقد رافق الجبس الإنسان منذ القدم وحتى اليوم بسبب توفّره وسهولة الحصول عليه، ففي صنعاء يحضر الجصّ من منطقة شبام الغراس ويستخرج منها الأحجار الجبسية التي تقع على عمق ٨ أمتار من سطح الأرض نتيجة للاستهلاك وهذه المنطقة هي التي تمدّ صنعاء بهذه المادة.

أما عملية تحضير الجصّ، فبعد أن يتم إخراج الأحجار من المحاجر توضع داخل الفرن وترصّ بشكل منتظم ثم يقوم العاملون بوضع الخشب في أسفل الفرن وتشعل النار(٣) ويترك حتى تحرق الأحجار وبعد ذلك نجد أن معدن الجبس يفقد ٣/ ٤ الماء المتّحد معه كيميائياً ويتحوّل إلى مسحوق أبيض ناعم له قابلية شديدة للاتحاد بالماء

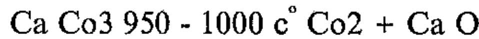

$O_2O + 1/2\ H_2\ 1/2\ H_4O\ 150 - 200\ Ca\ So_2\ Ca\ SO4\ 2H$

مرة أخرى فيتحوّل إلى مادة متماسكة ونتيجة لسهولة الحصول عليه ودرجة الحرارة المنخفضة وشراهة المادة الناتجة للاتحاد بالماء مرة ثانية وتحوّلها إلى مادة صلبة متماسكة(٤) تربط ما حولها فقد شاع استخدامها على نطاق واسع في اليمن وخاصة صنعاء إذ تكاد تكون هذه المادة من السمات المميّزة لمدينة صنعاء فلا يخلو مبنى من مبانيها من هذه المادة سواء في الخارج أم الداخل، فقد أغرم المعمار في صنعاء باستخدام هذه المادة البيضاء في زخرفة المباني سواء الدينية أم المدنية.

(١) أمين، المصدر السابق ص٥٨٦.
(٢) صالح، المصدر السابق محاضرات.
(٣) عثمان، المصدر السابق ص١٣٤ و١٣٥.
(٤) صالح، المصدر السابق محاضرات.

٣ ـ الجير (النورة)

وتحضر بنفس طريقة تحضير الجصّ وذلك بإحراق الحجر الجيري الذي هو عبارة عن كربونات الكالسيوم حيث يتصاعد ثاني أوكسيد الكربون ويتحوّل إلى أوكسيد كالسيوم المعروف (بالجير الحيّ) ويتم إطفاء الجير الحيّ باحتراس شديد بالماء حيث يتحوّل إلى هيدروكسيد الكالسيوم مع انطلاق كمية كبيرة من الحرارة وهيدروكسيد الكالسيوم يسمّى الجير المطفأ ويعتبر المادة الأولية لملا الجير، ويتمّ بخلط الجير المطفأ حديثاً مع مادة مائية أو مخفّفة مثل الرمال أو الرماد بنسبة ثلاثة أضعاف الجير، وتركيب الجير الكيميائي كالتالي:



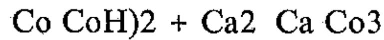
$Ca\ Co_3\ 950 - 1000\ c^{\circ}\ Co_2 + Ca\ O$

كربونات الكالسيوم الحرارة ٩٥٠ ـ ١٠٠٠°م ثاني أوكسيد الكربون متصاعد + أوكسيد الكالسيوم.



$Ca\ o + H_2O\ \ Ca\ C\ OH)_2 + Heat$

أكسيد الكالسيوم + ماء هيدروكسيد الكالسيوم (الجير) المطفا + حرارة



$Co\ CoH)_2 + Ca_2\ \ Ca\ Co_3$

هيدوركسيد الكالسيوم + ثاني أوكسيد الكربون كربونات الكالسيوم

وبعد استخدام الجير في البناء تبدأ سلسلة التفاعل السابقة بحيث يرجع في حالته الأولى في الحجر وبهذا يعتبر الجير (النورة) من أهم أنواع الروابط لشدّة تماسكه وقوة ربطه لأنه يرجع إلى صيغته الأولى من القوة والتماسك، وقد استخدم في صنعاء لعمل الميازيب ولتغطية الأسقف لمنع تسرّب المياه وفي مآذننا استخدم لتغطية أحواض الشرفات والميازيب وأعالي القباب.

القضاض

يتألف القضاض من مادتين أساسيتين هما (النورة الجير) (والهشاش الجصّ) مع الماء ويستخرج القضاص من مناجم (الخرشاب = الحجارة الكلسية) وتكون هذه المناجم عادة في الشواهق الجبلية مترسّبة عند ينابيع

مياه قديمة مشكّلة بذلك حيوداً وصخوراً من الكلس ويقوم العمّال بجمعها ووضعها في أفران دائرية الشكل قطرها ٣ ـ ٤م وارتفاعها مثل ذلك ثم يوضع الخرشاب في الفرن ويسقف بأحجار رقيقة ويتركون بينها فراغات ثم يوضع الحطب فوق الخرشاب فيشعلون النار وتستمرّ بضعة أيام تتحوّل الأحجار إلى قطع حمراء وبعد أن تبرد تستخرج وتوضع في أكوام ثم يصبّ عليه الماء بحرص شديد حيث تنطلق حرارة بسبب التفاعل وقال الشاعر عمرو بن كلثوم:

مشعشعة كأن الجصّ فيها إذا ما الماء خالطها سخينا

ثم تتحوّل الأحجار إلى مادة بيضاء ناعمة ثم تستخدم مثل النورة[1] في التجصيص أو لتغطية الأسقف من الأعلى لمنع تسرّب المياه وهذه المادة شائعة منذ ما قبل الإسلام فنشاهدها على جدران سدّ مأرب الذي يرجع إلى فترة ما قبل الميلاد، ثم استخدمت في العصور الإسلامية فتشاهد على سقف الجامع الكبير بصنعاء ثم توالى استخدامها وصولاً إلى اليوم وعلى مختلف الأصعدة، والقضاض مادة معمّرة إذا تتابعت صيانتها بين الحين والآخر وتنفيذها متعب ومكلف لذلك قصر استخدامها على المباني المهمة كالمساجد والسدود وقنوات الري وقد استخدم شحم البقر (دهن) كدهان للقضاض بعد تنفيذه حتى يجعل القضاض أكثر مقاومة للظروف المحيطة ومنع تسرّب المياه[2].

(١) الأرياني، مطهر، القضاض، الموسوعة اليمنية ج٢ ص٧٧١ و٧٧٢.
(٢) أمين، المصدر السابق ص٥٨٧.



الخاتمة

أخذ الاهتمام المتزايد يتجّه مؤخّراً نحو الآثار اليمنية وذلك لما تتمتع به اليمن من موروث حضاري وإنساني يتجلّى في آثاره الشاخصة سواء في آثارها ما قبل الإسلام أم الآثار الإسلامية حتى أقبلت البعثات الأجنبية تبحث بشغف منقطع النظير عن أسرار هذه الحضارة فكانت البعثات أغلبها تقوم بعملية التنقيب في الآثار القديمة، أما بالنسبة للآثار الإسلامية فنجد أن جميع البعثات التي أتت إلى اليمن قامت بعمل مسوحات بسيطة لا تمتّ بصلة للمآذن سواء في صنعاء أم غيرها.

ويمثّل البحث الموسوم مآذن مدينة صنعاء حتى نهاية القرن ١٢هـ ـ ١٨م أولى الدراسات المهمة في مجال العمارة العربية الإسلامية في اليمن، كما يعتبر أساساً للمهتمّين بالعمارة الإسلامية اليمنية، ومن خلال دراستنا لمآذن صنعاء تبيّن لنا:

١ ـ أن مآذن صنعاء تطوّرت عن مآذن جبلة التي ترجع إلى سنة (٤٨١هـ) والتي اتخذ فيها النمط المعماري المكوّن من القاعدة المربّعة والبدن المقسم إلى قسمين الأدنى مثمّن الأضلاع يعلوه بدن إما إسطواني أو مضلّع.

٢ ـ كما اعتمدت مآذن صنعاء في تطوّرها من مئذنتي الجامع الكبير اللتين ترجعان إلى سنة (٦٠٣هـ) المكوّنة من القاعدة المربّعة والبدن الإسطواني والذي غلب على مآذن المرادية والفليحي وفروة.

٣ ـ إن نظام مآذن صنعاء قد اعتمد القاعدة المربّعة المجوّفة والمستقلّة عن المسجد.

٤ ـ عمد المعمار العربي في صنعاء إلى تقسيم البدن في مآذنه إلى قسمين الأدنى مثمّن يعلوه إسطواني كما في مئذنة المدرسة وصلاح الدين والمرادية والفليحي وفروة وعقيل والأبهر ومضلّع كمئذنة الزمر والبكيرية والمهدي عباس وخضير وهو ما لا نلاحظه في بقية مآذن العالم الإسلامي فهو بذلك يعتبر ميزة معمارية لمآذن صنعاء.

٥ ـ اعتمد المعمار في صنعاء الشرفة الواحدة للمآذن يعلوها جوسق ذو ارتفاع عال اتّخذ شكلًا مثمّناً أو إسطوانياً.

٦ ـ وعلى الرغم من أن بعض المآذن بنيت بأوامر من الولاة العثمانيين على صنعاء إلا أنها بعيدة الصلة بالمآذن العثمانية التي اعتمدت شكل القلم الرصاص(١) حيث اتخذت مآذن صنعاء الطابع اليمني الخاص فمثلًا مئذنة صلاح الدين التي بنيت بأمر الوزير حسن باشا قد أخذت طريقها من مئذنة المدرسة التي بناها الإمام شرف الدين، وكذلك مئذنة البكيرية أما مئذنة المرادية والفليحي وفروة فقد أخذت طريقها من مئذنتي الجامع الكبير بصنعاء.

٧ ـ تميّزت بعض مآذن صنعاء بعلوّها الشاهق إذ بلغ ارتفاع بعضها إلى ٤٥م والسبب في صمود تلك المآذن يرجع إلى القاعدة المربّعة المبنيّة من الحجر الذي له القابلية على تحمّل الثقل وثبوته على أرضية صلدة إلى جانب بناء بقية المئذنة من الآجرّ ذي الميزة الخفيفة.

٨ ـ كما تميّزت مآذن صنعاء بالزخرفة الهندسية المنفّذة بالجصّ وإن وجدت أحياناً منفّذة بالآجرّ فكان على القسم الأدنى من البدن وغلب على الزخرفة المعين وإن كان له أصول قديمة إلا أنه يعدّ ميزة لمآذن صنعاء عن غيرها من المآذن اليمنية.

٩ ـ تميّزت بعض مآذننا بوجود ميل على هيئة طائر الحمام ـ الذي يرمز إلى السلام ـ وهذا ما لا نجده في بقية المآذن كما أنه كان لمآذن الجامع

---

(١) مرزوق، الفن الإسلامي، ص٦٤ وعبد الجواد، المصدر السابق ص٥٦ وأصلان، المصدر السابق ص٧٧.

الكبير سبق في عمل ميل على صورة سفينة[١] مما يدلّ على التنوّع باتخاذ الميل إلى جانب الجوازات والهلال، وهذا مغاير لما نشاهده في مآذن مدينة السلام التي اعتمدت الكرات والهلال دون التنوّع، وإن كان الميل قد أخذ طريقه من الرايات العربية سواء في الحضر[٢] أم من شارات الجيش الإسلامي والتي تتكون من جوزات تنتهي بقرص كتب عليه لفظ الجلالة، أما بالنسبة لبقية العناصر المعمارية للمئذنة فلا نستطيع إلا أن نقول إن أغلبها يرجع فضل ابتكارها إلى العراق كالمقرنص والعقد.

كما تميزت مآذننا بتزيّنها بالشرفات التي زيّنت أعلى القاعدة وكذلك أعلى الجزء الأدنى من البدن وهو ما نشاهده في مئذنة المدرسة وعقيل والزمر وموسى.

ولذا يمكن أن نجمل بالقول إنه لم يلحق بطراز المئذنة اليمنية في صنعاء بتقسيماته ذات القاعدة المربّعة والبدن المقسّم إلى قسمين إذ في مثمّن يعلوه إسطواني أو مضلّع وبطابقه العلوي المثمّن أثناء الاحتلال العثماني لليمن من تغيير ومضى طرازها دون أن يتأثر بالأسلوب العثماني الذي كان من مميزاته النحافة وارتفاع البدن المتعدّد الأضلاع الذي يبدو إسطوانياً والذي يحمل شرفتين خفيفتي البروز[٣].

وتتميّز مآذن صنعاء بخصائص عربية إسلامية من حيث التكوين العماري وأسلوب البناء وليس فيها شيء يمتّ بصلة إلى الطراز العثماني، فأصبح للمئذنة قاعدة مربّعة المسقط يعلوه بدن مقسم إلى قسمين الأدنى مثمّن ثم مستدير[٤] أو مضلّع وينتهي بصفوف المقرنصات التي تحمل شرفة المؤذّن ثم الجوسق المتعدّد الأضلاع المفرغ بفتحات ضيقة.

ويمكن القول إن مآذن صنعاء قد نهجت نهج المآذن المملوكية في

---

(١) العرشاني، المصدر السابق ص٥٢٢.
(٢) العاني، المآذن ص٢٠٥.
(٣) عكاشة، المصدر السابق ص١٢٩.
(٤) شافعي، المصدر السابق ١٩٨٢ ص١٦٦.

مصر من حيث إن طرازها مربّع ثم مثمّن فمستدير[١] مع إضافات مثل تقسيم البدن إلى مثمّن ثم مستدير أو مضلّع وتكثيف المقرنصات الزخرفية وتطوّر الجوسق الذي ينتصب فوق شرفة المؤذّن الذي يتميز بالارتفاع وتخلّل كل ضلع نافذ أو حنية معقودة.

وتكمن أهمية مآذن صنعاء بتطورّها فإذا بالتفاصيل الزخرفية تزداد غزارة وإذا بنسب طوابقها تكتسب المزيد من الرشاقة والأناقة والتنوّع في التصميم متمثلًا في مئذنة المدرسة والزمر وعقيل وصلاح الدين والبكيرية وموسى والأبهر.

وفي الوقت نفسه يمكن القول إن معظم المآذن في صنعاء لم تعدّ عنصراً عمارياً فحسب بل غدت في نفس الوقت عنصراً فنياً يزدان بتفاصيل زخرفية بغزارة مما أضفى على البناء الصفة الجمالية بحيث لم يترك مساحة من سطوح جوانبها المختلفة دون أن يجمّلها إما بزخارف هندسية كالمعينات أو عناصر عمارية على هيئة حنايا أو فتحات، إضافة إلى المقرنص حيث لم يكن الهدف منه عمارياً بقدر ما كان زخرفياً أيضاً.

(١) عكاشة، المصدر السابق ص١٢٧.

قائمة المراجع

١ ـ **ابن الأثير**: أبو الحسن علي بن عبد الكريم عز الدين ت٦٣٠هـ الكامل في التاريخ دار صادر بيروت ـ لبنان ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.

٢ ـ **ابن بطوطة**: محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي ت٧٧٩هـ ١٣٧٧م تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأصفار دار صادر بيروت ـ لبنان ١٩٦٤م.

٣ ـ **ابن جبير**: أبو الحسن بن أحمد ت ٦١٤هـ. رسالة اعتبار المناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروف برحلة ابن جبير دار الهلال بيروت ـ لبنان ١٩٨١م.

٤ ـ **ابن الجوزي**: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ت ٥٩٧هـ ١٢٠٠م. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم مطبعة دائرة المعارف العثمانية/ الهند ـ حيدر آباد ت ٣٥٧هـ.

٥ ـ **ابن الحسين يحيى**: غاية الأماني في خيار القطر اليماني تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور جزءان دار الكتاب العربي القاهرة ١٩٦٨م.

٦ ـ **ابن حوقل**: أبو القاسم محمد بن علي النصيبي ٣٦٧هـ ٩٧٨م. صورة الأرض مطبعة بريل ـ لندن ١٩٤٨م.

٧ ـ **ابن داعر**: عبد الله بن صلاح بن داود بن علي غير معروف تاريخ وفاته. الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية مجلد ٣ مخطوط نقلاً عن خليفة ربيع حامد مجلة كلية الآداب جامعة صنعاء غ ١٢ س١٩٩١.

٨ ـ **ابن الديبع**: عبد الرحمن بن علي ت٩٤٤هـ. بغية المستفيد في تاريخ زبيد تحقيق عبد الله الحبشي مركز الدراسات والبحوث اليمنى صنعاء ١٩٧٩م.

٩ ـ **ابن الديبع**: الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد تحقيق يوسف شلحد مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء ١٩٨٣م.

١٠ ـ **ابن الديبع**: قرة العيون بأخبار اليمن الميمون/تحقيق محمد بن علي الأكوع الجزء الأول بتقسيم المحقق المطبعة السلفية القاهرة ١٣٩١هـ ١٩٧١م.

١١ ـ **ابن الديبع**: قرة العيون بأخبار اليمن الميمون الجزء الثاني بتقسيم محمد بن علي الأكوع مطبعة السعادة القاهرة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

١٢ ـ **ابن رستة**: أبي علي أحمد بن عمر الأعلاق النفيسة طبع في مدين ليدن ١٨٩٤م.

١٣ ـ **ابن سعد**: محمد بن سعد بن منيع البصري ت ٢٣٠هـ. الطبقات الكبرى تقديم إحسان عباس دار صادر بيروت ـ لبنان ١٩٦٠م ١٣٨٠هـ.

١٤ ـ **ابن سيدة**: أبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي ت ٤٥٨هـ المخصص دار الفكر بيروت ـ لبنان ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

١٥ ـ **ابن عذاري**: المراكشي البيان المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب تاريخ أفريقية والمغرب من الفتح العربي إلى القرن الرابع الهجري تحقيق ج. س كولان، اليفي برفنسال دار الثقافة بيروت ـ لبنان بدون تاريخ.

١٦ ـ **ابن عبد الحكم**: أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد اللّه ت ٢٧٦هـ فتوح مصر وأخبارها طبع في مدينة ليدن مطبعة بريل ١٩٢٠م.

١٧ ـ **ابن فارس**: أبي الحسن أحمد معجم مقاييس اللغة تحقيق عبد السلام هارون مطبعة دار الفكر للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

١٨ ـ **ابن الفقيه**: أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني مختصر كتاب البلدان تحقيق ميشيل جان فوريه ليدن بريل بدون تاريخ.

١٩ ـ **ابن كثير**: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ت ٧٧٤هـ تفسير القرآن العظيم بيروت ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٢٠ ـ **ابن كثير**: البداية والنهاية مكتبة المعارف بيروت ١٩٦٦م ١٩٧٨م.

٢١ ـ **ابن كثير**: السيرة النبوية تحقيق مصطفى عبد الواحد القاهرة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

٢٢ ـ **ابن المجاور**: جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن أحمد ت ٦٩٠هـ صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة بتاريخ المستبصر، اعتنى بتصحيحه أو سكرلونفرين ط٢ دار التنوير للطباعة والنشر بيروت لبنان ١٩٨٦م.

٢٣ ـ **ابن منظور**: أبو الفضل جمال بن محمد بن مكرم ت ٧١١هـ لسان العرب دار صادر للطباعة والنشر بيروت لبنان ١٩٦٦م.

٢٤ ـ **ابن هشام**: أبي محمد بن عبد الملك بن هشام. السيرة النبوية راجع أصولها محمد محيي الدين عبد الحميد مكتبة ومطبعة البابي الحلبي مصر ط٢ ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م.

٢٥ ـ **أبو العلاء**: محمود طه. جغرافية شبه جزيرة العرب جغرافية اليمن الشمالي والجنوب الجزء ٣، ٤ مطابع سجل العرب ١٩٧٢م.

٢٦ ـ **أبو الفداء**: عماد الدين إسماعيل بن نور الدين بن عمر صاحب حماة ت ٧٣٢هـ. تقويم البلدان عني بتصحيحه رينود دوالبارون مارك كوكبي وسلان باريس ١٨٤٠م.

٢٧ ـ **أحمد**: محمد عبد العال. الأيوبيون في اليمن مع مدخل في تاريخ اليمن الإسلامي إلى عصرهم دار المعرفة.

٢٨ ـ **الأدريسي**: الجامعية الإسكندرية مصر ١٩٨٩م. أبو عبد اللّه محمد الصقلي.

٢٩ ـ **آرنولد**: وصف المسجد/الجامع بقرطبة مطبعة كريونيل الجزائر ١٩٤٩م. كريستي. تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة ترجمة زكي محمد حسن.

٣٠ ـ **الإرياني**: مكتبة السائح طرابلس لبنان ١٩٨٤م. مطهر بن علي القضاض الموسوعة اليمنية جزءان دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٣١ ـ **الأصطخري**: أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف

بالكرخي ت في النصف الأول من ق ٤هـ المسالك والممالك تحقيق محمد جابر عبد العال الجبني مراجعة محمد شفيق غربال مطابع دار القلم الجمهورية العربية المتحدة ودار الثقافة والإرشاد القومية ١٣٨١هـ ١٩٦١م.

٣٢ ـ **أصلان**: أو قطاي. فنون الترك وعمائرهم ترجمة أحمد محمد عيسى مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة استانبول ١٩٨٧.

٣٣ ـ **الأعظمي**: خالد خليل. الزخارف الجدارية في آثار بغداد منذ تأسيسها حتى نهاية العصر الجلائري. دار الرشيد بغداد ١٩٨٠.

٣٤ ـ **الأكوع**: إسماعيل بن علي. المدارس الإسلامية في اليمن بيروت لبنان ط٢ ١٩٨٦م.

٣٥ ـ **الأكوع**: مصاحف صنعاء متحف الكويت الوطني دار الآثار الإسلامية ١٤٠٥هـ. لمحة تاريخية عن مدينة صنعاء ـ الآثار الإسلامية في الوطن العربي وقائع المؤتمر.

٣٦ ـ **الأكوع**: التاسع للآثار في البلاد العربية صنعاء ١٩٨٠م المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس ١٩٨٥م.

٣٧ ـ **الأكوع**: محمد بن علي. اليمن الخضراء مطبعة السعادة ١٣٩١هـ ١٩٧١م.

٣٨ ـ **الأكوع**: الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام حتى سنة ٢٣٢هـ دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٦م.

٣٩ ـ **الأكوع**: وصف صنعاء مجلة الإكليل ٣,٢ خاص بصنعاء ١٩٨٢م.

٤٠ ـ **الألفي**: أبو صالح. الفن الإسلامي أصوله فلسفته دار المعارف لبنان ط٢ ١٩٧٤.

٤١ ـ **الألوسي**: محمود شكري. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب مطبعة دار السلام بغداد ١٣١٤هـ ١٩٨٦م.

٤٢ ـ **أمين**: أحمد محمد عبد الحميد. العمارة والبناء الموسوعة اليمنية جزءان دار الفكر المعاصر بيروت ١٤١٢هـ ١٩٩٢.

٤٣ ـ **الأهدل**: السيد محمد بن علي الأهدلي. نشر الدر المكنون مع فضائل اليمن الميمون دار المناهل للطباعة والنشر بيروت لبنان ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٤٤ ـ **با مخرمة**: أبي محمد عبد اللّه الطيب عبد اللّه بن أحمد. تا ريخ ثغر عدن دار التنوير للطباعة والنشر بيروت لبنان ط٥ ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

٤٥ ـ **بتلر**: الفرد ج. فتح العرب لمصر، عرّبه محمد فريد أبو حيد دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٥١هـ.

٤٦ ـ **البخاري**: أبي عبد اللّه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ٢٥٦هـ. صحيح البخاري دار العلم بيروت ط١ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٤٧ ـ **بريتون**: جان فرانسوا. معبد عثتر بمدينة السوداء في الحوف ـ الجمهورية اليمنية صنعاء ١٩٩٠م.

٤٨ ـ **البستاني**: بطرس. محيط المحيط، قاموس مطوّل للّغة العربية مكتبة لبنان ١٩٧٧.

٤٩ ـ **البستاني**: قطر المحيط بيروت ١٨٦٩.

٥٠ ـ **البلاذري**: أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٦٩هـ. فتوح البلدان بتحقيق صلاح الدين المنجد مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة ١٩٥٩م.

٥١ ـ **بلبع**: محمد توفيق. المئذنة نشأتها وتطوّر عمارتها مجلّة المتحف العربي السنة الثانية العدد الثالث ١٤٠٦هـ ١٩٨٧م.

٥٢ ـ **بهنسي**: عفيف. تاريخ الفن والعمارة طبعة ثالثة المطبعة الجديدة دمشق ١٩٧٦م.

٥٣ ـ **بهنسي**: الشام لمحات آثارية وفنية دار الرشيد للنشر وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية ١٩٨٠م.

٥٤ ـ **ترسيس**: عدنان. اليمن وحضارة العرب مع دراسة جغرافية كاملة دار مكتبة الحياة بيروت بدون تاريخ.

٥٥ ـ **تمام**: مصطفى متولي. جغرافية صنعاء رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة صنعاء ١٩٨٥م.

٥٦ ـ **تقرير**: مقدم إلى المؤتمر التاسع للآثار عن أوضاع الآثار الإسلامية في جمهورية اليمن الديمقراطية المنعقدة في صنعاء ١٩٨٠ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس ١٩٨٥م.

٥٧ ـ **التلمساني**: أحمد بن محمد المقري نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب حقّقه إحسان عباس دار صادر بيروت ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م.

٥٨ ـ **الجرافي**: عبد اللّه عبد الكريم المقتطف من تاريخ اليمن تقديم الياس عبود ط٢ مؤسسة دار الكتاب الحديث ١٩٨٤م بيروت.

٥٩ ـ **الجعدي**: عمر بن علي بن سمرة ت ٥٨٦هـ. طبقات فقهاء اليمن تحقيق فؤاد سيد ط١ القاهرة ١٩٥٧م.

٦٠ـ **الجنابي**: كاظم. مئذنة سوق الغزل دار الجمهورية بغداد ١٩٦٦م.

٦١ ـ **الجنابي**: المئذنة نشأتها وتطورها مستل من مجلة كلية الشريعة العدد الأول ١٩٦٥م.

٦٢ ـ **الجندي**: أبي عبد اللّه بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب ت ٧٣٢هـ. السلوك في طبقات العلماء والملوك تحقيق محمد بن علي الأكوع جزءان بتقسيم المحقق مطبعة بساط بيروت لبنان ١٩٨٣م.

٦٣ ـ **الجواهري**: إسماعيل بن حماد. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تحقيق أحمد عبد الغفور عطار دار الكتاب العربي بمصر ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م.

٦٤ ـ **جوميت**: مانويل. الفن الإسلامي في إسبانيا ترجمة لطفي عبد البديع والسيد محمود عبد العزيز سالم الدار العربية للتأليف والترجمة بدون تاريخ.

٦٥ ـ **الحجري**: الحاج محمد بن أحمد. مساجد صنعاء عامرها وموفيها مطبعة دار إحياء التراث العربي ط٢ ١٣٩٨.

٦٦ ـ **الحداد**: عبد الرحمن صنعاء القديمة المضامين التاريخية والحضارية مؤسسة العفيف صنعاء ١٩٩٢م.

٦٧ ـ **الحديثي**: عطاء وهناء عبد الخالق. القباب المخروطية في العراق وزارة الثقافة مديرية الآثار العامة بغداد ١٩٧٤م.

٦٨ ـ **الحديثي**: نزار عبد اللطيف. أهل اليمن في صدر الإسلام دورهم واستقرارهم في الأمصار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٧٥م.

٦٩ ـ **حسن**: حميد محمد. البيت العراقي في العصر العثماني عناصره العمارية والزخرفية رسالة ماجستير غير منشورة بغداد ١٩٨٣م.

٧٠ ـ **حسن**: مواد البناء في العمارة العراقية القديمة مجلة التراث والحضارة العدد (١٠، ١١) سنة ٨٨ ـ ١٩٨٩م.

٧١ ـ **حسن**: زكي محمد. فنون الإسلام طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط١ ١٩٤٨م.

٧٢ ـ **حسن**: تطور المآذن مجلة الكتاب تصدر عن وزارة المعارف مصر السنة الأولى المجد ٢ ح١١/ ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م.

٧٣ ـ **الحضرمي**: عبد الرحمن عبد اللّٰه. زبيد وآثارها الإسلامية وأوضاعها الراهنة، الآثار الإسلامية في الوطن العربي المؤتمر التاسع للآثار في البلاد العربية المنعقد في صنعاء ١٩٨٠ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس ١٩٨٥م.

٧٤ ـ **الحميري**: محمد بن عبد المنعم الشهير بابن عبد المنعم ٨٦٦هـ. الروض العطار في خبر الأقطار معجم جغرافي حققه دار إحسان عباس مطبعة هيد البرع بيروت ط٢ ١٩٨٤.

٧٥ ـ **الحميري**: أبي عبد اللّٰه محمد بن عبد المنعم. صفة جزيرة الأندلس مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بيروت ١٩٣٧م.

٧٦ ـ **الحميري**: نشوان بن سعيد ت ٥٧٣هـ. شمس العلوم ودواء كلام العرب من العلوم مطبعة عيسى الحلبي بدون تاريخ.

٧٧ ـ **الحموي**: شهاب الدين أبي عبد اللّٰه ياقوت. معجم البلدان دار صادر بيروت ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.

٧٨ ـ **حيدر**: كامل أحمد. المقرنص في العمارة في العراق رسالة دكتوراه غير منشورة بغداد ١٩٩٠م.

٧٩ ـ **الخزرجي**: شمس الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر. العقود اللؤلؤلية في تاريخ الدولة الرسولية جزءان عني بتصحيحه محمد بن علي الأكوع ٢ مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء ١٩٨٣م.

٨٠ ـ **خليفة**: ربيع حامد. مساجد صنعاء في فترة الوجود العثماني الأول مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة ١٩٨٧م.

٨١ ـ **خليفة**: البكيرية المسجد والمدرسة مجلة الإكليل تصدرها وزارة الإعلام والثقافية صنعاء عدد/ ١ سنة ٥ ١٩٨٧م.

٨٢ ـ **خليفة**: أعمال الوزير حسن باشا مجلة كلية الآداب جامعة صنعاء.

٨٣ ـ **الدواف**: يوسف. إنشاء المباني والمواد الإنشائية الطبعة السادسة مطبعة الزمان بغداد ١٩٨٢م.

٨٤ ـ **الديري**: زياد. دراسة تصنيف أحجار البناء في الجمهورية اليمنية مجلة دراسات يمنية العدد ٤٣ سنة ١٩٩١.

٨٥ ـ **الديوه جي**: سعيد. جوامع الموصل في مختلف العصور مطبعة شفيق بغداد ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م.

٨٦ ـ **الرازي**: أحمد بن عبد اللّه ت ٤٦٠. تاريخ مدينة صنعاء عني بتحقيقه ووضع فهارسه حسين عبد اللّه العمري، عبد الجبار زكار ط١ ١٩٧٤م.

٨٧ ـ **الرازي**: محمد بن أبي بكر عبد القادر. مختار الصحاح عني بترتيبه محمد خاطر بك المطبعة الأميرية ببولاق مصر ط٢ ١٣٥٥هـ ١٩٣٧.

٨٨ ـ **رابضة**: أحمد صالح. معالم عدن التاريخية مجلة المنارة العدد الأول إبريل ١٩٨٨.

٨٩ ـ **رابضة**: معالمنا التاريخية والآثارية بين المصادر الكلاسيكية والأريوكوجية مجلة المنارة العدد ٤ مايو ١٩٨٩م.

٩٠ ـ **رابضة**: ولي اللّه العيدروس مجلة المنارة العدد ٦ مايو ١٩٩٠م.

٩١ ـ **روبان**: كرستيان. التقرير الأولي للبعثة الأثرية الفرنسية عن منطقة ظفار ذي بين الجمهورية العربية اليمنية تعريب الأستاذ أحمد ناجي ساري الآثار الإسلامية في الوطن العربي المؤتمر التاسع صنعاء ١٩٨٠م طبعة ٢ تونس ١٩٨٥م.

٩٢ ـ **روزاي**: باوني. تقرير أولي حول أوضاع منارة عدن ١٩٩٠م

٩٣ ـ **الريحاني**: أمين. ملوك العرب رحلة في البلاد العربية دار الريحاني للطباعة والنشر بيروت لبنان ط٥ ١٩٦٧م.

٩٤ ـ **الزاوي**: الطاهر أحمد. ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة دار الفكر بيروت ط٣ ١٩٧٩م.

٩٥ ـ **زبارة**: محمد بن محمد بن يحيى. أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر الهجري المطبعة السلفية القاهرة ١٣٧٦هـ.

٩٦ ـ **الزبيدي**: محمد مرتضى. تاج العروس من جواهر القاموس المطبعة الخيرية ١٨٨٨م.

٩٧ ـ **سالم**: السيد عبد العزيز سالم. المآذن المصرية نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح العربي حتى الفتح العثماني مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية بدون تاريخ.

٩٨ ـ **سالم**: السيد محمود عبد الغزيز سالم. المساجد والقصور في الأندلس سلسلة إقرار دار المعارف مصر ١٩٥٨.

٩٩ ـ **سالم**: السيد المصطفى. الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨ ـ ١٦٣٥م المطبعة العالمية مصر القاهرة ١٩٦٩م.

١٠٠ ـ **سامح كمال الدين**: العمارة العربية في صدر الإسلام الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م.

١٠١ ـ **سامح كمال الدين**: العمارة الإسلامية في مصر مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٣ ١٩٨٧م.

١٠٢ ـ **سلمان**: عيسى وهناء عبد الخالق ونجاة التوتونجي ونجلة العزي. العمارات العربية الإسلامية في العراق جزءان دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٢.

١٠٣ ـ **سلمان**: عيسى. العمارات الدينية في العراق حضارة العراق ج٩ دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٥م

١٠٤ ـ **السمهودي**: نور الدين علي بن أحمد ت ٩١١هـ. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى حققه محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة مصر ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م.

١٠٥ ـ **سيبويه**: أبي بشر عمرو بن عثمان بن منير. كتاب سيبويه تحقيق عبد السلام محمد هارون عالم الكتب بيروت ط٩ ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م.

١٠٦ ـ **شافعي**: فريد. العمارة العربية في مصر الإسلامية عصر الولاة مجلد الأول الهيئة العربية العامة.

١٠٧ ـ **شافعي**: للتأليف والنشر ١٩٧٠م.

١٠٨ ـ **شافعي**: العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها عمادة شؤون المكتبات جامعة ملك سعود الرياض ١٩٨٢م. مئذنة مسجد ابن طولون رأي في تكوينها العماري مجلة كليلة الآداب جامعة فؤاد الأول مجلد ١٤ سنة ١٩٥٢.

١٠٩ ـ **شجاع**: عبد الرحمن عبد الواحد. اليمن في صدر الإسلام من البعثة المحمدية حتى قيام الدولة الأموية دار الفكر دمشق ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

١١٠ ـ **شرف الدين**: أحمد حسين. تاريخ اليمن الثقافي، التراث الإسلامي مطبعة الكيلاني الصغير ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

١١١ ـ **شرف الدين**: اليمن عبر التاريخ مطبعة السنة المحمدية ط٢ ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

١١٢ ـ **شماحي**: القاضي عبد اللّه عبد الوهاب. اليمن الإنسان والحضارة دار الهناء للطباعة بيروت لبنان ١٩٧٢.

١١٣ ـ **الشوكاني**: محمد بن علي. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع بدون تحديد ومكان السنة والطبع.

١١٤ ـ **شيحة**: مصطفى عبد اللّه. مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية العربية اليمنية القاهرة ط١ ١٩٨٧م.

١١٥ ـ **شير نسكي**: سيرجي. أضواء على الآثار اليمنية تقرير صادر عن مركز الأبحاث الثقافية لجمهورية اليمن الديمقراطية.

١١٦ ـ **صالح**: أحمد صالح. محاضرات في مادة ترميم مباني حجرية ١٩٩١م.

١١٧ ـ **الصبيحي**: محمد إبراهيم. الفن والعمارة عند العرب دار النهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة ١٩٧٤م.

١١٨ ـ **الصوفي**: أحمد. الآثار والمباني الإسلامية في الموصل مطبعة أم الربيعين الموصل العراق ١٣٥٨هـ ١٩٤٠م.

١١٩ ـ **الطبري**: أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ. تاريخ الرسل والملوك المطبعة الحسينية القاهرة ١٣٥٦هـ.

١٢٠ ـ **العابدي**: محمود. الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن، جمعية عمال المطابع التعاونية عمان ١٩٧٣م.

١٢١ ـ **عاشور**: سعيد عبد الفتاح وسعد زغلول عبد الحميد وأحمد مختار العبادي. دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية مطبعة ذات السلاسل للطباعة والنشر الكويت ط١ ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

١٢٢ ـ **العاني**: علاء الدين أحمد. المشاهد ذات القباب المخروطية في العراق المؤسسة العامة للآثار والتراث بغداد ١٩٨٢م. مآذن مدينة السلام رسالة دكتوراه غير منشورة بغداد ١٩٩٢م.

١٢٣ ـ **عبد الجواد**: توفيق. تاريخ العمارة والفنون ـ العصور الوسطى الأوروبية والإسلامية المطبعة الفنية الحديثة ط٢ ١٩٧٠م بدون تحديد مكان الطبع.

١٢٤ ـ **عبد الحميد**: سعد زغلول. العمارة والفنون في دولة الإسلام مطبعة المعارف الإسكندرية ١٩٨٦م.

١٢٥ ـ **عبد الله**: يوسف محمد. أوراق في تاريخ اليمن وآثاره جزءان بيروت ١٩٨٥م.

١٢٦ ـ **عبد الله**: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٨٦م.

١٢٧ ـ **عبد الله**: صنعاء المدينة العربية الإسلامية نبذة عن تاريخها ودعوة إلى صيانتها مجلة الإكليل ع ٢، ٣ سنة ١٩٨٢م.

١٢٨ ـ **العبدلي**: أحمد فضل بن علي محسن. هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة ١٣٥١هـ.

١٢٩ ـ **عبد الوهاب**: حسن. تاريخ المساجد الأثرية مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٦م.

١٣٠ ـ **عبو**: عادل نجم. القباب العباسية في العراق رسالة ماجستير غير منشورة بغداد ١٩٦٧م.

١٣١ ـ **عبو**: الأصل العماري للقبّة مجلة بين النهرين العدد ١٧ سنة ١٩٨٧م.

١٣٢ ـ **عثمان**: محمد عبده. المدرسة في زبيد تخطيطها وعمارتها رسالة ماجستير غير منشورة بغداد ١٩٩٢م.

١٣٣ ـ **العرشاني**: سري بن إبراهيم. الاختصاص ذيل تاريخ مدينة صنعاء للرازي تحقيق د/حسن العمري ١٩٨١م.

١٣٤ ـ **العرشي**: القاضي حسين بن أحمد العرشي. بلوغ المرام وشرح مسك الختام في من تولّى ملك اليمن من ملك وإمام عني بنشره الأب أنستاس الكرملي القاهرة ١٩٣٩م.

١٣٥ ـ **العزاوي**: عبد الستار. العقود والأبنية العراقية في العصور الإسلامية رسالة ماجستير غير منشورة بغداد ١٩٦٩م.

١٣٦ ـ **العش**: أبو الفرج. آثارنا في الإقليم السوري المطبعة الجديدة دمشق ١٩٦٠.

١٣٧ ـ **العظم**: نزيه مؤيد. رحلة في بلاد العربية السعيدة مطبعة عيسى السيابي الحلبي مصر لا يوجد مكان وسنة الطبع.

١٣٨ ـ **عكاشة**: ثروت. القيم الجمالية في العمارة الإسلامية دار المعارف القاهرة ١٩٨١م.

١٣٩ ـ **علام**: نعمت إسماعيل. فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية دار المعارف مصر ط٢ ١٩٧٧.

١٤٠ ـ **العلي**: صالح أحمد. خطط البصرة ومنطقتها مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٦م.

١٤١ ـ **العمري**: حسين بن عبد اللّه. مئة عام من تاريخ اليمن الحديث دار الفكر دمشق ١٩٨٤م.

١٤٢ ـ **العمري**: القبّة الموسوعة اليمنية دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

١٤٣ ـ **العمري**: يوسف محمد عبد اللّه «صنعاء» الموسوعة اليمنية جزءان دار الفكر المعاصر بيروت ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

١٤٤ ـ **العميد**: طاهر مظفر. تخطيط المدن العربية الإسلامية مطبعة جامعة بغداد ١٩٨٦م.

١٤٥ ـ **العميد**: آثار المغرب والأندلس دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل ١٩٨٩م.

١٤٦ ـ **العميد**: بغداد مدينة المنصور المدورة مطبعة النعمان النجف الأشرف ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

١٤٧ ـ **العميد**: العمارة العباسية في سامراء في عهدي المعتصم والمتوكل دار الحرية للطباعة بغداد.

١٤٨ ـ **العميد**: ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م. بناء مدينة زبيد في اليمن مجلة كلية الآداب جامعة بغداد العدد ٢٧ سنة ١٩٧٩م.

١٤٩ ـ **غربال**: محمد شفيق. الموسوعة العربية الميسرة الدار القومية للطباعة والنشر مصر ١٩٥٩م.

١٥٠ ـ **الغساني**: الملك الأشرف. العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك تحقيق شاكر محمود عبد المنعم. عني بتصحيحه وإخراجه علي الجافاني دار التراث الإسلامي، دار البيان، بغداد ١٩٣٥هـ ١٩٧٥م.

١٥١ ـ **فرغلي**: أبو الحمد. دراسات لأهم الآثار الإسلامية في عدن مجلة التاريخ والآثار تصدر عن الجمعية اليمنية للتاريخ والآثار العدد الأول ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

١٥٢ ـ **الفقي**: عصام الدين عبد الرؤوف. اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول دار الفكر العربي دمشق ١٩٨٢م.

١٥٣ ـ **فكري**: أحمد. المسجد الجامع بالقيروان دار المعارف مصر ١٣٥٥هـ ١٩٣٦م.

١٥٤ ـ **فكري**: المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها دار المعارف مصر ١٣٨١هـ ١٩٦١م.

١٥٥ ـ **فكري**: مساجد القاهرة ومدارسها في العصر الفاطمي دار المعارف مصر ١٩٦٥م.

١٥٦ ـ **فكري**: مساجد القاهرة ومدارسها ج٢ العصر الأيوبي دار المعارف مصر ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م.

١٥٧ ـ **فكري**: عوامل الوحدة في الآثار الإسلامية بالبلاد العربية المؤتمر الثالث في البلاد العربية فاس ١٩٥٩م.

١٥٨ ـ **فكري**: التأثيرات الفنية الإسلامية على الفنون الأوروبية مجلة سومر العدد السنة.

١٥٩ ـ **فنستر**: باربارة. تقارير أثرية من اليمن ترجمة عبد الفتاح البركاوي المعهد الألماني للآثار بصنعاء ١٩٨١م.

١٦٠ ـ **فنستر**: الجامع/الموسوعة اليمنية جزءان دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

١٦١ ـ **الفيروزأبادي**: مجد الدين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط ج٢ مؤسسة فن الطباعة مصر ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م. القاموس المحيط ج٤ دار الفكر بيروت لبنان ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

١٦٢ ـ **القاضي**: صباح. بيوت سامراء في ضوء التقنيات الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة بغداد ١٩٨٠م.

١٦٣ ـ **القرطبي**: أبي عبد اللّه محمد بن أحمد الأنصاري ت ٦٦١هـ. الجامع لأحكام القرآن مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٦٣هـ ١٩٢٤م.

١٦٤ ـ **قزاز**: مجيد. صناعة الطابوق في العراق القديم مجلة الصناعة العدد التاسع السنة الثانية آب ١٩٧٢م.

١٦٥ ـ **القلقشندي**: أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ. صبح الأعشى في

صناعة الإنشاء شرحه وعلق عليه نبيل خالد الخطيب دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٦٦ ـ **كربزويل**: ك. أ. س. الآثار الإسلامية الأولى ترجمة عبد الهادي عبلة مطبعة خالد بن الوليد دمشق ١٩٨٤م.

١٦٧ ـ **كربزويل**: تاريخ المآذن ومئذنة القيروان ترجمة محمد رجب مجلة المقتطف مجلد ٨٦ الجزء الرابع أبريل سنة ١٣٥٣هـ ١٩٣٥م.

١٦٨ ـ **كونل**: أرنست. الفن الإسلامي ترجمة أحمد موسى دار صادر بيروت ١٩٦٦.

١٦٩ ـ **لقمان**: حمزة علي إبراهيم. تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية دار مصر للطباعة ١٣٧٩هـ ١٩٦٠م.

١٧٠ ـ **لمعي**: مصطفى صالح. التراث المعماري الإسلامي في مصر دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ١٩٨٤.

١٧١ ـ **لومير**: إيلي. تطور العمارة الإسلامية في إسبانيا والبرتغال وشمال أفريقيا عرّبه عطا اللّه حلبان دار آسيا للطباعة والنشر ١٩٨٥م.

١٧٢ ـ **لويد**: سيتون وآثار بلاد الرافدين ترجمه سامي سعيد الأحمد دار الرشيد للنشر منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية ١٩٨٠م.

١٧٣ ـ **متز «آدم»**: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة ط٢ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥١م.

١٧٤ ـ **مجهول**: كاتب مراكشي من كتّاب القرن السادس هـ. الاستبصار في عجائب الأمصار وصفة مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد جامعة الإسكندرية ١٩٥٨

١٧٥ ـ **مجهول**: عاش في القرن ٩هـ. تاريخ الدولة الرسولية في اليمن تحقيق عبد اللّه الحبشي مطبعة الكاتب العربي دمشق ١٩٨٤م.

١٧٦ ـ **محمد**: غازي رجب. العمارة العربية الإسلامية في العصر الإسلامي في العراق مطبعة وزارة التعليم العالي العراقي ١٩٨٩.

١٧٧ ــ **محمد**: الجامع الكبير بصنعاء مجلة كلية الآداب جامعة بغداد العدد ٢٨ السنة ١٩٨٠.

١٧٨ ــ **محمد**: من روائع العمارة في اليمن القبة البكيرية في صنعاء مجلة كلية الآداب جامعة بغداد ع ٣٠ سنة ١٩٨١م.

١٧٩ ــ **محمد**: جامع الجند لبنة جديدة في هيكل العمارة الإسلامية مجلة اليمن الجديد العدد الأول السنة الحادية عشرة يناير ١٩٨٦م.

١٨٠ ــ **محمد**: مسجد السيدة بنت أحمد بحث غير منشور

١٨١ ــ **محمود**: حسن سليمان. تاريخ اليمن في العصر الإسلامي دار الجاحظ بغداد ١٩٦٩م.

١٨٢ ــ **مخلص**: عبد اللّه. مئذنة الجامع الأبيض في الرملة المطبعة الأدبية بيروت ١٩٢٤م.

١٨٣ ــ **المسعودي**: أبي الحسن علي بن الحسين بن علي ت ٣٤٦هـ. مروج الذهب ومعادن الجوهر دار الأندلس للطباعة والنشر ببيروت ط ١ ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.

١٨٤ ــ **مصطفى**: إبراهيم، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار. المعجم الوسيط أشرف على طبعه عبد السلام هارون مجمع اللغة العربية مصر ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م.

١٨٥ ــ **المطاع**: أحمد بن أحمد بن محمد. تاريخ اليمن الإسلامي من سنة ٢٠٤ ــ ١٠٠٦هـ تحقيق عبد اللّه الحبشي منشورات المدينة دار النشر لطباعة بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

١٨٦ ــ **المقحفي**: إبراهيم. معجم البلدان والقبائل اليمنية دار الكلمة صنعاء ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م.

١٨٧ ــ **المقريزي**: تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقريزي مطبعة بولاق ١٢٩٤ وأعيد بالأوفسيت في مكتبة المثنى بغداد ١٩٧٠م.

١٨٨ ــ **المقدسي**: شمس الدين أبي عبد اللّه محمد بن أحمد. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم طبع في مدينة ليدن المحروسة مطبعة بريل ١٩٠٤م.

١٨٩ ـ **المنجد**: صلاح الدين. مسجد دمشق النصوص الآثارية المتعلقة بدمشق المطبعة الهاشمية دمشق ١٩٤٨م.

١٩٠ ـ **مؤنس**: حسين. المساجد سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت صفر ١٤٠١ يناير ١٩٨١م.

١٩١ ـ **مورتكات**: أنطوان. الفن العراقي القديم، ترجمة وتعليق د. عيسى سلمان، سليم طه التكريتي مطبعة الأديب البغدادية ١٩٧٥م.

١٩٢ ـ **الموزعي**: شمس الدين عبد الصمد بن إسماعيل. دخول العثمانيين الأول إلى اليمن المسمى الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان تحقيق عبد اللّه الحبشي صنعاء منشورات المدنية بيروت ١٤٠٨٧هـ ١٩٨٦م.

١٩٣ ـ **النهراولي**: قطب الدين محمد بن أحمد ٩١٧ ـ ٩٩٠هـ. البرق اليماني في الفتح العثماني أشرف على طبعه حمد الجاسر منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة الرياض السعودية ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

١٩٤ ـ **هالرلدوف**: يعقوب ل. س. ملوك شبه الجزيرة العربية ترجمة أحمد المعنواحي مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء دار العودة بيروت ١٩٨٣م.

١٩٥ ـ **الهمداني**: أبي الحسن أحمد بن يعقوب ت ٣٥٠. صفة جزيرة العرب تحقيق محمد بن علي الأكوع مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء ط ١٩٨٣م.

١٩٦ ـ **الهمداني**: الإكليل ج٨ حققه محمد بن علي الأكوع دار التنوير للطباعة والنشر ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

١٩٧ ـ **الهمداني**: الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد اليامي. كتاب السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن تحقيق أكس سميث جامعة كمبردج بريطانيا ١٢٩٣هـ ١٩٧٣م.

١٩٨ ـ **الهمداني**: حسين بن فيض اللّه، حسن سليمان محمود. الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن من سنة ٢٦٨ ـ ٦٢٦هـ دار التنوير للطباعة والنشر بيروت ط ١ ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

١٩٩ ـ **هيكو**: آيش. تاريخ اليمن الدولة الرسولية طوكيو اليابان ١٩٨٦م.

٢٠٠ ـ **الواسعي**: الشيخ عبد الواسع بن يحيى. تاريخ اليمن المسمى بهجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن الطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة ١٩٤٦م.

٢٠١ ـ **الوصابي**: وجيه الدين الحبيشي ت ٧٨٢هـ. تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والآثار تحقيق عبد الله الحبشي مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء دار العودة بيروت ١٩٧٩م.

٢٠٢ ـ **الياور**: طلعت رشاد. العمارة العربية الإسلامية في مصر مطبعة وزارة التعليم العالي العراقي بغداد ١٩٨٩م.

٢٠٣ ـ **الياور**: تطور مآذن القاهرة بحث غير منشور.

٢٠٤ ـ **الياور**: المقرنص في العمارة العربية الإسلامية بحث غير منشور.

٢٠٥ ـ **اليعقوبي**: أحمد بن يعقوب بن جعفر. تاريخ اليعقوبي دار صادر بيروت ١٣٧٩هـ ١٩٦٠م.

٢٠٦ ـ **اليماني**: تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد ت ٧٤٣هـ. تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن تحقيق مصطفى حجازي مطبعة محتمرات ١٩٦٥م.

٢٠٧ ـ **اليمني**: نجم الدين عمارة بن علي ت ٥٦٩هـ. تاريخ اليمن لعمارة ويليه المختصر المنقول من كتاب العبر لابن خلدون تحقيق حسن سليمان محمود، دار الفناء للطباعة مصر ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.

٢٠٨ ـ **اليمني**: تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد حققه وعلق عليه محمد بن علي الأكوع مطبعة السعادة طبعة ثانية ١٣٩٦هـ ١٩٨٦م.

٢٠٩ ـ **اليمني**: يحيى بن حسين بن المؤيد. أنباء الزمن في أخبار اليمن صححه ووضع حواشيه وقدم له محمد عبد الله ماضي طبع هامبرج ألمانيا ١٣٥٥هـ ١٩٣٦م.

1 - 1 - AI Amid Tahir Muzzafar. The Abbasid Architecture of Samarra in the reign of Both AI Mu'tasim and AI Mutawakkil, Alma'aref press - Baghdad 1973.

2 - Beherens Abouseif. Islamic Architectur in Cairo Vol 111 1985.

3 - Bonnen fnt poul. les Maisons Tours De Samaa les presses ducnrs 1989.

4 - Costa. Some Islamic Bulding in the Yemen, Semimr for Arabion Studies institute of Alchaodogy London vols 1975.

5 - Cottell. The origin and Hislory of the Minaret J. A. O. S.

6 - Creswall. A. C. Early Muslim Architecture Umayyads Early Abbasids and Tulunid Vol 1.

7 - Cres Well A. C. Ashort accont of early Muslem Architecture.

8 - Creswell A. C. Muslim Architature of Eggpt.

9 - De eylie L. Promet Samerra Psas 197. Finster B. and Schmidt. J.

10 - Die Freitagsmoschee von Sam'a Deuts Archao logisches institut Yemenitica Sonder pruck gebr Mainz verlag Berlin.

11 - Finster. B. The Architecture of the Rasulid. yemen 3000 years of Art and Cinilisation in aralia Eclix Pugished by pinguin verlag from K Fort main 1987.

12 - Grohman Adolf. Kulturges chichte Des Alcen oreents, Printed in Germany Mueachen 1963.

13 - Herzfeld. Samarra.

14 - Hirsh. Suzanne et Max La Archtecture AU Yemen.

15 - Jenmer Muchael. Yemen Rediscuered Pudlished 1983.

16 - Kunel. E. Die Kuns des Islam English trby Kwots on Islamic Art and Architecture London 1962.

17 - Lewcock, R. and Gr. R. Smith. Three Mediemal Musques inthe Yemen Reprintaed From Orcental Art Vol XX No 1 -1 spring 1973.

18 - Lewcock. R. and Smith. Tow Eorty Mosque in the Yemen Apreliminary report Art and Archaedogy Research papers. A. A. R PIV 1973.

19 - Lewcock. R. The Medieual Architocture of Yemen. Yemen 3000

years of Art and civilisationin Arolia flix pubished by plingum verlag Fran K Furt Main 1987.

20 - Porter venetia. The Architecture of the Tahired Dymasty of the Yemen seceiuo for Art and Archaedoyy 1989.

21 - Riuovra Grit. Moslem Architecture its origgins and denelopment Irg Rush for the Edimburgh 1918.

22 - Scott Hugh In the higy Yemen Printed in great Britain by brad road London Scond edition 1947.

23 - Serjeant, and R Lewcock Sam'a An Arabian Islamic city owrld of islam Festiual Trust London 1983.

فهرس المحتويات

الفصل الثاني
نشوء المئذنة اليمنية

الفصل الثالث
مآذن صنعاء

الفصل الرابع
العناصر المعمارية والزخرفة

الفصل الخامس
مواد البناء